روايات عبير

باتريشيا ولسون

لقاء في الظلام

WWW.REWITY.COM

مرمورية

٢٠١

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

HARLEQUIN - «ABIR» - No. 201

لقاء في الظلام

قد تكون (جوليا) ممرضة ذات تأهيل رفيع المستوى، ولكن كان لديها سبباً شخصياً وخاصاً لوضع الصغيرة (جوستين) في قلبها. لقد وجدت أن راعي الطفلة (لوك مارشال) المتعجرف مستبداً إلى حد كبير ولكنها كانت قادرة تماماً على التعامل معه بنفس المستوى.

بعد خيانة (جراهام) كان الرجل هو آخر ما يمكن أن تحتاجه في حياتها.

ولكن بدأ الموقف يخرج من بين يديها عندما أخذها (لوك) إلى جمال بلده الخلاب: «كامارجو». وبلا مفر وجدت (جوليا) نفسها تستسلم لسحره ونفوذه. ولكن هل كان مقدراً له أن يتزوج (روزان)؟

لبنان	١٩,٢٠ ل.ل	الكويت	١,٦٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	السودان	١,٢٨٠ م
سورية	١٩,٢٠ ل.س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د	U.K.	£ 2,40
الأردن	١,٢٨٠ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	France	F 16
العراق	٨٠٠ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	Greece	Drs 320
السعودية	١٩,٢٠ ر	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٢٠٠ ق	Cyprus	P 2,40

الفصـــل الأول

كان أصيلاً خلاباً لأحد أيام شهر مايو عندما توقفت (جوليا) عن إزالة الأعشاب الضارة من أرض حديقتهم وجلست على عقبيها برهه تستمتع بمشاهدة ما أنجزته من عمل. كانت تشعر بأنهم سعداء الحظ لإمتلاكهم مثل هذه الحديقة الكبيرة بالقرب من المدينة ولإمتلاكهم مثل هذا المنزل الكبير الذى صار أرحب مما يحتاجون إليه.

بدت عيناها حزينتان شاردتان وهى حالة كانت تظن أن بإمكانها الخروج منها ولكنها لم تجد لنفسها مهرباً أطلاقاً.

«آه... (لوسى)».

قد يُسرى عنها أن تهمس بالأسم بصوت مسموع طالما أن أباها لا يسمعها. لكن هذه المره.. أغرورقت عيناها بالدموع وغص حلقها بالأسى وشحبت الوان الحديقة فأصبحت مجرد ظلال شبحية باهته.

مرت ثلاث أعوام ولا يزال وجه (لوسى) الضحوك يترافص أمام عينيها. كان ينبغى أن تكون أختها الحبيبة فى الحادية عشرة من عمرها الآن. لقد وُلدت بعد (جوليا) بوقت طويل. ومنذ ولادتها كانت شعاعاً من ضياء الشمس ينير حياتهم. وأزدادت مكانتها لديهم بعد رحيل أمهم إذا قامت (جوليا) نفسها بدور الأم. فمنذ أن كانت فى الرابعة عشرة

تولت تربية (لوسى) بالمشاركة مع والدها والسيدة (دوبسون) التى عملت مديرة لمنزلهم مدة طويلة.

ولن يعود أى منهم كما كانوا من قبل. لقد صار أبوها رجلاً آخر. حتى السيدة (دوبسون) لم تعد تملأ البيت غناءً بصوتها الحاد النشاز. لقد ذهب ضياء الشمس مع (لوسى). وقد يكون هذا هو سبب أستسلام (جوليا) بسهولة لسحر وسيطرة (جراهام) وعندما صدقت حديثه عن الزواج تدفق حبها له إذ أحست أنه إنسان طموح متعقل ومثابر.

أحست (جوليا) بوالدها آتيا نحاهها وقد أمسك بمقص يستخدمه لتشذيب الشجيرات كانت تعرف أنه سيجلس بالقرب منها على أريكه الحديقة أمام المنضدة البيضاء. جففت عينيها خلسه وأستعدت لترسم على شفتيها أبتسامة مشرقة عندما يصلها.

وأبتدرها قائلاً: «ياله من يوم رائع فى هذا الوقت من العام» وبدأ يجذب قفاز العمل بالحديقة عن يديه. كانت عيناها تتابعان حركته وترقب يديه تبزغان من القفاز: ذات أصابع رشيقة جميلة.. فهى أيدى طبيب جراح. وأعتورها الشعور الخانق مرة أخرى. كان عليها أن تذهب لتخلع قفازها أوتنفض الغبار عن سروالها الجينز أو لتتصنع أداء أى عمل يعطيها وقتاً لتستعيد رباطة جأشها.

وقالت بصوت مضطرب: «إن كل شىء يبدو رائعاً». ثم أردفت «أرانا سنحصل على وفرة من زهور السوسن هذا العام. فأشجاره كثيرة البراعم.

ووافقها والدها بينما كانت عيناه تطوفان بأرجاء الحديقة وتحدقان فى تلك الشجيرات الأنجليزية القديمة التى غرساها سوياً كعلاج يرد قلبيهامن آلامها. وهو ما تفعله أحياناً ولكن ليس دائماً.

وغلفها الصمت والسكون حتى أنها سمعا رنين جرس الباب الأمامى بينما هما فى الحديقة. ورمقها والدها (بول ردفورد) بنظرة سريعة.

وسألها بهدوء: «هل تتوقعين حضور أحد يا عزيزتى؟» لم يحدث على

الأطلاق أن ذكرا (جراهام) وهجرانه لها بقسوة ليرتبط بوريثة إحدى الثروات الضخمة ذات المكانة المرموقة والتى من المؤكد أن بإمكانها مساعدته فى مستقبله العملى. وهى تعرف أن ولدها يتجاهله عندما يلتقيا فى المستشفى. وتعرف أيضا أنها ـ وحسن الطالع ـ كانا يعملان فى قسمين مختلفين وفى مجالات مختلفة كثيراً. كان الطبيب. (جراهام ادامز) شخصاً هاماً بالنسبة لنفسه فقط. أما بالنسبة لعالم البروفيسور (بول ردفورد) فقد كان حقاً مجرد نقطة فى بحر.

ظهرت السيدة (دوبسون) عند الباب الفاصل مابين المنزل والحديقة وهى تقول: «هناك رجل يرغب فى رؤيتك ياسيدى البروفيسور» ثم خطت نحاههم وقالت بصوت خفيض: «لقد سألته عما يريد وذكرته بأن اليوم هو الأحد لكنه أصر على مقابلتك» ثم همست: «أعتقد أنه أجنبى» وكأنها تجد فى ذلك تفسيراً لسلوكه.

أنفجر البروفيسور قائلاً: «اللعنه. إننى أتمنى ألا يفعلوا ذلك. لماذا لاتتعامل المستشفى مع مثل هذه الأمور فى وقت العمل؟ إننى أتوقع أن يكون واحداً من هؤلاء الطلبه الجدد يحمل مشكلة بلهاء تماماً. أحضريه إلى هنا ياسيدة (دوبسون)».

كانت (جوليا) تعرف أن والدها لايحب أن يقلق أحد راحته. وفى العادة يأخذ هذا الأمر أسبوعين أو ثلاثة حتى يتضح لأى طلبه جدد.

تأهبت لتتركه قائله: «هل لى أن أذهب و..».

رد والدها بلهجه آمرة: (جوليا).. فلتبق هنا» ثم تابع «إننا نبدو مسترخين لدرجة توضح تماماً أننا فى أجازة» ثم أضاف بصوت ضاحك: «على أية حال قد يمكنك أجابة كل أسئلته وعندئذ يمكننى أن أعود إلى الورود».

أبتسمت (جوليا) وجلسا سوياً. كان والدها طويل القامة مميز المظهر ذو شعر أبيض كثيف وقد علاه بعض الغبار أثناء عمله فى الحديقة. أما (جوليا) فقد كانت جميلة الوجه ممشوقة القوام ذات شعر ذهبى كثيف

جمعته على هيئة ذيل حصان وقد بدت عيناها الزرقاوتان العميقتان الواسعتان تظللها مسحة من حزن دفين.

كانت (جوليا) فى الرابعة والعشرين من عمرها ولكن كل ملامحها كانت تكذب عمرها: قامتها الهيفاء وعيناها الواسعتان العميقتان ببريقها الحزين وفمها المتناسق الجميل. فكأنها لم تتعد السادسة عشرة. هكذا يرى (بول ردفورد) جميلته البائسة (جوليا) بعقلها الذكى وقلبها الذى عانى صدمتين اليمتين.

لم يكن القادم أحد الطلبة الجدد. لقد أحسا بذلك بمجرد أن شاهداه بالباب المؤدى للحديقة. نهضا ببطء بينما توقف هو للحظة ينظر إليهما. لم يكن هذا بالرجل الذى يأتى لمشكلة غير ذات أهمية.

كان طويلاً ذا مظهر رياضى. وبشرة داكنه. شعره أسود كثيف. كان وجهه الوسيم يكتسى بمظهر صارم. مظهر رجل لايبتسم إلا نادراً. كان يشع هيبه وبريقاً أخاذا رغم المسافة التى تفصله عنها. مسحت عيناه الغامضتين المكان بخفه ولم يكن هناك مبرراً لصرامة وجهه. أحست (جوليا) أن أياً منهم ليس بإمكانه المبادره بشىء ما. لقد بدا رجلاً أعتاد أن يطاع ولم يبد أى أستعداد لتغيير موقفه من أجلهم.

كان نحيلاً رشيقاً وتنبىء حركته عن ثقة بنفسه وقد أحاطه الجمال والبهاء وهو يخطو نحاههم عبر المرج الأخضر. سرت رجفه رهبه فى أوصال (جوليا). كانت هيئته تدعو للقلق وأزداد يقينها من ذلك عندما رمقها بنظرة خاطفة.

بعد هذه النظرة الغامضه تجاهل (جوليا) وأتجه لوالدها متسائلاً: «البروفيسور ردفورد) وركز نظرات عينيه على وجه والدها الرقيق وعينيه الزرقاوتين اللامعتين ثم قال: «أنا (لوك مارشال)».

ثم صمت ولم يحاول مد يده للسلام. كان حضوره طاغياً كما لو أن وجوده أمر واجب التنفيد.

وفجأة بدا والدها مرهقاً وكأنه أكبر من سنه أشار بتثاقل إلى مقعد فى

مواجهة (جوليا) وهو يقول: «تفضل بالجلوس يا مسيو (مارشال)». جلست (جوليا) أيضاً ببطء وترقب. نادراً ما رأت والدها محبطاً بهذه الصوره ولم يحدث مثل ذلك منذ ثلاث سنوات. وتزايدت الرهبه بداخلها فأخذت تحدق فى ذلك الفرنسى.

شملها ذلك الفرنسى بنظرة فاحصة باردة من عينيه الداكنتين وكأنه يسألها عما تفعل فى هذا المكان. قالت عيناه ذلك بدون أى كلمات. ومن خلال رهبتها حاولت النهوض لتطيع أمراً صامتاً.

قال والدها: «(جوليا).. أرجو أن تبقى». كان والدها قد أمتلك زمام نفسه وأستعاد نفوذه القديم. وأيا كان سبب ماحدث فقد هدأ الروع. وجلست (جوليا) مستأنسه بمبادرة والدها وسندها المحنك لتجدها عندما عادت تنظر إلى العينين السوداوتين اللتين أمرتاها بالمغادره.

قال والدها بلهجة جافة لم تألفها: «هذه ابنتى (جوليا) يا مسيو (مارشال)». ورغم أن (مارشال) نهض من فوره وأنحنى تجاهها إلا أنه لم يزد على أن قال بالفرنسيه: «تشرفنا آنستى». كانت عيناه متجهه كلية لوالدها. وحيث أنها لم تطع أمره الصامت بالمغادره فها هو الآن يلفظها بأعتبارها غير ذات أهمية. إنه يبدو كما لو كانت الكياسة خلقاً ثانوياً بالنسبة له. وها هو يظهرها فى أضيق الحدود. فما دفعه للحضور بشغل تفكيره ويملأ قلبه لدرجة أنه لم يكن ليعطى أكثر الأشياء بهجة غير مجرد التفاته طفيفه.

قال (مارشال) بحده: «إنك تعرف لماذا أنا هنا يا سيدى البروفيسور (ردفورد). ثم أردف: «إننا لن نضيع الوقت فى المقدمات».

نظر إليه والدها بصرامة وقال: «إننى أعرف لماذا أنت هنا يا مسيو (مارشال)». ثم أضاف قائلاً: «لقد أجبت كل خطاباتك بصفة شخصية لأننى متعاطف معك إلى أقصى حد لكن الأجابة كانت وستظل: لا».

قال (مارشال): «إن الطفلة ستموت يا سيدى البروفيسور ولا أستطيع

أن أفهم كيف يمنعك قلبك الكبير من أجراء الجراحه ها»؟

كانت هناك قوة رنانه فى صوت الفرنسى أبقت (جوليا) مبهوره رغم ان كل دوافعها تحثها للثورة على الطريقة التى يخاطب بها والدها. كانت السخرية تملأ الوجه النحيل البرونزى اللون بينما كانت عيناه تبرقان باللوم الصريح.

ولدهشتها رأت وجه والدها يتلون بحمرة واضحة. لقد كان غاضباً كما لم تره على مدى حياتها.

وخاطبه والدها بشدة: «يامسيو (مارشال) لقد جئت إلى هنا بلا دعوة لتزعجنى وتزعج ابنتى» ثم أضاف: «لقد أعطيتك ردى وهو نهائى. إننى لن أقبل الطفلة كمريضة».

قال الفرنسى: «ألإنها فرنسية ياسيدى البروفيسور (ردفورد)؟ أهذا هو السبب الذى يجعلك أنت ــ أعظم جراح أعصاب فى البلدين ــ ترفض أنقاذ حياة طفلة فى الثامنة من عمرها»؟

صرخت (جوليا): «آه.. كلا». التفتت إليها العينان السوداوينان وقد ملأتهما الدهشة. وعندئذ هبت (جوليا) واقفه وجسدها يرتعد بأكمله.

أعترضها والدها عندما استدارت لتغادرهم وأحكم ذراعيه حولها وهو يقول: «(جوليا) إبنتى العزيزة» كانت (جوليا) على وشك البكاء ولكنها رفضت ترك العنان لمشاعرها أمام ذلك الفرنسى الغرور.. وحاول والدها أن يهدأ من روعها وهو يقول: «عزيزتى.. لا تنزعجى».

كان والدها شديد الغضب على الرغم من شحوب وجهه هو الآخر كما أنتصب (لوك مارشال) أيضاً وقد امتلأ وجهه بالذعر والذهول التام لهذا الموقف.

قال (مارشال) برقة: «ياآنسة... إذا كانت كلماتى قد أحدثت لك ضيقاً...» وقاطعه والدها بشدة: «لقد أحدثت يامسيو (مارشال). أجلسها والدها قبع بجوارها واضعاً يدها فى يده بينما اشحب وجه (جوليا). توجه والدها (لمارشال) قائلاً: «حيث أنك لم تقبل رفضى أجراء

العملية الجراحية وحيث أنك أقتحمت منزلى طالباً تفسيراً لقولى بأننى لم أعد أجرى أى عمليات جراحية وإنما أعمل بالتدريس فقط.. فإننى سأقدم لك التفسير الذى طلبته».

وأستمر مخاطباً (مارشال): إننى لم أجر أى عمليات جراحية على مدى ثلاثة أعوام. لقد توفيت آخر مريضة بين يدىّ. كانت طفلة أيضاً. طفلة صغيرة فى الثامنة من عمرها. ولم أجر أى عملية جراحية من ذلك الوقت».

قال (لوك مارشال) بهدوء: إنك لست الجراح الوحيد الذى يفقد مريضاً ياسيدى البروفيسور». ثم أضاف: «لقد حدث ذلك مع آخرين قبل وبعد حدوثه لك ولكنهم لا يزالون يستخدمون مهاراتهم لإنقاذ آخرين».

وأنتفضه والدها قائلاً: «لكننى لن أفعل». وتسارعت أنفاسه وأمتلأت عيناه بألم يغلفه غضب شديد وهو يقول: «الطفلة ياسيدى كانت ابنتى... (لوسى).. شقيقة (جوليا)».

أستدار والدها وانطلق للمنزل بخطوات ثقيلة دون أن ينظر خلفه. وحملقت (جوليا) فى (لوك مارشال) بنظرات اتهام.

وهمس (مارشال): آنستى... كيف يمكننى أن أصف لك مدى أسفى لذلك؟ فمن واقع تجربتى الخاصة فإننى لا أتمنى أن أسبب آلاماً للآخرين». ثم هز كتفيه مستهجناً وقال: «كيف يمكننى أن أعرف. إنه لم يقدم أى تفسير فى خطاباته. لقد رفض ببساطة». ثم أردف: «من المفترض أن يقدم الناس إيضاحات لما يفعلون».

أخذت (جوليا) نفساً عميقاً هادئاً وهى تقول: «هذا... هذا صحيح» ثم رفعت عينيها الزرقاوينين العميقتين إلى عينيه. كانت عيناها تبرقان بدموع تحاول مغالبتها وقالت: «من غير المحتمل أن يمكنك معرفة ذلك. فهو لا يتحدث عن هذا الأمر مطلقاً».

وسألته (جوليا) بتهيب: «هل... هل الطفلة قريبتك».

رد بصوت خفيض: «نعم» ورنت عيناه بنظرة حزينة للأفق البعيد. ثم أضاف قائلاً: «إنها أبنة أخى (جوليس).. لقد توفى وهى كل ما تبقى منه».

سألته جوليا برقة: «ما أسمها»؟

وأجابها بصوت يكابد الألم: «جوستين» وأردف قائلاً: «هى فى الثامنة من عمرها... سمراء... ممتلئه حيوية ونشاط.. تميل للعب والأنطلاق».

وهمست (جوليا) وكأنها تحادث نفسها: «إنك تصف أختى.. فهكذا كانت (لوسى) تماماً: ثم أستدارت فجأة وقالت: «يجب أن أودعك يا مسيو (مارشال) لأذهب لوالدى».

وتبعها (مارشال) فى صمت حتى وقفا عند الباب الخارجى المفتوح.

وقال بهدوء: «لقد كنت متيقناً من حصولى على مساعدة والدك لأجراء تلك الجراحة الهامة غير أن كل ما نجحت فيه هو أننى جلبت التعاسة لأناس آخرين».

وقالت (جوليا): «مسيو (مارشال)... قد يستطيع بعض الجراحين الفرنسيين إنقاذها عندما تعود لفرنسا».

نظر لها وقال بهدوء: «لا أعتقد أن هناك وقتاً يا آنستى. إن جوستين لم تعد فى فرنسا. لقد أحضرتها إلى أنجلترا هذا الصباح. إنها الآن بحجرة خاصة بمستشفى والدك. لقد قامرت بكل شىء فى سبيل الحصول على مساعدته».

ردت (جوليا) بأسى: «أوه.. إننى آسفه جداً».

لوى (مارشال) شفتيه مبتسماً بسخرية وقال لها: «إنك إنسانه عطوفه.. ولكن الشفقه لن تنقذ (جوستين). إنها تحتاج لمهارة والدك». ثم أضاف بيردد: «آنستى.. أرجو أن تسامحينى لما جلبته لكم من التعاسة.. إلى اللقاء».

تابعت (جوليا) خطواته وهو يبتعد عبر الممر ثم أغلقت الباب بإحكام.

لقد فشلت فى إخفاء تعاطفها ولكن هذا الرجل بدا صارماً صعب فهمه. وسرت قشعريرة فى جسدها رغماً عنها. لقد بدا كأنه يحمل أسراراً... أسراراً عميقه... وهو يلقى فى النفس أحساساً قابضاً يبعث على الخوف.

وأسرعت (جوليا) إلى والدها وهى تعلم أن ما حدث قد أحيا الجرح القديم.

كانت عودتهم للمستشفى فى اليوم التالى متنفساً خفف عنهم ما يكابدون. لقد شعرت بالقلق تجاه والدها ولكنه لم يسمح لها بأن تقول شيئاً. فمنذ أن تركهم فى الحديقة أحتجز نفسه فى غرفته وكان يرد بأقتضاب عندما تذهب إليه. كان يعيش فى الماضى مرة أخرى مثقلاً بالذنب والأسى. لقد أهتز كثيراً بسبب أنفعاله أمام ذلك الفرنسى حتى أنه لم يعد يجد وقتاً (لجوليا) ذاتها. فلابد إذن أن يسكن كل شىء مرة أخرى.

تسلمت (جوليا) عملها من ممرضة الفترة الليلية كالمعتاد وتوقفت لتتبادل معها ذلك الحديث القصير الضرورى. سألتها (جوليا): «هل هناك جديد»؟

أجابتها ممرضة الفترة الليلية: «بعد جولة الطبيب (ايلتون) فقد تقرر خروج السيدة (براون) اليوم. وسمح للصغيره (سنثيا) بساعتين ولكن بدون سير على قدميها. السيدة (واتكينز) تثير المتاعب كالعادة» وأبتسمت الممرضة (تود) أبتسامة عريضة وأجابتها (جوليا) بأبتسامة مماثلة وهى تقول: «سيكون هذا المكان هادئاً جداً عندما تعود لمنزلها». ثم أخذت (جوليا) تُحكم وضع غطاء رأسها وتثبت ساعتها جيداً. كانت ترتدى زى العمل الأزرق اللون وفوقه معطفاً أبيض. إنها تبدو اليوم شخصاً مختلفاً تماماً. فقد لملمت أطراف شعرها الذهبى الطويل الكثيف وربطته من الخلف بعيداً عن وجهها. وكانت تغطى رأسها بغطاء أبيض أنيق وقد بدت أكثر رشاقة فى زى العمل الأزرق اللون. ورغم ذلك فقد كانت الممرضة (ردفورد) جادة تماماً فى تسلم عملها فى رعاية مريضات جناح الجراحة النسائية بالمستشفى.

قالت (جوليا) لزميلتها برقة: من الأفضل أن تذهبى لفراشك يا (جين) فإنك تبدين متعبة.

تنهدت (جين تود) قائلة: «نعم» ثم عضت على شفتها السفلى برفق وهى تقول: «كانت ليلة هادئة ولكننى أخشى أن أكون قد أخرت أسوأ الأنباء للنهاية يا (جوليا). فهناك مريضة فى حجرة خاصة. إنها طفلة فرنسية صغيرة مصابه بجراح فى رأسها. وهى فى حالة غيبوبة تفيق منها على نحو متقطع. سيقوم الطبيب (ايلتون) غداً بإجراء الجراحة لها حيث أن والدك.. حيث أن البروفيسور (ردفورد)...».

ولاذت (جيت) بصمت حزين فربتت (جوليا) على ذراعها وهى تقول: «حسناً يا (جين) إننى أعلم بوجود هذه الطفلة الصغيرة وسأذهب لرؤيتها بمجرد أنتهائى من جولاتى فى هذا الجناح.

قالت (جين): لقد كان والد الطفلة شديد الغضب ولم يلجأ للطبيب (ايلتون) ولم يستطيع الأتفاق معه وكاد أن يرفض بقائها بالمستشفى ولكنه فى آخر الأمر أبقاها سعياً وراء أمل أخير».

قالت (جوليا) بهدوء: «مسيو (مارشال) هو عمها. لقد زارنا بالأمس».

قالت (جين): «قلبى معك يا (جوليا)... يكفيك ما مر بك من التجارب القاسية... ماذا عن... أوه... يا أمى... سأذهب الآن فكل ما أقوله يزيد الأمور سوءاً. يبدو أننى لا أستطيع التحكم فى لسانى. يجب أن يقتصر كلامى على تلك الليلة البغيضة التى مرت بى».

قالت (جوليا): «لا عليك يا جين» ثم تهيأت للأنصراف. فهى تدرك ما كانت (جين) على وشك النطق به. كل من بالمستشفى يعرف أن خطبتها (لجراهام) قد باءت بالفشل. حدث ذلك بسرعة درامية. أسترجعت ذلك المشهد السخيف مساء أحد الأيام منذ شهر مضى:

وفى ذلك المساء أستقبلت (جوليا) قائلة: «جراهام» لقد رأيتك عصر اليوم مع فتاة جميلة... فمن هى؟ لم يكن الفضول من عادة (جوليا) ولا كانت الغيرة من طبيعتها. توقعت (جوليا) أجابة ضاحكة ولم تتوقع

إجابة خطيرة وصارمة كتلك التى نطق بها. لقد كانت هذه هى الفتاة التى سيتزوجها. إبنة أحد الأثرياء الذى يمكنه بسهولة أقامة مشروع خاص (لجراهام) يزاول فيه مهنته لحسابه إذا أرادت (جوليا) ذلك. وهو ما فعلته.

أقامت (جوليا) من خواطرها إثر لمسة رقيقه من يد (جين) وهى تقول: «هل أنت بخير»؟

ردت (جوليا): «بالطبع... لقد كنت أفكر فى عملى اليوم.. يبدو أنه سيكون يوماً مليئاً بالعمل».

قالت (جين): فعلاً... من الأفضل أن أدعك تبدأين.. أرجو الا أكون قد ضايقتك يا (جوليا)».

ردت (جوليا) بثبات: «لا... لم يحدث» ثم مدت يدها تتحسس غطاء رأسها.

ضيق... كانت (جوليا) تشعر فى بعض الأحيان وكأنها تغالب أنهياراً عقلياً وتكبته إلى أجل مؤخر. ولذا فقد قررت تقديم أستقالتها. وكانت تعد الأيام.

بمجرد أن خطت (جوليا) من الباب الدوار بجناح عنبر الجراحة النسائية دوى صوت السيدة (واتكينز) الحاد الواهن وهى تقول: «الممرضة (ردفورد)... الحمد لله أنك قد عدت للعمل مرة أخرى» وأرتسمت أبتسامة ساخره على وجه الممرضة المساعدة. ثم أكتسى وجهها بجدية لا تخلو من السخرية وهى تقول (لجوليا): «هل لنا أن نذهب لها أولاً لنخلص أنفسنا من ذلك الشقاء».

ردت (جوليا): «لن نفعل ذلك.. يمكنها أن تنتظر دورها». أخذت جوليا تنتقل من مكان لآخر بالترتيب: تحادث المرضى وتفحص تقارير علاجهم. وأخيراً توقفت أمام فراش السيدة (واتكينز) الغير مرتب كالعادة.

وأبتدرتها السيدة (واتكينز) قائلة: ممرضة (ردفورد)... أريدك أن

تستشيرى الطبيب اليوم لأننى أنوى العودة للمنزل فى الغد على أقصى تقدير».

وردت (جوليا) بهدوء: «إن ساقك لم تلتئم بعد يا سيدة (واتكينز)». ثم أومأت للمرضة المساعدة التى سارت إلى الجانبا المقابل من الفراش ثم أخذا يرتبانه سوياً.

وأنطلق الصوت الحاد للسيدة (واتكينز) قائلاً: هلا شاهدتما نفسيكما... تهتمان بالفراش أكثر من المريض. فما أهمية الفراش المرتب؟

أجابت (جوليا) بلهجة جادة: لا شىء خطير... غير أنه هام وطيب لمعنوياتك ولمعنوياتنا فلو ظهرنا جميعاً بمظهر نظيف وجميل فإن اليوم سيأخذ مظهراً مغايراً. وفى حالتك أيضاً فإنه يمكننى بلمحة سريعة إدراك ما إذا كنت تسللين من فراشك أم لا. إن ساقك لن تبرأ إلا إذا تجنبت تحريكها. ولا يوجد لدينا العدد الكافى من العاملين لمرافقتك طول الوقت. وكما تعرفين فيجب عليك أن تتحملى بعضاً من المسئولية بخصوص صحتك.

دمدمت السيدة (واتكينز) قائلة: «حسناً.. إننى لا آبه بك غير أننى لا أفعل شيئاً لساقى على الأطلاق». ثم حلقت فى المرضة المساعدة وهى تقول: «إنها إنسانه فظة».

قالت (جوليا) بجدية: «بمجرد خروجنا من هنا فسأوجه لها تأنيب رسمى» وغمزت بعينها للمرضة المساعدة بينما كانتا تستديران مبتعدتين.

وقالت السيدة (واتكينز) بصوت ساخر مغتبط: «حسناً. وعندئذ فسألتزم الهدوء».

إبتسمت المرضة المساعدة وهى تهمس: «أريد أن أخرج للممر وأصرخ بأعلى صوتى».

وتمتمت (جوليا): «أفعلى أى شىء يبقيها فى فراشها. فبهذا المعدل ستبقى هنا للأبد».

وعادت جوليا لغرفة مكتبها بعد أن كتبت قائمة بعلاجات الصباح

وناولتها للمرضة المساعدة.

لقد أصبحت بمفردها الآن وهى تدرك كم حاولت التأجيل.. ولكن لابد من مواجهة الموقف... وبدون أن يصدر أى صوت من خطواتها سارت بهدوء عبر الممر إلى تلك الغرفة التى تضم مريضتهم الخاصة ذات الشعر الداكن والثمانية أعوام التى كانت ذات يوم لا تكف عن اللهو والأنطلاق.

كانت أحدى المرضات تقف خارج الغرفة وقد أرتسم على وجهها القلق الواضح والتشتت مابين الأوامر المتضاربة.

توقفت (جوليا) بجوارها وسألتها وقد برقت عيناها الزرقاوينان العميقتان: «مالمشكلة يا ممرضة (جيمس)؟»

أجابت المرضة بأضطراب: «من المفترض أن أبقى مع الطفلة الفرنسية وأبلغ أى تغيير يطرأ على حالتها غير أن ذاك الرجل قد دخل الغرفة وطلب منى الأنتظار بالخارج. ولست أدرى ماذا أفعل».

كانت المرضة صغيرة السن وقد بدا أضطرابها جلياً فأشارت لها (جوليا) قائلة: «إذهبى إلى غرفة مكتبى وضعى إبريق الشاى على الموقد. وسوف أستدعيك بعد قليل». كانت (جوليا) تعرف من الموجود بالحجرة وهى تعلم أنه ليس بالأمر الهين بالنسبة للمرضة (جيمس) كما أنه ليس بالأمر الهين لها هى أيضاً. وعلى أية حال فعليها أن تتحمل المسئولية الآن. نصبت (جوليا) قامتها ودخلت الغرفة.

كان (لوك مارشال) جالساً بجوار الفراش بهيبته ولونه البرونزى وقد أمسكت يداه برفق بيد الطفلة الراقدة بلا حراك. وعندما سمع صوت الباب أستدار سريعاً بوجه غاضب متوقعاً أن يرى تلك المرضة الصغيرة التى أرسلها خارج الغرفة. ولكنه نهض ببطء عندما رأى (جوليا) بينما رأت على وجهه تعبيراً ساحراً لم تره فى حياتها.

همس (مارشال): «أنسة (ردفورد)» وأخذ يتفحصها بدءاً من شعرها المصفف بعناية كبيرة وغطاء رأسها الجميل وزيها الأزرق الداكن الذى

ترتديه تحت البالطو الأبيض.

تساءل (مارشال) منبهراً: «الممرضة (ردفورد)... إنك تبدين صغيرة.. ربما اصغر من طفلة».

ردت (جوليا) بجدية: «أربعة وعشرون عاماً ياسيو (مارشال)» كانت جوليا تتحدث وهى غير مستعده لتلك الموجه من الوخزات المفاجئة التى تنتابها عندما تتلاقى عيونهم.

وقالت (جوليا): «يجب أن تعلم بأن هذه الغرفة تقع فى نطاق مسئوليتى اليوم وليس لك الحق فى أقصاء الممرضة خارجها».

ورد بصوت مطمئن: «لم يكن لها حاجة فى ذلك الوقت».

كانت (جوليا) متأكدة أن هناك مايشغل فكره عن أستيعاب الموقف وإلا لما سمح لها بالحديث بهذا الأسلوب.

وعندئذ أضاف (مارشال) بحدة: «على أى حال فهذه حجرة خاصة» وبدا كأنه يستعيد طبيعته بسرعة.

ردت (جوليا) بنفس الحدة وهى تخطو نحو الفراش ناظرة للطفلة: «ولكنها لاتزال تحت رعايتى ياسيدى».

وأستجمعت (جوليا) كل شجاعتها وأخذت نفساً عميقاً قبل أن تجسر على تركيز عينيها على الوجه الصغير. لم يكن به أثر للحياة. أحاط اللون الأزرق بالعينين المغلقتين. أرتسم شبح الموت على الوجنتين الشاحبتين. ويحركه آلية مدت يدها لتختبر نبض الطفلة. كان واهياً لايكاد يُلحظ».

وسألت بحده: «كم مضى عليها من الوقت وهى بهذه الحالة؟» وأتجهت (جوليا) إلى جهاز موضوع على منضدة جانبيه وبدأت تعاين قراءة ضغط دم الطفلة بينما رد (مارشال) بأقتضاب: «بهذه الحالة الراهنه؟ منذ الصباح» ثم أضاف: «إنها لاتزال فى غيبوبة تفيق منها ثم تعود إليها بدون أن تتعرف على. لقد بدت بعد الحادث وكأنها على مايرام بينما أودت حادثة التصادم بحياة والديها ولم يبد عليها سوى الأصابة ببعض الخدوش. ومؤخراً بدأت تتصرف بطريقة غريبة ثم بدأت تشكو من

عدم قدرتها على تحريك ذراعها. ولم تظهر الأشعة الصينية أى شىء... وأخيراً وجدو السبيب...».

اكملت (جوليا) بهدوء بينما كانت تقرأ ضغط دم الطفلة: «ضغط على المخ».

وأجابها: «نعم» وقد أستحال صوته خشناً أجشاً ولكنها تجاهلته تماماً ومدت يدها تتناول تقرير العلاج المثبت بجانب فراش الطفلة وأخذت تقرأه. أتضح لها أن حالة الطفلة قد تدهورت بسرعة خلال الفترة الوجيزة التى قضتها بالمستشفى. وقبل أن تجرى العملية التى تقرر لها الغد فإن الطفلة ستلقى حتفها. وعلاوة على ذلك فإن الطبيب (ديريك إيلنون) لاتتوافر له مهارات والدها المتميزة.

أتجهت (جوليا) إلى باب الغرفة فوجدت الممرضة (جيس) قد عادت تحوم بقلق أما الغرفة.

قالت لها (جوليا) بلهجة آمرة: «ممرضة (جيس)... أذهبى للجناح وأبق هناك. ولترسلى الممرضة المساعدة إلى هنا وأخبريها أن تنتظرنى داخل الغرفة». وضغطت جوليا على كلمة «داخل» لتؤكدها.

قالت الممرضة الصغيرة وهى تكاد تعدو: «أمرك.. ممرضة (ردفورد)».

أستدارت (جوليا) وسارت عبر الممر. ينبغى أن يكون والدها فى المستشفى الآن. فلديه محاضرة فى التاسعة ويجب أن ينتهى منها الآن.

عادت (جوليا) بعد خمس عشرة دقيقة ومعها أحد الممرضين يسحب وراءه منضدة متحركة من ذلك النوع الذى يستخدم لنقل المرضى فى المستشفيات. فتح باب الغرفة على مصراعيه وكان هناك (مارشال) بعينيه الغامضتين.

أتسعت حدقتاه. وهو يصيح بحرارة: «آنسة» وطبعت نظرته الخاطفة أحساساً رهيباً على وجه الممرضة المساعدة التى تسمرت فى مكانها بجوار الفراش. إن (جوليا) تعرف هذا الأحساس جيداً.

صححت (جوليا) كلمته بحدة: «ممرضة من فضلك». فإذا لم يكن هناك بد من المصاعب فيجب أن تتصرف بما يحفظ هيبتها. قالت (جوليا): «هل لك أن تنتظر خارج الغرفة يا مسيو (مارشال)» ثم أستدارت مهملة إياه وهى تقول «يمكنك أستخدام غرفة المكتب الموجودة بنهاية الممر».

ثم خاطبت الممرضة المساعدة: «حسناً. دعينا نجهز المريضة لأجراء الجراحة».

وتمتم (مارشال): «آنسة... ممرضة (ردفورد).. من المفروض أن تجرى الجراحة فى الغد.. قد يمكننى أقناع والدك خلال هذه الفتر . فليس لدى ثقة كبيرة فى هذا السيد (ايلتون)».

وردت (جوليا) بلهجة عملية جادة: إن السيد (ايلتون) جراح بارع وعلى كل حال فهو لن يقوم بإجراء الجراحة.»

وصاح (مارشال) غير مصدقه: «والدك؟» وبرقت عيناه بالأمل.

قالت (جوليا) بثبات: مسيو (مارشال) سوف يبدأ البروفيسور (ردفورد) أجراء الجراحة بمجرد أدخالنا أبنة أخيك إلى حجرة العمليات. ولذلك فكلما أسرعت بتنفيذ التعليمات وغادرت المكان.. كلما كان ذلك أفضل.»

أرتسمت على شفتيه أبتسامة رضا أضاءت صفحه وجهه الصارم ومد يده ممسكاً بيد (جوليا). وهمس بهدوء كاد يبلغ حد الأنكسار: «شكراً لك ممرضة ردفورد... لقد تمكنت من أقناعه... إننى لن أكف عن الأمتنان لك».

قالت (جوليا) بهدوء: «إنه ليس الهاً يا سيدى». وأستشعرت وخزاً يسرى بيدها من أثر ملامستها لتلك الأصابع القوية الدافئة. وأضافت: «إن الطفلة مريضة جداً جداً.»

أجابها وقد ثبتت عيناه على وجهها: «أنا أعى ذلك تماماً وكانت عيناه الغامضتان تتركزان على وجهها وهو يقول: «ورغم ذلك فإن والدك

فى هذه اللحظة أقرب ما يكون إلى الأله الذى يجب أن أشكره.... وأما أنت... فلاك جميل... صارم وجاد أرسل لمساعدة (جوستين) وأيا كان ما تقولينه لى فسأنفذه».

أجابت (جوليا) بصراحة: «ليس مطلوباً منك يا مسيو (مارشال) سوى الجلوس فى غرفة مكتبك ودعنا نمارس عملنا».

قال (مارشال) بهدوء: «لك الطاعة يا ممرضة (ردفورد)» ولثم يدها ثم غادر المكان.

تلاقت عينا (جوليا) مع عينى الممرضة المساعدة اللتين ملأهما الذهول أيضاً. غير أنه لم يكن هناك وقت لألتقاط الأنفاس حيث أنصب كل أهتمامها على الوجه الصغير الشاحب الذى يرقد على الوسادة البيضاء.

بدأت (جوليا) العمل فى توافق تام وألفة كاملة مع الممرضة المساعدة مع أحترام كل منها لقدرات الأخرى.

أخيراً وصلت منضدة العمليات لنهاية الممر. كانت الممرضة المساعدة تمشى بجوارها بينما أستدارت (جوليا) على عقبيها وأتجهت لغرفة مكتبها. توقفت (جوليا) عند باب مفتوح وخاطبت أحدى الممرضات «عليك برفع أغطية الفراش فى الحجرة الخاصة.» ثم أستكملت سيرها لتواجه ذلك الفرنسى.

قال (مارشال): «لقد رأيتهم يأخذونها.. ألن تذهبى معهم؟»

وردت (جوليا) بصوت مرهق: «إننى لست ممرضة عمليات يا سيدى» ثم أضافت: «فلتتفضل بالجلوس حيث يمكنك أن تتناول معى قدحاً من الشاى».

بقى (مارشال) واقفاً وقال بصوت أجش: «إننى أريد.... إننى أفضل لو أنك كنت معها» أستلفت (جوليا) على مقعدها ثم أخذت تنظر بجهد جهيد لقامته المديرة وعينيه الزرقاء الغامضة وقد أمتلئت ثقة وهدوء. قالت (جوليا): إننى لم أتلق تدريبا بخصوص العمليات الجراحية».

ثم أضافت: سأنتظر خروجها من غرفة العمليات وعندئذ يمكننى مساعدتها».

قال (مارشال) ببرود: كيف يمكنك ذلك؟». إنها ستكون واحدة من كثيرين. فلديك العديد من المرضى. ولن تحظى (جوستين) من أهتمامك بأكثر من قسطها المفروض. فكيف يمكنك أن تجمعى بين وجودك فى هذا المكان ووجودك فى غرفتها فى نفس الوقت».

أخذت (جوليا) نفساً عميقاً ثم نهضت أزاحت أحدى الستائر المقابلة لمكتبها فظهرت أمامهم غرفة صغيرة يتوسطها فراش بينما تنتشر الأجهزة الطبية فى أرجائها.

قالت (جوليا) «أستوضع أبنة أخيك فى غرفة العناية المركزة يا مسيو (مارشال) وسأضع عينى عليها معظم الوقت حيث سأقوم بتمريضها خلال الأيام القادمة وهو أفضل ما يمكننى عمله. والآن فلتتفضل بالجلوس».

وناولته قدح الشاى فأخذه منها وقد بدت فى عينيه نظرة قلقة. ألتقت عيناه الزرقاء الغامضة لا بعينيها ولاحظ نظرتها المتغرسة.

سألها بأقتضاب: «ما هى فرص نجاح الجراحة فى رأيك»؟

وردت بهدوء: «يمكننى فقط أن أخبرك بأن والدى هو الأفضل» وحولت نظرها إلى جناح مريضات الجراحة النسائية.

قالت (جوليا) بتردد: «إذا... إذا ماتت... فأعتقد أن ذلك سيقتل والدى... أنا لا أتصور أن بإمكانه مواجهة هذا الموقف مرتين... وهى تشبه... تشبه (لوسى) إلى حد كبير».

قال (مارشال) برقة: «وقد كنت أنت التى أقنعته».

غرست (جوليا) أسنانها البيضاء فى شفتيها السفلى وهى تقول: «كان ذلك لسببين» وشردت بعينيها بعيداً. وقالت بصوت عميق كأنه يأتى من الماضى السحيق: «إن أبنة أخيك فى حاجة إليه كما أنه هو الآخر بحاجة إليها. ولا يمكن لأى إنسان آخر أن يقوم مقامها. إذا كُتبت له الحياة فأعتقد أنه سيعود لممارسة ما وطن نفسه عليه وهو أنقاذ حياة

الآخرين. أما إذا ماتت....»

ولم تستطع أن تكمل جملتها بينما نظر إليها (مارشال) بإمعان وقال برقة: إنك تمتلكين الكثير من الشجاعة والشفقة... إن ذلك يتبدى فى عينيك وفى فمك.. إننى حتى لم الحظ وجودك بالأمس. أما الآن فهما حدث فأعتقد أننى قد غيرت حياتك».

أحست (جوليا) برعدة بارد يسرى أوصالها فأستجمعت كل حنكتها العملية لتحتفظ بوجهها خالياً من أى تعبير. ولم تكن متأكدة إذا كان قد أدرك هذه الرعد التى أجتاحتها أم لا. كانت عيناه الغامضتان تحدقان فيها بلا شفقة فنهضت (جوليا) متجهة إلى جناح مريضات الجراحة النسائية.

قالت (جوليا) بلهجة سريعة: «سوف يأخذ الأمر بعض الوقت يا مسيو (مارشال). وأنا مشغولة جداً الآن. وإذا أردت الأتصال بى تليفونيا بعد حوالى ثلاث ساعات فقد يمكننى أن أنقل لك بعض الأخبار».

أومأ (مارشال) موافقاً ولكنه تساءل: «هل يمكننى الأتصال بك شخصياً... ممرضة (ردفورد)».

أجابت (جوليا): «نعم». وأستأذنك الآن فى الأنصراف».

قال (مارشال): «سأعود إلى الفندق الذى أقيم به... فلا أريد أن أعطلك عن أداء عملك... وشكراً لمساعدتك وعطفك».

أنحنى أمامها تلك الأنحناءة البسيطة الجافة: «وفجأة بدا إنساناً أجنبياً تماماً. لم تلحظ (جوليا) ذلك من قبل. كان رجلاً غامضاً صامتاً وأحست بأن المخاطر تحف به. كان ذلك مجرد أحساس ولكنه كان قوياً غالباً. وهى لا تريده أن يغير حياتها. ولا تريده فى حياتها أساساً.

لقد فعلت لأجله الكثير ولكنها كانت ستفعل ذلك لأى إنسان آخر. ورغم ذلك خالجها شعور مخيف بأنه قد أصبح له بعض الوصايه عليها. تبعاً لذلك القول القديم: «إذا أنقذت حياتى فإنك تصبح مسئولاً عنها».

كان (مارشال) غاضباً لأن (جوليا) لم تصحب (جوستين) فى حجرة العمليات. وشعر بالغيرة لأن الممرضات سيشاركن (جوستين) فى وقت (جوليا). ولكن منظر الحجرة القريبة من غرفة مكتب (جوليا) جعله يلوذ بالصمت.

خرج (مارشال) وتابعته (جوليا) بنظراتها وهو يبتعد: طويلاً غامضاً وممتلئاً بالرجولة. ولكنها تعرف أن بداخله بعض التحضر الذى يكمن تحت السطح فى أنتظار الأنفجار إذا ما فشلت هذه العملية الجراحية.

مررت (جوليا) يدها فوق معطفها الأبيض وهى تسرع إلى جناح مريضات الجراحة النسائية. فالعمل الجاد هو الشىء الوحيد الذى يمكنه أن يصرف تفكيرها بعيداً عن حجرة العمليات حيث ترقد الطفلة الصغيرة بين يدى والدها الماهرة. كما أنه سيشغلها عن تلك الصور المتوجسة التى بدأت ترسمها (للوك مارشال).

وأخيراً أقبل والدها وكان بريق عينيه ينبأها بكل ماتريد معرفته. وبمجرد رؤيته صاحت (جوليا) بأنفاس لاهثة: «أبى.... كيف حالها؟» ثم جذبته إلى غرفة المكتب وأغلقت الباب.

أجابها والدها: «هى بخير.... وسيحضرونها لك حالاً.... فقد نجحت الجراحة يا عزيزتى» وطوقها بذراعيه وضمها بشدة وهو يقول بصوت هادىء: «ربما يمكننى الآن أن أحيا مرة أخرى.... لقد كنت بحاجة لهذا الأمر لكى يعيدنى مرة أخرى للحياة.... لأبنتى الأخرى... شكراً لك يا (جوليا)... لقد كنت أكثر شجاعة منى».

عندما أتصل بها (لوك مارشال) تليفونياً كانت الدموع لاتزال تملأ عينيها ولكنها كانت دموع السعادة.

وسأل (مارشال) بصوت قلق: «الممرضة (ردفورد)؟» عندئذ أستيقظت كل حواسها وصاحت بسعادة بالغة: «إنها موجودة لدى الآن ياسيدى ويمكننى رؤيتها من مكانى هذا ولكنها ستظل تحت تأثير المخدر حتى الغد.

سألها (مارشال) بإلحاح: «هل يمكننى رؤيتها الآن؟... هل ستسمحين لى بذلك؟» عندئذ أنطلقت ضحكتها وتفجرت ينابيع السعادة بداخلها وهى تقول: «يمكنك أن تأتى إلى غرفة مكتبى وتشاهدها من خلال النافذة الزجاجية... يمكنك أن تحطم كل القواعد... وإذا وجه لك أى إنسان سؤالاً فإننى سأفجر نوبة غضبى».

قال (مارشال) ضاحكا: لست أدرى ماذا تعنى «نوبة» هذه غير أننى متأكد أنك مادمت ستفجريها فإنها ستكون حادة وقوية خاصة لو كنت بمثل حالتك هذا الصباح عندما أرسلتُ الممرضه خارج الغرفة» ثم علا صوته وهو يقول بحسم: «سأكون لديك خلال عشرين دقيقة وسيكون سلوكى على أفضل ما يمكن».

وضعت (جوليا) سماعة التليفون.. ولأول مرة منذ مده طويله... كانت تبتسم بسعادة.

الفصل الثانى

سرعان ما جاء (لوك مارشال) بعد أنتهاء المكالمة ومكث مع (جوليا) فى غرفة مكتبها. وأخذ يحدق فى (جوستين) بوجه مضطرب ونظرات جامدة. لم يكن هناك ما يمكن رويته سوى الوجه الصغير الأبيض والرأس المحاط بالضمادات بعناية ورغم ذلك كان بصره لا يكاد ينصرف عنها. لم تلحظ (جوليا) أى أثر لتلك الروح المرحة الخالية من الهموم والتى سرت إليها من خلال التليفون. كان صامتاً كئيباً وقد أنصرف وجهه يرقب أبنة أخيه فى أستغراق تام.

وتصفحت عيناه وجه (جوليا) وهو يقول: «هل ستتولين رعايتها جيداً.. ممرضة (ردفورد)؟»

ردت جوليا ببساطة: «إنها مريضتى يامسيو مارشال» ولكنه أدخل الروع إلى قلبها وهو يرد بقوة: «يجب أن تكون (جوستين) أكثر من ذلك بالنسبة لك يا آنستى. لقد عانت بما فيه الكفاية ولا يكفى أن تبقى على قيد الحياة. بل يجب أن تكون سعيدة... آمنة بدون أدنى شك».

قالت (جوليا) بصوت جاف: «يمكننى أن أعدك بكل ذلك أثناء وجودها فى رعايتى يامسيو (مارشال)» ثم أضافت: «إن السعادة لا تُمنح ولكننى سأفعل ما بوسعى».

أستدار (مارشال) بكامله ناظراً إليها وقد أستند بمرفقين على مكتبها واضعاً ساقاً فوق أخرى وقد تجلت أناقته ثم قال لها: «مادامت معك فستكون فى أمان» نطق بهذه الكلمات بينما كان يرقب وجهها فى تحقر ثم أستطرد قائلاً: «كنت أتمنى أن تكونين معها طوال الوقت رغم معرفتى بأن ذلك سيؤثر على عملك».

قالت (جوليا) بتهكم: «مسيو (مارشال)... شكراً لك على حسن ظنك وسلوكك الطيب كل هذا الوقت» وبينما كان يحدق فيها أستطردت (جوليا) قائلة: «إن ممرضة الفترة الليلية ماهرة جداً وستكون الطفلة نائمة أغلب الوقت ثم أتسلم أنا العمل فى الصباح».

وسألها (مارشال): «وماذا عن أجازاتك».

قالت (جوليا) بهدوء: «لدينا نقص فى عدد العاملين» وأستدارت ترنو إلى ذلك الجسد الضئيل المسجى فى الفراش ثم أردفت قائلة: «طالما أنها بهذه الحالة فيمكننى ترتيب تواجدى هنا يومياً. ولا أعتقد أن هناك من سيعترض على ذلك».

قال (مارشال) بإمتنان: «شكراً لك آنسة.... آ.... ممرضة (ردفورد)» صحح (مارشال) خطأه بواحدة من أبتساماته النادرة وقد بدا رأسه مثقلاً بالتفكير العميق وهو يرقب أبنة أخيه.

وأضاف (مارشال): «لم أتوقع أن أصبح مديناً بالشكر إلى هذا الحد لفتاه إنجليزية».

قالت (جوليا) بسخرية باردة: «إنه واجبى يا سيدى»... لقد بدأت تنزعج من نظراته المركزة إذا لم تأخذ حذرها فإن هذا الرجل وتلك الطفلة سيغزون حياتها. لقد أستشعرت تحذيراً غريزياً وكان رد فعلها سريعاً وحذراً فهى ليست بحاجة لمزيد من الأحباط فى حياتها.

قال لها (مارشال) بهدوء: «لم يكن واجبك أن تقنعى والدك يا ممرضة (ردفورد)».

قالت (جوليا): لم يكن هناك بديل آخر وعلى أية حال فهو سعيد

وأعتقد أن كل منا قد أسعدته النتيجة يا سيدى. والآن أجدنى مضطره أن أطلب منك المغادره إذا لم يكن فى ذلك مايضايقك. فيجب أن أستعد لتسليم العمل لممرضة الفترة الليلية».

لم يكن ذلك هو رد فعلها التلقائى المجرد تجاه أى أخلال بهدوء جناح مريضات الجراحة النسائية ونظامه المحكم لكنها أحست وكأنها تغالب قوة ردود أفعالهم بعد أجراء جراحة ناجحة تختلف كثيراً عن رد فعل ذلك الغريب المثير. فلم تختف صرامته على الأطلاق إذ بعد ذلك الأنفجار الأولى للسعادة عاد إلى وضعه الطبيعى.. إذا كان ذلك هو وضعه الطبيعى. لقد عاد إلى القلق والترقب مما أوجد لديها أحساساً بالحذر كما لو كان عليهم أن يتحدثوا دائماً بأحتراس.

سيغادر (مارشال) المكان مكرهاً رغم أنه لم يكن يريد أن يعرض فرص شفاء أبنة أخية للخطر.

بينما كان يغادر المكان ظهر (جراهام) آتياً لغرفة المكتب. نظر (مارشال) (لجوليا) وأرتفع حاجباه فى دهشة لذلك التعبير المفاجىء الذى طرأ على وجهها حيث بدت عيناها باردة خالية من الشفقة.

وتمتم (مارشال): «طبيب» وذلك عندما رأى المعطف الأبيض والسماعة الطبية فى جيب (جراهام). عندئذ ألتفت (لجوليا) قائلاً: «أرجو ألا يكون وجودى يسبب لك أى مشاكل.... ممرضة (ردفورد).

وأندفعت (جوليا) قائلة فى حدة: «لا تقلق» وقد كادت لا تلحظ (مارشال) فى طيات تيار القسوة الذى أجتاحها عندما رأت (جراهام). وقالت (جوليا): ليس لديه سلطة عمل شىء... كما أن هذا الجناح يخصنى حتى أسلمه للممرضة (تود).

قال (مارشال): «إذن دعينى أقول لك: طاب مساؤك وسوف آتى فى الغد».

عندما وصل (جراهام) لباب الحجرة كان (مارشال) يترك المكان بينما همست (جوليا) بالخروج فلم يكن لديها أدنى أستعداد للبقاء مع (جراهام

أدمز) فى حجرة المكتب.

وبينما كان (مارشال) يبتعد عبر الممر المضاء سألت (جوليا) ببرود: «هل تريد شيئاً.. طبيب (جراهام)».

أجابها (جراهام): أوه... بحق الآلهة يا (جوليا)... لا تكونى بهذه الصورة يا عزيزتى» وحاول (جراهام) الأمساك بيدها فتصلبت (جوليا) وأتخذت وضعاً يكاد يكون قتالياً وأرتفعت رأسها فى صرامة منتزعة يدها من بين الأصابع الممتدة.

أرتفعت نبرة صوتها وهى تقول: «إذا كانت هذه زيارة شخصية فأرجوا أن تغادر الجناح».

غمغم (جراهام) وأطلق زفرات غاضبة مدركاً خيبة مسعاه فأستدار ببطء وسار عبر الممر الصغير متجهاً إلى الممر الرئيسى. أستندت (جوليا) إلى الباب وقد تراخى كتفاها المنتصبان وشحب وجهها. لقد كانت على حق عندما لم تدع أحداً غيرها يعرف بهذا الأمر. كانت صفعة قاسية عندما هجرها (جراهام) من أجل المال وتأمين مستقبله. قد يصل للقمة سريعاً فهو يسحق كل من يعترض سبيله.

مدت (جوليا) يدها تمسح دموع القسوة التى ملأت عينيها. وفى هذه اللحظة فقط رأت ذلك الفرنسى يقف على مقربة فى الممر الرئيسى وقد تركزت عيناه الغامضتان عليها وأمتلأ وجهه بالعديد من الأسئلة الصامتة.

تراجع (مارشال) خطوة فى أتجاهها وهو يقول بهدوء: «ممرضة ردفورد؟» لكنها أستدارت سريعاً وأتجهت إلى جناح المرضى. فهى لا تريده أن يذكرها الآن بأن أمورها الشخصية لا يجب أن تكون على حساب مصلحة أبنة أخيه. لم يكن لديه شك فى أنه سيعود ليقول ذلك.

أحست (جوليا) بسعادة عند نهاية اليوم فقد كان يوماً مشحوناً بالعمل مليئاً بالمواقف الصعبة والمنعطفات الحرجة. وقد كانت نهايته مثيرة بوصول (جراهام) وذلك الموقف المستبد لهذا الفرنسى. شعرت برغبة قوية فى العودة لوالدها لتشاركه فرحته بما أنجزه ولترى وجهه وقد أستعاد أشراقه

وسعادته الهادئة التى ألفها طوال حياتها. غطت (جوليا) كتفيها بوشاح ذى خطوط حمراء ومرت من الباب الرئيسى للمستشفى هابطة درجات السلم الواسعة.

كان (جراهام) فى أنتظارها وأقتحم طريقها قبل أن تستطع الأبتعاد عنه.

قال (جراهام): «(جوليا).... يجب أن أتحدث إليك ويجب أن أحصل على فرصة لذلك، وجذب ذراعها ولكنها أنتزعتها منه بعنف وأستدارت إليه وقد ملئها الغيظ والحنق وهى تقول:

«كيف تجرؤ على محادثتى فى هذا المكان حيث يمكن لأى أحد أن يرانا؟» ثم أضافت بغضب مكتوم: «كيف تجرؤ على محادثتى أساساً بعد كل ما فعلته؟»

قال (جراهام) بتوسل: «إننى لازلت أحبك يا(جوليا)... هل تعلمين ما يحدث لى كل يوم وأريد أن أضمك بين ذراعى؟ إننى لم يتغير شىء من ناحيتى».

قالت (جوليا) بقسوة وحدة: لكنك تغيرت فعلاً.. وأنت الآن مرتبط بأمرأة أخرى وتستعد لحياة جديدة... وأنت على وشك الزواج».

غمغم (جراهام): «إنك لاتعرفينها يا عزيزتى... إن وجهها يشع بالأحباط. ولم يكن لى رغبة فى ذلك ولكنها تمتلك مقدرة فائقة على الأقناع. وكان على أن أفكر فى مستقبلى.... إننى لم أجد جراحاً كبيراً يتولى رعايتى».

قالت (جوليا) بتهكم: «وأبى أيضاً لم يجد من يمد له يد العون فى بداية طريقه» وأمتلئت عيناها بدموع غاضبة خجلى وهى تقول: «لقد عمل من أجل تحقيق النجاح ولكنه لم يبع نفسه له».

وهمس (جراهام) عندما رأى دموعها: «(جوليا)» وأمتدت يده مرة أخرى تلامس ذراعها ولكنه أبتعد فجأة عندما أتاهما صوت رابط الجأش أجفلت له (جوليا) حتى .كادت تقفز من مكانها وقد أمتلأ وجهها

بالأرتباك بينما غارت دموع عينيها.

ظهر (لوك مارشال) من حيث لايدرون وقال بصوت هادىء: «ها أنت هنا أخيراً. لقد ظننت أننى لن أجدك على الأطلاق... ها هى سيارتى تنتظر قريباً من هنا». لقد بدا وكأنه يحلق فوقهم بقامته الفارهة وقد أدرك الجو المفعم بالألم الذى كان سائداً بينهما.

أمسك (مارشال) بذراع (جوليا) بثبات بعيداً عن (جراهام) متجهاً إلى حيث تقف سيارته. وتساءل مارشال برقة: هل تحضرين سيارتك الخاصة إلى المستشفى... آنستى؟»

ردت (جوليا): «كلا... فالأمر لايستحق. وفى العادة فإننى أستخدم المواصلات العامة».

أحست (جوليا) أن جسدها يرتعد ولابد أنه شعر بذلك إذا أحكم قبضته حول ذراعها. قالت (جوليا) بصوت صارم: «سوف أستخدم المواصلات العامة إذا لم يكن فى ذلك مايضايقك؟

ورد (مارشال) بهدوء: «سوف آخذك إلى المنزل» ثم فتح لها باب السيارة. كانت (جوليا) مرهقة لدرجة أنها لم تقو على الرفض. ظل (جراهام) واقفاً بمكانه يصوب نظرات البغض والعداوة إلى ذلك الفرنسى دون أن يستطع الأعتراض.

أبتعد (مارشال) بالسيارة دون أن تبدر منه أدنى التفاته تجاه (جراهام أدامز) الممتلىء غضباً. وبعد برهة... أستجمعت (جوليا) قواها لتسأله بتهيب: «إنك.... إنك لم تكن تنتظرنى فى الحقيقة.. أليس كذلك؟»

أجاب (مارشال) بلهجة تأكيدية: «فى الحقيقة... كنت أنتظرك». فإننى لم أستطع تمالك نفسى عندما لاحظت أضطرابك عند لقاءك بهذا الطبيب فى المستشفى رغم أننى رأيته يطيع أوامرك مثلما يفعل الآخرون. ولقد رأيته ينتظر بالخارج فدار بخلدى أن يكون فى أنتظار خروجك».

قالت (جوليا) بجدية: «شكراً لك يا سيدى ولكننى لست بحاجة لحمايتى من العاملين بالمستشفى. كما أنه ليس من عادتى أن أوافق على

ركوب سيارات أقارب مرضاى».

ورد (مارشال) بنفس الجدية: «إن مريضتك هى السبب الوحيد لوجودى هنا... ياآنستى... إننى لا أريد أن أسبب لك أزعاجاً وأتمنى أن تهدئى الآن تماماً. لقد قمت بعمل الأستعلامات عنك وتوصلت إلى أنك ممرضة فريدة الطراز حسب مايقولون فإن هذا هو سبب ترقيتك كبيرة للممرضات رغم حداثة سنك. وقيل لى أيضاً أن خطيبك قد هجرك إلى فتاة أخرى ذات أمكانيات أفضل. وإذا كان قد بدأ يعود إليك فلأنه أدرك أن النقود ليست هى أهم مايبحث عنه الرجل لدى المرأة. وفى هذه الحالة فإنه سيسبب لك أزعاجاً متواصلاً... وأنا لا أنوى الوقوف متفرجاً بينما يحدث لك ذلك».

صاحت (جوليا) بأستنكار: «كيف تجرأت على ذلك؟».

ثم صمتت لمدة ثلاث ثوان كاملة لكى تستوعب حدينة الطويل وتلتقط أنفاسها فى مواجهة هذا التدخل الصريح ثم قالت: «كيف تجرأت على التطفل على حياتى الخاصة والتدخل فى شىء لايعنيك أنت على الأقل».

وأنطلقت كلماته محتدة: «طالما أن (جوستين) فى رعايتك فليست لك حياة خاصة فيما يرتبط بى ولقد أنقذت أنت حياتها بالفعل».

صاحت (جوليا) بعصبية: «لقد فعل والدى ذلك و...» ولكنه لم يسمح لها بالأستمرار فقاطعها قائلاً:

«لقد كانت على وشك الهلاك. فقد رأيت وجهك عندما رأيتها بحجرتها لأول مرة. ولم تحاول الممرضة الأخرى عمل شىء بمجرد أن سلمتها لك. وكانت قانعة بمحاولة إبقاء حالتها على ماهى عليه. فهى لم تر ما رأيته أنت. وتصرفت أنت بسرعة وشجاعة ومهارة. لقد أنقذت حياتها وكان والدك مجرد أداه أستخدميها لمعاونتك.. وطالما الأمر يرتبط بى فإننى أراك الأفضل و(جوستين) تحتاج الأفضل. ولسوف أحميك من أى مضايقة حتى لو تطلب ذلك أن أتتبعك أو أن آتى بك من أى مكان أو أن

أوصلك للمستشفى أو أن أستخدم القوة لإيقاف ذلك الطبيب عند حده. لن أسمح لأى شىء أو أى إنسان أن يقف حائلاً مابينك وبين (جوستين).

كانت (جوليا) صامته تماماً. فلم يحدث على مدى حياتها أن تصرف أحد تجاهها بمثل هذا الأسلوب ولم يحدث أن رفعها أحد إلى تلك المنزلة السامية بحيث لا يعدو الأخرين إلا أن يكونوا ذوى أعتبارات ثانوية لا أهمية لها. لقد عرفت المشاكل بمجرد أن رأت مسيو (مارشال) ولكن لم يكن لديها تصور واضح لنوعية هذه المشاكل ولم تتصور أن تتخذ هذا الشكل.

خاطبته (جوليا) برفق: «مسيو (مارشال)».

لقد أصبح أسلوبها حذراً فى مواجهة ثقته الواضحة فى قدراته المتميزة. وأستطردت بصوت هادىء:

«ليس لزاماً عليك أن تتخذ هذا الموقف. وأنا أؤكد لك...»

وقاطعها بحدة: لاتخاطبيننى كما لو كنت مجنوناً ياآنستى. إن كل عالمى يدور الآن حول طفلة صغيرة. وأنا أعتزم العودة بها إلى فرنسا معافاة صحيحة وسعيدة. وأى إنسان يحول مابينى وبينها سوف أطرحه بعيداً. وأنت ضرورية لوجودها ومسئولة الآن عن بقائها على قيد الحياة. وأنا عاقد العزم على التعامل بلا شفقه مع أى إنسان يضايقك».

قالت (جوليا) بغضب متزايد: «إننى مجرد ممرضة ياسيدى»

وصحح كلماتها بقسوة قائلاً: «أنت ممرضة (جوستين)» وأدار نحوها وجهه الغامض ورفعها بنظرة جعلتها تلوذ بالصمت. ثم قال لها: «إلى أن تُشفى (جوستين) فإنك تحت حمايتى.. ممرضة (ردفورد)... سواء رضيت أم أبيت.. أننى أنوى مراقبتك ومراقبة كل من يجرؤ على التدخل».

لم تكن هناك فائدة فأذعنت فى ذهول. قد يمكنها أن توجه صفعة قوية ولكنه بدا قادراً على ضربها فوق ركبتية وضربها على مؤخرتها ثم يطلب منها الذهاب لفراشها حتى تستيقظ بكامل نشاطها فى الصباح وتستطيع العناية (بجوستين). وبسبب أرهاقها الشديد شعرت بأحباط نام

تجاه هذا الموقف الذى لا يصدق. لقد أبتعد (جراهام) كثيراً عن بؤره تفكيرها. وأحست (جوليا) بحيرة وتردد مابين الأنفجار فى الغضب أو الانفجار فى الضحك.

وقالت (جوليا) بهدوء: «ربما لم يتضح لك الأمر يا مسيو (مارشال) فقد أزعجتنى أنت نفسك. وعلى كل فما يعنينى الآن هوالعودة للمنزل لأتناول طعام العشاء مع والدى ونتحدث عن (جوستين) ومشاكلها الطبية.»

وصاح فى لهجة رضا: ممتاز.... إنك ممرضة رائعة... لقد كانت معجزة أن تعز (جوستين) عليك. وعلى أية حال لاداعى للقلق فسوف نصل للمنزل مبكراً عن ميعاد وصولك بأستخدام المواصلات العامة.»

وردت (جوليا) بعصبية: «غير أن سائقى المواصلات العامة لايتدخلون فى حياتى محاولين التحكم فيها» أحست أن الأمور قد بلغت حداً يجب الوقوف عنده فما أن رأت منزلهم يلوح على مقربة حتى قالت: «هانحن قد وصلنا. لست بحاجة لأن تأخذنى للعمل فى الغد يا سيدى. فأنا أذهب مع والدى دائماً. وأما فى المساء فسأعود للمنزل بنفسى وسأتعامل مع مشاكلى الخاصة وأصد أى طفيلى يحاول أقتحام طريقى. طاب مساؤك يا سيدى».

تجاهل (مارشال) غضبها تماماً وقال بإبتهاج: «كنت أتمنى لو أنك ووالدك تناولتما طعام العشاء معى الليلة»

وأنفجرت قائلة: «أؤكد لك يا سيدى أننا لا نود ذلك على الأطلاق. ويمكننى الرد نيابة عن والدى أيضاً. لقد كان يومنا مشحوناً بالعمل. كما أن رحلة عودتى للمنزل كانت مليئة بالأثارة والقلق. ومرة أخرى: طاب مساؤك يا سيدى».

وأحس (مارشال) أن كل ماحدث يدعو للضحك بينما لم تجده (جوليا) كذلك. ولم تجد داعياً لأن تقص ماحدث على والدها فتوقفت قليلاً تلتقط أنفاسها ثم دخلت المنزل. وباذلت والدها الأبتسام فى

سعادة. كانت أمسية سعيدة رغم أن طيف مسيو (مارشال) كان يتراءى أمام عينيها كلما تذكرت موقفه المحير. وبفضل خبرتها أستطاعت تجاوز ذلك.

بد (لوك مارشال) وكأنه يتواجد فى المستشفى بأستمرار لمتابعة تقدم حالة أبنة أخية وللتأكيد من التزام (جوليا) تماماً بالقواعد. ولم يكن شيئاً مريحاً على الأطلاق. وكانت حالة (جوستين) عادية بالمقارنة بمثيلاتها. كانت لاتكاد تتحرك فلم تستعد بعد وعيها تماماً. ورغم انها استطاعت التعرف على عمها بوضوح فلم تبذل أى جهد للحديث معه.

فى معظم الأيام كان (لوك مارشال) يغادر المستشفى مقطب الجبين ولاتنفرج أساريره إلا عندما يأتى أحياناً على نحو مفاجىء فيجد (جوليا) بجوار فراش الطفلة الصغيرة تهمس تحاول محادثتها بصوت هامس وقد أمسكت بأصابعها الصغيرة الواهنة. ولم تكن (جوستين) تحاول الأجابة.

وأخيراً أستعادت (جوستين) وعيها وكانت السعادة تترفرف فى عينيها عندما تقص (جوليا) عليها بعضاً من القصص الممتعة التى كانت تقصها على (لوسى) ولكن لم تضحك (جوستين) بصوت مسموع على الأطلاق.

ومن الناحية الطبية فقد كانت حالة الطفلة تتحسن على نحو ممتاز وكان (بول ردفورد) يراها أكثر من مرة فى اليوم الواحد. لقد عاد إلى حياة العمل وبدا كل المستشفى مبتهجاً بذلك. كان يرى فى (جوستين) حالته الخاصة وتعويذته السحرية.

أحست (جوليا) ببعض الحيرة فقد أصبح بإمكان (جوستين) أن تجلس وتتناول طعامها كما تم تخفيض العلاج أقل مايمكن ورغم ذلك لم يصدر عنها أى صوت سواء كان ضحكاً أو بكاء أو حتى كلمة واحدة.

فى عصر أحد الأيام جاء (بول ردفورد) لرؤيتها فسألته (جوليا) عن سر حالتها هذه ولكنه أنصرف إلى غرفة المكتب بادى القلق وبدون أن يجيب. لحقت به جوليا متسائلة: «ماذا حدث؟»

قال (ردفورد) فى صوت متحير: «لا شىء على الأطلاق يا عزيزتى.

فقد قمنا بعمل الفحوصات والأشعة السينية على عمودها الفقرى ولكن لم نجد ما يفسر هذه الحالة. فلا يوجد أى أثر للإصابة من حادث السيارة».

ثم أضاف فجأة: «إننى لا أفترض وجود خطأ ما قبل هذه الحادثة. فنحن إذن لا نتعامل مع طفلة بكماء أليس كذلك؟ كما أننى لست متأكدا إذا ما كان (مارشال) سيخبرنا بشىء كهذا. فهو رجل غريب على أية حال».

قالت (جوليا) بصوت عميق: «نعم هو رجل غريب فعلاً». وفى الواقع كانت أهميته قد بدأت تتزايد فى عقلها. أهمية غامضة ولا تبدو لديها المقدرة على دفعها. لقد خففت عنها بعض من تعاستها بسبب (جراهام) مما جعلها لا تتردد فى أستهجان محاولاته المترددة للأقتراب منها عندما كانت بالمستشفى. وتكاد (جوليا) الآن تقضى كل دقيقة من وقت فراغها تفكر فى الطفلة أو فى عمها.

قالت (جوليا): «أعتقد أنه قد يقول لى شيئاً فهو يرانى ممرضة ذات قدرات خاصة ولا أعتقد أنه سيحجب عنى معلومات هامة».

قال والدها: «كلا» ثم أطلق ضحكة مفاجئة وهو يقول: «لقد حدثنى عنك ولكنه لم يكن واضحاً تماماً وقد كونت عنه أنطباعاً وفضلت الأسترشاد برأيك خلال فترة وجود (جوستين)».

قالت (جوليا) بإنفعال: «معك حق فهو أقرب ما يكون إلى الرجل المستحيل. وعلى أية حال فسوف أتحدث معه بخصوص (جوستين) عندما يحضر عما قليل».

قال والدها: «إذن فلتخبرينى الليلة يا عزيزتى» ثم ألقى نظرة سريعة على الطفلة الصغيرة من خلال النافذة وأبتسم لها ملوحاً بيده. وخنق قلب (جوليا) وتسارعت ضرباته عندما رأت الطفلة تبتسم ببطء ثم تلوح بيدها..

همس (ردفورد): «حسناً» ثم تبادل مع أبنته نظرة تنم عن فهم مشترك.

قال والدها بهدوء: «(جوليا)... عليك بمعرفة شىء من ذلك الفرنسى الغريب... لا تدعينه يماطل فى ذلك فهناك شىء بادى الخطأ فى هذا الأمر ومن الأفضل أن نعرفه بأسرع ما يمكن».

وبمجرد وصول (لوك مارشال) أفتادته (جوليا) إلى غرفة المكتب وسألته بأهتمام: «أنا لا أعتقد أن (جوستين) تتحدث الأنجليزية يا سيدى».

فأجابها وقد تركزت عليها عيناه: «هى تتحدثها فى واقع الأمر».

قالت جوليا بعناية: «إذن فهى تتحدث بالفعل» وتجهم وجهها وهى ترى حاجبين يرتفعان وقد كسى الترقب وجهه.

سأل (مارشال) بحدة: «ماذا تريدين قوله بالضبط؟» وكأنه قد قرر أقتحام الأمر مباشرة.

ردت (جوليا): أريد أن أسألك إذا ما كان هناك شىء بخصوص (جوستين) لم تخبرنا به... فهل هى طبيعية تماماً يا مسيو (مارشال)؟

أجابها ببرود: «نعم كانت طبيعية تماماً» وضاقت عيناه بتريب وهو يتساءل: «إذا كانت غير طبيعية الآن فإن البروفيسور (ردفورد) لا يكون جراحاً عظيماً كما تقول سمعته. فماذا حدث لها بالضبط؟» وأنتفض مارشال واقفاً بقامته المريدة وقد أمتلاء وجهه بالتهديد ولكنه لم يكن من السهل تخويف (جوليا) على الرغم من أن قلبها دق دقة مفاجئة مثيرة.

قالت (جوليا): هى تخضع الآن لأجراء الفحوص وعمل الأشعة السينية. ومن الوجهة الطبية فإن حالتها ممتازة. ورغم ذلك فأنا أعتقد... فنحن نعتقد إما انها لا تستطيع الكلام وإما أنها لا تريده».

ثبتت نظراته عليها فى أنزعاج ثم أستدار إلى النافذة الزجاجية وأزاح الستار جانباً وجمدت نظرته المرتعشة تحملق فى الطفلة الصغيرة الراقدة فى سكون.

قال (مارشال) فى ذعر: لقد كنت أعرف ذلك ولم أصدقه وكنت أنتظر أن تخبرونى به. من الواضح أنك تتخيلين أنها لم تكن طبيعية قبل

الحادثة وأننى قد كتمت عنكم بعض الأمور. لكننى لم أفعل. كانت كما أخبرتك منذ البداية ممتلئة بالحيوية والأنطلاق زلقة اللسان. «وأستدار (لجوليا) بعينيه الجامدتين وهو يقول: إننى لا ألومك بل أكرر أنك كنت فى غاية اليقظة. إذا كانت (جوستين) قد فقدت القدرة على النطق فإن ذلك يرجع لخطأ ما أثناء الجراحة. فأين أجد البروفيسور (ردفورد)؟ لابد من مقابلته فوراً.»

قالت (جوليا) بحدة: «لن يمكنك عمل شىء» وأنتفضت بغضب فى مواجهته وهى تقول: «هل من عادتك يا مسيو (مارشال) أن تلقى اللوم على الآخرين؟. لقد أعطت الأختبارات نتائج واضحة وبكل المقاييس فقد تم شفاء (جوستين) ولا يوجد أثر لحادثة السيارة.»

قال (مارشال) بأهتياج: «هناك شىء مفقود. إنه خطأ وقع بسبب عدم قيام والدك بأجراء عمليات جراحية لبعض الوقت».

صاحت جوليا بغضب: «إن والدى لا يخطىء». ونسيت (جوليا) كل قواعد وأنضباط العمل بالمستشفى لدى سماعها هذا الهجوم على والدها. ولكن لم يظهر (مارشال) أى بادرة للتراجع.

فقال بصوت مستفز: «لقد أرتكب خطأ مأساوياً ذات مرة. وكل منكما يدفع ثمن منذ ذلك الوقت».

لو أن (مارشال) صفعها بقوة فلم تكن لتشعر كل ذلك الألم الرهيب الذى أحسته لدى سماعها كلماته هذه. شحب لون وجهها تماماً حتى صار فى بياض الطباشير وحدقت فيه عيناها الزرقاء العميقة فى أستنكار مذهول وهمست.

«كانت (لوسى) مصابة بورم فى المخ غير قابل للشفاء. وكان والدى يعلم بذلك فكان اليأس فقط هو الذى دفعه لأجراء الجراحة. لقد وضع كل اللوم على عاتقه لا لسبب سوى أننا كنا نحبها».

وأنسكبت دموعها تغطى وجهها ولم تبذل أى محاولة لإيقافها وفى هذه الموجه من التعاسة نسيت المستشفى واجباتها وذلك الرجل الجاف.

تقدم (مارشال) نحوها هامساً: «سامحينى يا عزيزتى... إننى إنسان هجمى» وجذبها بين ذراعيه ووضع يده خلف رأسها يدفعه إلى صدره وقال: «لقد ناضلت من أجل حياة أثيرة لدى ولم أقدم بالمقابل سوى الآلام.... أرجوك يا (جوليا) سامحينى».

قالت (جوليا) بصوت مهتز: «أسمى... ممرضة (ردفورد)» ونصبت قامتها مبتعدة عن ذلك الأحساس الرهيب بالراحة الذى سرى بداخلها سريعاً.

قال (مارشال) بهدوء: «لم يكن أسمك كذلك للحظة قصيرة» ومد يده بضبط وضع غطاء رأسها الأبيض المزركش وقد أشمئزت عيناه من همجيته.

قال لها: الآن وقد أستعدت حالتك العادية فدعينى اسألك سؤالاً: ماذا ستفعل بخصوص (جوستين)... ممرضة (ردفورد)؟

قالت (جوليا) بلهجة حادة وهى تكفكف دموعها: سوف نجرى لها فحص شامل. بطريقة منهجية تحليلية وهى لا تزال على فراشها. ولن نصب غضبنا على أحد حتى يأتى ذلك الوقت».

ووافقها قائلاً: «وأنا أيضاً سأحاول ألا أفعل ذلك». ولأول مرة رأت (جوليا) فى عينيه أبتسامة خففت حزنها المفاجىء ولكن لم تخدعها ولو للحظة واحدة. فأمامها رجل جاف همجى يبدو واضحاً أنه أعتاد أصدار الأوامر وتعود أن تطاع أوامره. هو يستلزم الكثير من التعامل الحذر ولكنها ليست متأكدة من قدرتها على ذلك. وسيتضح ذلك بمرور الوقت.

أخبرته (جوليا) أن عليه الذهاب لمشاهدة (جوستين) التى كانت قد بدأت تتقلب فى فراشها.

وراقبتها (جوليا) من خلال النافذة الزجاجية. بمجرد دخوله أمتدت إليه يد الطفلة وأرتسمت إبتسامة على شفتيها بينما رفعت وجهها لتقبله. لقد كانا غريبين مليئين بالأسرار والغموض.

أزاحت (جوليا) الستارة لتغطى النافذة ثم غادرت غرفة مكتبها

متجهة إلى البهجة المشرقة فى جناح مريضات الجراحة. لقد بدا لها أن وجود كل من (مارشال) و (جوستين) غير متوافقاً مع مايحيط بهم. فهما أجنبيان ويعيشان فى عالم صعب الأختراق. وعلى أى حال فيجب أن تجد مدخلاً لهذا العالم وإلا فقد لاتستطيع (جوستين) الكلام مرة أخرى. أحست (جوليا) عندئذ بأتهام داخلى عميق يدعم أحاسيسها.

كان (جراهام) موجوداً فى جناح مريضات الجراحة وقد مرت به ولم تكد تلحظ وجوده. كان رجلاً آخر يشغل تفكيرها. رجل غامض صعب المراس ذا مشكلة بالغة الصعوبة. ولم يكن لديها أدنى شك فى أن (لوك مارشال) يتوقع منها أن تحلها له.

مرة أخرى كان (مارشال) ينتظرها عند مغادرتها المستشفى ولكنها كانت تتوقع ذلك هذه المرة. وبدون أى تردد ركبت سيارته وهى تدرك تماماً أنها إذا كانت ستقترب من (جوستين) بحيث يمكنها مساعدتها فيجب أن تقترب أولاً من عمها.

وبينما أخذوا طريقهم للمنزل قال لها (مارشال): «يجب أن يتضح لك أننا لابد أن نتحدث حديثاً خاصاً. فأنت تكونين مشغولة جداً فى المستشفى... وأنا أطلب منك مرة أخرى أن نتناول العشاء معاً».

ردت (جوليا) بهدوء وأتزان: «حسناً» وكتمت ضحكتها عندما محت دهشته. لقد كان نصراً صغيراً لايستحق أن يفاجىء مسيو (مارشال).

وسألها بأهتمام: «الليلة؟»

أجابت (جوليا): «نعم ياسيدى فسأكون مستعدة فى السابعة والنصف.. إذا أمكنك المرور على».

وسأل (مارشال) بشغف: «والبروفيسور؟» ثم أضاف: «يمكننا أن نتناول حديثاً مشتركاً».

ردت (جوليا) بجدية: «كلا... فوالدى كان لديه الكثير من العمل فى نهاية اليوم وسيكون متعباً جداً».

وسألها بلطف: «وأنت الأخرى كان لديك الكثير من العمل طوال

اليوم.. ألا تشعرين بالأرهاق؟.. إن ماتقصدينه... ممرضة (ردفورد).... هو أنك لن تسمحى لى بالأقتراب من والدك بدرجة كافية لمساءلته. وأنا أتفق معك. فأنت حارسة (جوستين). ولا أتوقع ألا تكونين كذلك مع الآخرين وخاصة والدك. فهذه هى أخلاقك... وسيكون لى الشرف أن أتناول العشاء معك».

قالت (جوليا) بجدية: «أمن أجل الحديث عن (جوستين) فقط ياسيدى. سيكون ذلك مضيعة للوقت إذا لم نصل إلى شىء مفيد».

قال (مارشال) بتهكم. «لن أعتبره وقتاً ضائعاً ياآنستى... لقد قلت أنه سيكون شرف لى وأنا أعنى ذلك».

لم تكن واثقة من التصرف الأمثل فى هذا الموقف لكنها كانت ترى أن أفضل أسلوب لمعاملته فى أى حال هو الأسلوب الجاد. عندما وصلا للمنزل غادرت السيارة بعد أن أومأت له مبتسمه. وبمجرد دخولها المنزل أحست بسعادة وهى توصد خلفها لتفصله عن حياتها للحظة.

روت لوالدها بأختصار ماحدث أثناء مقابلتها لذلك الفرنسى فى المستشفى ثم أخبرته بميعاد خروجهم لتناول العشاء.

سألها والدها بهدوء وهو يرقب وجهها: «أتراك تسيرين لنهاية المطاف كالعادة ياعزيزتى؟» كانت تعرف مايقصده. فهى دائماً تستغرق فى عملها إلى أقصى الحدود. لقد كان ذلك الألتزام التام تجاه الحياة هو الذى أوصلها لما حدث مع (جراهام). لقد عانت معاناة مريرة وكان والدها يعرف ذلك.

قال والدها برقة: «ليس عليك سوى الحذر من مغالطة نفسك».

ردت (جوليا): إن هذا الفرنسى هو شيطان وسيم. وهو أقوى رجل رأيته».

ثم أردفت بصوت عابث: «إنه مجنون ياأبى».

ضحك والدها قائلاً: «إذن فهذا شىء طيب ثم أستطرد قائلاً: «تحدثى إليه بهدوء وأهتمام».

لقد حاولت (جوليا) ذلك بالفعل. وهى تكاد تقترب منه أكثر عندما تثير غضبه رغم أحساسها بأنها لم ترى سوى النذر اليسير من هذا الغضب... وبالتأكيد فهناك الكثير يموج فى الأعماق.

الفصـــــل الثالث

لم تكن بحاجة إلى أقتراح مكان لتناول العشاء فقد أخذها من تلقاء نفسه إلى أفضل مكان. كانت تشعر بالسعادة لوجود الكثيرين ممن يعرفونها ويعرفون (جراهام). كان عزاءً بسيطاً أن يرونها مع رجل وسيم جداً وسيقولون أنها لاتتشبث بحب ضائع.

كان (لوك مارشال) يعطى أنطباعاً بالحماية القوية وبدا وكأنه على أستعداد لأن يهدم المكان على من فيه إذا حدث وجرحت (جوليا) نفسها عن طريق الخطأ. كانت (جوليا) تعرف أنه إنما يحرس حارسة (جوستين) ولكنها أدركت أن الناس سيكونون أستنتاجاتهم الخاصة.

كانت سعيدة لأنها أحسنت أختيار ملابسها. فمنذ فشل خطوبتها (لجراهام) وهى تكاد تنسى نفسها تماماً. لم تكن ترتدى سوى الجينز فى المنزل ثم زى العمل فى المستشفى. لقد نسيت إلى حد كبير الأستمتاع بأنوثتها.

إنها تمتلك الكثير من الملابس. وقد أرتدت الليلة فستاناً حريرياً أصفر شاحب زُين نصفه الأسفل برسومات لأوراق الشجر. كان حزام خصرها متماشياً تماماً مع تلك الأوراق الريشية الشكل. وتركت شعرها مسترسلاً على سجيته يلمع فى الأضواء بلونه الذهبى. كانت عينا (لوك مارشال) تتفحصان جسدها بإعجاب لم تتوقعه.

www.rewity.com

قال (مارشال) مبتسماً: «يسعدنى أن أكون بصحبتك ياآنستى» وشكت أن تكون بسمته سخرية مجردة. لكن نبرته جعلت وجنتيها تتوردان خجلاً غمرتها السعادة عندما وجدته خلفها يسحب مقعدها برفق ويساعدها على الجلوس. لقد تركزت عليها الكثير من العيون ولكنها بالتأكيد لم تكن تريد أن تجعل من نفسها مشهداً لافتاً للنظر.

جلس (مارشال) فى مواجهتها وجاءهما النادل فى الحال. كان (لوك مارشال) رجلاً فريداً وكانت هى تسترق النظر إليه من بين أهدابها الثقيلة. بدا عليها الأرتباك بسبب الأسلوب الذى بدأ يعبربه عن أعجابه بها. بدا هادئاً غير متوتر وكأنها التقيا فى لقاء معتاد وليس لقاء للحديث عن أبنة أخيه وتحسن حالتها.

كان وسيماً جداً. وكان يرتدى بدلة رمادية داكنة وقميصاً أبيض بدا ساحراً إزاء وجهه الداكن، وأنسدل على صدره رباط عنقه الذى عقد بعناية. كادت صرامته وحدته تتلاشيان. وبدا أقل تحفظاً بعيد عن المستشفى ومشاكله.

صرفت بصرها بعيداً قبل أن يلحظ تفرسها فيه وعندما رفعت عينيها كانت أنفاسها تضطرب فى فزع.

فى الناحية الأخرى من القاعة كان يجلس (جراهام) و(جلوريا) ووالدها ووالدتها يتناولون عشاءهم وقد تركزت عيونهم عليها وعلى ذلك الفرنسى الوسيم.

وهمس (مارشال): «أوه... لقد وقع بصرك عليه... أنا أسف لذلك ياآنستى. لم تكن لدى أى فكرة أنه سيكون هنا الليلة. وإذا شئت فيمكننا أن نلغى ما طلبناه للعشاء ونغادر المكان فهناك أماكن أخرى يمكننا أن نتناول فيها عشاءنا».

قالت (جوليا): «كلا فلا أهمية لذلك على الأطلاق» وتنبهت إلى حدتها وأضطرابها فأبتسمت (لمارشال) وهى تقول: «لا يوجد أى داعى لأن....».

وقاطعها قائلاً: «لا أريد أن أسبب لك حرجاً. فقد كنت مخطوبة له وهو الآن على وشك الزواج من هذه الفتاة».

وأظلمت عيناها غضباً وهى تقول بحنق: «أعلم أنك كنت تستقصى أخبارى ياسيدى كما قلت لى من قبل» ثم أضافت بصوت هادىء: «إننى أفترض أن ذلك كان لتحدد مدى ملاءمتى لرعاية أبنة أخيك».

قال (مارشال) وهو ينظر إليها محذراً: «أنت مضطربة ولذلك فسأغفر لك هذا التعليق» ثم تابع قائلاً: «لابد أنك تعلمى أن هناك أحاديثاً تدور فى المستشفى وقد عرفت أنك إنسانة محبوبة جداً على عكس الطبيب (أدامز). ويبدو أن عودة والدك لأجراء العمليات الجراحية قد رفعت من معنويات الجميع. إننى أفاجأ دائماً بأن الناس يتخيلون أن الآخرين مصابون بالصمم. إننى لم أستقص أنباءك ياآنستى. كل ما فعلته أننى أنصت لأحاديث الناس».

كانت (جوليا) منتبهة تماماً للنظرات المحيطة بها. وقالت بصوت محبط: «لقد فوجئت بأنك تستمع للقيل والقال يا مسيو (مارشال)».

قال (مارشال) بهدوء: «إننى مهتم بك ياآنسة. وبمجرد ذكر أسمك فإننى أنصب أذناى إرهافاً للسمع». وعندئذ أمتدت يداه برفق تحيطان بيديها فوق المائدة ثم أطبق عليها بشدة عندما حاولت سحبها وقال: «دعيها... فلنقدم لهم شيئاً تدور حوله أفكارهم».

وعندما رفعت إليه عينيها كان يبتسم ساخراً. وعلى الرغم من كل شىء أحست وكأنها تضحك. منذ دخول (لوك مارشال) و(جوستين) حياتها وجدت أن تفكيرها فى (جراهام) وغدره قد تراجع إلى خلفيات عقلها. كانت تعلم أنه إنسان تافه تماماً. وقد كانت عاطفتها هى السبب الوحيد الذى جعلها تفكر فيه. لقد أسدت (جلوريا) لها معروفاً بالفعل. وأحست بقلبها يرتفع كأن به مساً من السحر.

كان شيئاً سهلاً بدرجة مذهلة أن تركز تفكيرها على (لوك) وتهمل الآخرين. إنه رجل قوى يمكن الأعتماد عليه. أبقى (مارشال) يديه

القوبتين فوق يديها حتى أنصرف عنها الآخرون فسحب يديه وغمغم قائلاً: «فتاة بارعة». وأبتسمت عيناه لقدرتها على أخراج نفسها من حالة الغضب والحرج ثم قال: «لنتكلم عن (جوستين)... فماذا تعرفين عنا؟»

ردت (جوليا) بسخرية: «لا شيء تقريباً» ثم تابعت وهي تنظر إلى وجهه النحيل: «إنني لا أنصت للقيل والقال».

صاح (مارشال) مستحسناً ملاحظتها: «أحسنت... يا آنسة» ثنى شفتيه مبتسماً ثم أضاف: «إذن فها أنت مرة أخرى لا تبدين أهتماماً بي بينما أؤكد أنا أهتمامي بك».

ورأت (جوليا) أنه لا يمكن أن يكون سوى رجلاً فرنسياً بنظرات عينيه وشفتيه الرشيقتين ولون بشرته الخفيف وثقته بنفسه... كل ذلك ينبيء عن تميزه. لا يزال هناك شيئاً آخراً أكثر غموضاً ولكنها لا تستطيع أن تضع يدها عليه.

وأستمر (مارشال) قائلاً: «قد نبدو لإنسان مثلك عائلة غريبة. فهناك (لوسيل) زوجة أبي وأختي غير الشقيقة (مارسي) وأخيها (فيليب)» وصمت برهة قبل أن يكمل: كان هناك أيضاً أخي (جوليس) وزوجته (دايردري) وهما والد (جوستين) وقد توفيا في حادثة السيارة التي حدثتك عنها».

وقطب جبينه للحظة فحبست أنفاسها. كان فعلاً رجلاً صعب المراس وقد بدأ مظهره الصارم الذي ميزه منذ البداية يعود إليه مرة أخرى.

وتابع (مارشال) قائلاً: «إنها أسرة غريبة متنوعة العناصر. كان من الصعب دائماً (لجوستين) أن تعيش وتكبر وتتسع مداركها. ومنذ ولادتها كان الجميع يدللونها ما عدا والدتها فقد كانت سليطة اللسان. ومنذ الحادثة أحاطت الكآبة بالطفلة. فقد كانت (لوسيل) رقيقة لدرجة لم تمكنها من إخفاء مشاعرها رغم أنها حاولت ذلك».

وقاطعته (جوليا): «هل لاحظتم أي صعوبة في مقدرتها على الكلام بعد الحادثة عندما ظننتم أنها بخير؟» لقد أضطرت إلى مقاطعته بعد أن

خالجها أحساس بأنه قد نسي الدافع لهذا اللقاء. بدا عقله غارقاً في الماضي بينما كان ينظر لها بعينين لا تريا شيئاً. من الأفضل لها أن تبقيه في الحاضر فهي لا تحبذ التدخل في شئونه الخاصة بأي حال. كانت متأكدة أن ذلك سيكون مؤلماً.

رد (مارشال): «كلا... لقد كانت لطيفة جداً.. وبالذات معي... ولم أفاجأ بذلك فأنا أشبه (جوليس) إلى حد كبير فكأنها كانت تجد في تذكار دائم لوالدها. كانت تتحدث بطريقة جيدة وطبيعية. ولكننا أفتقدنا ثرثرتها وهذا شيء طبيعي بالنسبة لطفلة فقدت والديها.. ألا ترين ذلك؟»

وفجأة بدا كأنه ينظر للماضي وأخذ يتنهد بعمق ثم ضحك فجأة وقال برقة: «كان لدى قليل من الوقت لحماية (جوستين) من أسوأ أنواع الكآبة التي يسببها الكبار». ثم ضاقت عينيه وهو يقول: «قد لا يكون لديك شك في أن سبب الكآبة هو أنني كبير هذه العائلة».

وأحمر وجهها خجلاً ثم بدت عليها الجدية وهي تقول: «لم أفكر بشيء كهذا».

قال (مارشال) بلهجة حادة: «ربما يكون من رأيك أن (جوستين) لن تتحدث مرة أخرى. فهل تنصحين بعرضها على أخصائيين آخرين لأجراء المزيد من الفحوص؟»

قالت (جوليا) بحماس: «كلا.. دعنا ننتظر بعض الوقت. أنا أريد أن أحاول أولاً.» كانت تعرف أنه لا يتفق أطلاقاً مع قواعد العمل أن تقول ذلك. وأضافت بسرعة وهي تلمح عينيه تتركزان على وجهها المتورد خجلاً: «على أية حال هي لا تزال مريضة بدرجة لا تسمح بنقلها».

لم تكن تحب نظرته المتأملة على الأطلاق فحاولت تغيير مجرى الحديث قائلة: «أين تعيش بالضبط يا سيدي؟» لم تكن ترغب في المعرفة بقدر ما كانت ترغب في صرفه بهذا السؤال عن إنعام النظر في وجهها. عند ذكر بلده بدا عليه التفكير العميق وركز عليها كل أنتباهه فملأها قلقاً. ثم

قال بهدوء وفخر:

« إننا يا آنسة من (كامارجو) » .

صاحت (جوليا) : أوه ... إنها بجنوب فرنسا . أليس كذلك ؟ »

أجاب (مارشال) وهو يوجه لها نظرات مثيرة نابضة بالحياة : « نعم ... إنها مكان غريب منعزل . بلاد تتكون من السماء والبحر . وأهلها ليسوا كباقى البشر ولا يحبون أن يكونوا مثلهم » .

قالت (جوليا) ساخرة : « أنا أصدق ذلك تماماً يا مسيو (مارشال) .

وضحك فجأة فأضاء وجهه مرح حقيقى حوله إلى شخص آخر . شخص جذاب بدرجة خطيرة . وسألها :

لماذا لا تنادينني (لوك) ؟ فنحن نتناول عشاءنا معاً خارج البيت كما أنه إسمى على أية حال » .

ردت (جوليا) : « لم يطلب منى أن أدعوك بإسمك الأول ... وأنا لا أحب أن أتصرف بوقاحة ؟ »

وضحك برقة قائلاً : « وقاحة ؟ » ثم أضاف : « أنا أعتقد يا آنسة أنك ند لى بمخاوفك الأنثوية الرقيقة وبإنفجارات غضبك المتحفظة . إننى لم أعرف على الأطلاق من ذاك الذى أواجهه » .

أندفعت (جوليا) قائلة بقوة : « لم تكن لدى أى شكوك بهذا الصدد يا سيدى » .

قال برقة : « إننى أحذرك » .

ردت (جوليا) : هكذا أنت ... أجنبى غريب تماماً » وأحست بسعادة بمجيء النادل فى هذه اللحظة .

قال (مارشال) مؤكداً بصوت رقيق : « هذا لأنك لا تعرفيننى . وسيتغير كل ذلك » ثم ختم كلامه قائلاً ببرود : « دعينا نتناول الطعام . فمن الأفضل أن يكون الحديث فى الأمور الهامة بعد تناول الطعام » .

جاش بداخلها أحساس بالخديعة والوقوع فى الشرك ولم تعرف سبباً لذلك . فهى لم تقابل رجلاً كهذا من قبل . ومثلما تفعل الحيوانات ...

أستشعرت (جوليا) رائحة الخطر ولكن لم تعرف من أى أتجاه يجيء : أما (لوك مارشال) فقد أنهمك فى طعامه وتجاهلها .

أستأذنت لإصلاح زينتها . وبينما كانت عائدتها كان (جراهام) يروح ويجيء أمام البار ثم خف مسرعاً وأعترض طريق عودتها لمائدتها وقال لها بغضب ساخر : « أرى أنك تجيدين السعى لمصلحتك هل يعرف أنه الأختيار الثانى ؟ »

ردت (جوليا) بنفس السخرية : « وهل تعرف (جلوريا) ؟ »

قال متوتراً : « هى لا تبدى الكثير من الأهتمام مادامت قد نالت ما تريد » .

برقت عينا (جوليا) الزرقاوينين وهى تقول : وكذلك أنت مادامت هناك ثروة .

همس قائلاً : أنت أمرأة عاهرة » .

ردت (جوليا) : الآن فقط ..؟ .. من فضلك فهناك من ينتظرنى الآن » .

قال (جراهام) مهتاجاً : « إننى أرى ذلك إنه يتقلب فى نعيم الثراء ولكنه صلب كالمسمار » .

قالت (جوليا) : « أوه هل لك مخبر خاص يتبعنى ؟ » ثم أضافت بصوت عذب : « يالأسف ... إننى لم أكن أعرف بذلك عندما كنا مخطوبين ... لك أن تتخيل ما كان سيحدث لو عرفت ذلك ؟

رد (جراهام) بصوت كئيب وقد تركزت عيناه على وجهها الجميل : « فى واقع الأمر فإن والد (جلوريا) يعرفه . السيد (مارشال) يربى الثيران والخيول . ووالد (جلوريا) يعرفه لأنه يربى الخيول أيضاً إن (مارشال) له نفوذ كبير فى فرنسا » .

القت (جوليا) نظرة سريعة على (لوك) وهى تقول : « إننى أتخيل أن له نفوذا فى أى مكان » أحست أن هناك جواً خطيراً من القلق يحيط بالوجه الوسيم فسرت رعدة فى جسدها .

قال (جراهام) فى صوت لطيف: «إنه سيذهب» ومد يده إلى ذراعها وبدأت أصابعه تلاطف أصابعها كما فعلا كثيراً من قبل. أحست بالغضب الشديد يغمرها ولكنه كان مصحوباً بإحساس ذاهل بالسعادة لا تعرف مصدره. فلم يبد عليها أى أنفعال كأن من يلمسها هو أحد الغرباء. لقد شهدت حياتها منعطفاً جديداً فى أتجاه آخر. ولم يحرك أحاسيسها أى شىء مما فعله (جراهام).

قال (جراهام) منفعلاً: «إننى لازلت أريدك يا (جوليا) وعندما ينتهى كل هذا الأمر فسوف نعود كما كنا».

قالت (جوليا) وهى تبتسم بسخرية: «لن يكون ذلك بينما (جلوريا) تراقبنا بشدة مثلما تفعل الآن. إذا لم تبعد يدك فإن (لوك) سيأتى إلى هنا. وكما قلت أنت فهو رجل صلب».

سحب (جراهام) يده سريعاً وعادت (جوليا) إلى مائدتها. ونظرت مبتسمة (للوك) الذى نهض يساعدها على الجلوس.

قال (لوك) بصوت أجش وقد أمتلأ وجهه غضباً: «إنه لن يدعك وشأنك على الأطلاق» ثم أضاف وهو يحملق فيها: «إنه يتمنى أمرأتين» وتورد وجهها خجلاً عندما أسترسل يقول: «لقد جرى وراء المال ولكنه لا يستطيع التخلى عن جمالك. ولسوف أتحدث إليه فلا أريد أن يحدث لك أى ضيق».

كانت عيناه تمتلئان بالأنفعال والغضب الشديد. حدقت فيه (جوليا) للحظة بإرتباك تام ثم سألته فى هدوء: «هل لنا أن نذهب الآن يا مسيو (مارشال)؟»

وأثاره سؤالها الرقيق فى الوقت الذى كان يتوقع فيه الأزعاج فصاح قائلاً: «أوه.. ها أنت تعامليننى على أننى إنسان معتوه.. من الواضح أننى قد سببت لك ضيقاً».

قالت (جوليا) بدون أن تنظر إليه: «يمكنك أن تقول ذلك» وألتقطت حقيبة يدها ونهضت واقفة وهى تقول: «سوف أساعد

(جوستين) ولكننى لن أتلقى أوامر بخصوص ذلك. إن الحماية التى هددت بفرضها على سوف تحدث أضراراً شديده مالم تتحكم فى نزعة السيطرة هذه. دعنى أذكر بأنى لا أعرفك... وبالتحديد لا أرغب فى معرفتك وكل ما يهمنى هو سعادة (جوستين)».

أرتعشت شفتاه ثم أرتسمت عليها أبتسامة أضاءت وجهه الغامض وهو يقول:

«إن مكانتك محفوظة ياآنسة بدون الحاجة إلى إتفاقات مشكوك فيها. فنحن بحاجة إليك وسوف أحاول كبح جماح رغبتى فى حكم العالم. سوف نفعل ما تشاءين وأى مقترحات أخرى سوف أطيعها بسرور».

قالت بلهجة قاطعة: «دع (جوستين) إلى فترة قصيرة فإذا لم يمكننى عمل شىء لها فإن والدى سوف يجد لها أخصائياً يعالج مثل هذه الأمور عند مغادرتها للمستشفى».

أنحنى (مارشال) قائلاً: سمعاً وطاعة» ثم أضاف: «دعينا ننصرف ياآنسة وأنت تمتلكين اليد العليا».

وعلى الأقل كان هناك شخصين على مائدة (جراهام) بالغى الأهتمام بهذه المحادثة القوية. وتمنت (جوليا) ألا يعرفا بأن هذا كان لقاء عمل أنتهى بكلمات حادة.

أتسعت أبتسامة (لوك) بينما كان ينظر لها وكأنه يقرأ ما يدور بخلدها ومد يده إلى يدها وأمسكها بقوة وحرارة وهو يقول: «دعينا ننصرف كما ينبغى فليست لديهم أدنى فكرة عن المكان الذى سنذهب إليه فى هذا الوقت المبكر من السهرة. إذا لم يمكننى الحديث بقوة إلى طبيبك هذا فدعينا نغادرهم بما يشبه حركة مسرحية».

نظرت (جوليا) له بتهكم وزمت شفتيها ثم قالت ساخرة: هل يعنى مصطلح «إنصراف الديكتاتور» شيئاً بالنسبة لك».

أجابها مبتسماً: «ليس إلى حد كبير. لكنى أستطيع فهم المعنى العام. وستعودين عليه بمرور الوقت وبعد فترة لن نتقاتل».

سألت (جوليا) باسخفاف: «أوه... هل تنوى الأستسلام؟»

أجابها مؤكداً: «لا يا آنسة... إننى أتوقع ذلك منك».

أحست (جوليا) بشعور غريب بالسعادة. لقد مضى وقت طويل بدون أن تعيش هذا الأحساس. فعلى نحو مفاجىء سار كل شىء إلى الأفضل. لقد عاد والدها يفعل ما ولد لأجله وأستعاد ثقته بنفسه. لم يكن هناك أمل فى شفاء (لوسى) وكان يعرف ذلك فى قرارة نفسه. وقد أستمر الحزن منذ ذلك الوقت. أما الآن ومع تحسن حالة (جوستين) بإستمرار يومياً فها هو يبدو على وفاق مع الحياة بأجمعها مرة أخرى. وملأت سعادته المنزل. وأحست (جوليا) بالدفء يملأ بيتهم رغم أنهم يقضون يومهم فى العمل الجاد منذ الصباح حتى المساء».

لم يكن هناك سوى مشكلة (جوستين) ورفضها الكلام. كانت الطفلة الصغيرة على وشك مغادرة حجرتها الخاصة. وكانت تتألق بهجة وسعادة فى وجود (جوليا) ولكن لم يصدر منها أى كلمة حتى صوت.

كاد تحسن حالتها يكون هو الموضوع الوحيد للحديث فى المنزل ولكنهم لم يتوصلوا إلى أتفاق. كاف ولم يكن هناك وقت كان للبقاء مع (جوستين). كانت (جوليا) على وشك ترك المستشفى ويكاد ذلك يتزامن مع مغادرة (جوستين) أيضاً. لم يبد على (لوك مارشال) إدراك أن (جوستين) على وشك مغادرة المستشفى. كان يقوم بزيارات ضرورية سريعة لفرنسا ولكنه لم يكن يتغيب لفترات طويلة ثم يعاود الظهور مستفسراً عن بعض النقاط من (جوليا) وكاد يتوقع منها القدرة على إيقاف كل شىء من أجله.

كانت (جوليا) تدرك أنها تغوص بعمق فى حياتهم. وتعرف أن أرتباطها بالطفلة وأرتباط الطفلة بها ليس شيئاً محبذاً. لكنها كانت تدرك أيضاً أو وراء هاتين العينين البراقتين الغامضتين فإن (جوستين) تفكر بصفاء ذهن ولكنها تصر على الصمت. كان شيئاً محبطاً بكل ما فى الكلمة من معنى.

حاولت (جوليا) ووالدها إعادة صقل معرفتهم باللغة الفرنسية حتى

يتحدث أمام (جوستين) ومعها بلغتها الأصيلة لكنها ظلت ملتزمة الصمت رغم تبسمها عندما كانا يقعان فى خطأ لغوى. كان الوقت يمر سريعاً. وعما قريب ستكون (جوستين) فى فرنسا حيث يتحمل مسئولينها شخص ما غيرهم. أحست (جوليا) أنها ستفتقدها وبأنها قد خالفت أول قاعدة من قواعد التمريض وأرتبطت عاطفياً بأحد المرضى. ولكن ذلك حدث وهى لا تكاد تلحظه.

لم تعد تطيق صبراً على البقاء بعيداً عن عملها. وفى المساء كان عقلها يمتلىء بالأفكار عن الطفلة وعمها. لقد استطاعت (جوستين) بهدوء أن تجد لنفسها مكاناً فى قلب (جوليا). مكاناً كان خاوياً على مدى ثلاثة أعوام. وأصبحت (جوليا) تخشى اليوم الذى تقبل فيه أستقالتها ولا تستطيع أن ترى الطفلة مرة أخرى.

دخلت (جوليا) إلى غرفة (جوستين) ورأتها جالسة على فراشها وقد بدأ شعرها ينمو بعض الشىء فصاحت جوليا: «ها أنت... يا ذات الشعر المجعد» وأرتسمت أبتسامة على وجهها رغم حزنها البادى فى ذلك اليوم. ولم تنتبه (جوليا) لوجود (لوك مارشال) وإلا لكانت أخرت زيارتها. ولكنها لامت نفسها على ذلك التفكير الغبى وزمت شفتيها بقوة بينما أرتسمت علامات الكآبة والحزن على وجه (جوستين).

وسألها (لوك مارشال) بصوت ضاحك وهو ينقل بصره ما بينها وبين إبنة أخية: هل أنت غاضبة من ممرضة (ردفورد)؟ أنا لا أدرى كيف أرتكبنا ذنباً بينما نحن نجلس هنا فى هدوء تام».

أبتسمت (جوليا) (لجوستين) أبتسامة مطمئنة وهى تقول: «أنا لست غاضبة» وسارت برشاقة إلى الفراش وتناولت التقارير المثبتة بمؤخرته وقد تورد وجهها خجلاً. كانت عيون (جوستين) الحادة الغامضة تغوص بداخلها. وكانت (جوليا) فى ذلك اليوم تشعر بالأحباط التام.

قالت (جوليا) (لجوستين): إنك تجيدين تصفيف شعرك بطرفة الشعر المجعد. أليس كذلك؟ ثم أضافت بإبتسامة محبطة: «أنت ترفضين بكل

بساطة أن تتحدثي... كنت أتخيل أنك ستتحدثين لى بعد مرور كل هذا الوقت». كان تأثير إبتسامتها المحبطة شديداً. ركزت (جوستين) نظراتها عليها ثم أخذت تنقل بصرها ما بينها وبين (لوك). وللحظة قصيرة أحست (جوليا) أن الرعب يتجسد أمام ناظريها. فكيف يمكن أن يحدث هذا؟ وترقبت (جوستين) عمها الذى أقترب منها فأحاطته بذراعيها ونفست عن أنفعالها بكل وسيلة ما عدا الكلام.

أتجهت عيون (جوليا) إلى وجه (لوك) الذى نظر إليها بحدة وهو يقول: «أنت مخطئة تماماً». وأنقذتها الممرضة المساعدة من تكلف أى رد عندما أندفعت إلى الحجرة على غير المعتاد وهى تقول: «لقد عرفنا لتونا من ستحل محلك. فمن تظنين... أوه... آسفة» وتوقفت الممرضة فى أرتباك عندما رأت وجه (جوليا) ولمحت التعبير الصارم المفاجىء على وجه الرجل الفرنسى فأستدارت سريعاً وهى تقول: «سأخبرك فيما بعد».

سبق السيف العذل وأنتهى الأمر. قطبت (جوستين) جبينها عندما سمعت هذه الكلمات بينما بدا على (لوك) الغضب الشديد.

وأنطلقت (جوليا) لحجرة المكتب ولكنه تبعها بعد قليل.

قال لوك (مارشال) بصوت هادىء عميق وكأنه يوجه أتهاماً: «أنت سترحلين.. ممرضة (ردفورد). أنت تتخلين عن (جوستين)».

ردت (جوليا): «لقد قدمت أستقالتى قبل أن أرى أبنة أخيك بوقت طويل» وأحست (جوليا) بالضيق لأنه يحاول أشعارها بالذنب بينما لم ترتكب ما يدعو لذلك. وتابعت تقول: «أنا لا أتخلى عن أحد. وعلى أية حال فإن (جوستين) سترحل قريباً وهى على وشك المغادرة».

تجاهل (لوك مارشال) تعقيبها وقال بحسم: «أخبرينى عن المستشفى التى ستذهبين إليها وسأنقلها لتكون معك».

لم تكن فكرة فرض نفسه بهذا الأصرار تروقها على الأطلاق. وجلست (جوليا) وهى تقول:

«على المدى القريب فلن أتقدم للعمل بأى مستشفى فلدى الكثير من

الأشياء التى تحتاج لإعادة ترتيبها» ودار بخلدها أن حياتها ذاتها تأتى فى مقدمة هذه الأشياء.

أمسك (لوك) بيديها وهو يقول بقوة: «إذن فومى بتمريض (جوستين) لحسابى فسأدخلها بيت تمريض خاص وتكونين أنت معها. فأنا لم أبعدها بعد عن البروفيسور (ردفورد) ولكننى بالتأكيد لن أبعدها عنك».

نظرت إليه (جوليا) بجدية وقد بدا عليها الخوف الآن من خطة العلاج التى تناولتها بالحديث مع والدها.

قالت (جوليا) بهدوء: «يمكننى أن أساعدها.. لقد تحدثت بشأنها مع والدى. وإذا كنت تشدد على بقائها بالقرب منا فإننى أقترح أن تأتى (جوستين) لتقيم معنا فترة من الوقت بعد مغادرتها المستشفى. سيكون بإمكانى أن أعطيها كل أهتمامى. وإذا لم يأتى بنتيجة فعلى الأقل لم يحدث ضرراً».

بدا (لوك) مذهولاً. ظل ينظر إليها بضع دقائق حتى أحست وكأنها أقترحت شيئاً غير مناسب على الأطلاق.

سألها وقد سدد لها نظرة قوية: هل ستفعلين ذلك من أجل (جوستين)؟ هل ستأخذينها إلى منزلك الخاص؟

وفجأة وجدت نفسها تبتسم وهى تجيب: «بكل سرور.. وقد تندم على ذلك يوماً عندما يمر الوقت وترفض أن تدعها ترحل».

أنفرجت شفتاه بواحدة من أبتساماته القليلة وهو يقول: «أوه.. كلا.. على العكس تماماً. فأنا و(جوستين) متمسكين بك إلى أبعد الحدود ولكنك لن تطيقى الأستمرار معنا».

أندفعت (جوليا) تقول فى قلق غير متوقع: «أتمنى أن تدرك بأن ذلك سيكون لوقت قصير فقط. فبرغم كل شىء هناك مستقبلى العملى ولابد عاجلاً أم آجلاً أن أعود للعمل بإحدى المستشفيات».

لاح بعينيه أنفعال عميق وهو يقول: «نعم. إننى أفهم. فذلك من

أجل (جوستين) فقط. وعندما تصبح (جوستين) أقوى مما هى عليه الآن ــ وحتى لو لم تستطع الكلام ــ فسوف نودعكم مقدمين آيات شكرنا. ولكن خلال هذه الفترة قد يمكنك الأتيان بمعجزة. وكل ثقة فى قدرتك على ذلك».

لم يُجد ذلك فى تهدئة شكوك (جوليا) المفاجئة. فاذا يتوقع منها بالضبط؟ ماهو المزيد الذى يمكن توقعه؟ لقد أنجزفت إلى نيار حياته. والآن ــ وعلى نحو مفاجىء ــ يزداد ذلك بسبب تعاطفها مع طفلة صغيرة لم تكن تعنى لها شيئاً على الأطلاق وبسبب عدم قدرتها على الأنسحاب من مشكلة الا بعد أن تتم حلها. وهناك غير ذلك الكثير ولكنها تخشاه ــ فهى لا تريد المزيد من التدخلات.

وفى تلك الليلة سُر والدها كثيراً بأمر هذا الحديث مع (لوك) وقال فى سعادة: «سوف ترى مايمكننا عمله هنا. ستكونين أنت معها طول اليوم. وسأعاونك قدر مايتيسر لى. وعلى الأقل فسوف نحسن لغتنا الفرنسية».

أخذت (جوليا) تنظر إليها وقد أحست ببعض القلق تجاه قرارهم. وسألته بهدوء:

«هل نحن نفكر بحكمة يا أبى؟ هل ندع ذلك الأمر يتفاقم لأسباب شخصية؟»

ورد بصوت خافت: «من الممكن» ووضع يديه على كتفيها ونظر إلى وجهها الذى بدا عليه القلق وقال: «أنا أعرف أننا بدأنا نبرأ مما أصابنا. فما الضرر لو ساعدنا (جوستين) أيضاً».

وتنهدت (جوليا) وهى تقول: «أعتقد أنك على حق. أنت أكثر حكمة منى بمراحل كبيرة».

وضحك والدها وهو يقول: «هذا ليس رأى (لوك مارشال) فهو يراك كائناً فريد الطراز».

أسندارت (جوليا) وهى تقول بغيظ: «بل أنه هو الإنسان الغريب

فعلاً» فالآنسة تعلم كم حاولت أن تبلغ بحياتها تلك المعايير التى وضعها لها (لوك مارشال).

قال والدها بلهجة هادئة مرتابه: «أعتقد أنها ستكون لفته طيبة أن ندعوه للأقامة معنا أثناء وجود فى أنجلترا. فلا يتفق أن تقيم (جوستين) معنا ويقيم عمها فى فندق بينما نحن نمتلك كل هذا البيت».

أستدارت له (جوليا) فى فزع شديد وهى تقول: «كلا كلا كلا. فلا يمكننى مواجهة (لوك مارشال) بصفة مستمرة يومياً. إن جرعة صغيرة فى وقت ما تبدو أكثر من المحتمل».

وسألها والدها بهدوء: «(جوليا)... هل تخشين الأرتباط مرة أخرى؟ إنك جميلة جداً ورقيقة جداً فلا تدعى هذا الكلب الحقير (أدامز) يفسد حياتك للأبد».

قد يكون (جراهام) كلباً حقيراً فعلاً ولكن (لوك مارشال) يستحوذ على تفكيرها بصفة مستمرة وبدرجة مزعجة.

قالت (جوليا) بحدة وقد توردت وجنتاها خجلاً: ليس هناك مجالاً للأرتباط معه. إنه يشبه ماكينة ذات نزعة للسيطرة على كل البشرية. وكل مايشغل تفكيره هو (جوستين) ومايفترض أننى أمتلكه من مهارات لا نظير لها. إن إنسان نادر ويصعب التعامل معه».

قال والدها ضاحكاً: «إذن فهى شدة نزمته التى تحول بينكما. قد يمكنك مساعدته على التحسن بأن تحدثيه عن ذلك».

قالت (جوليا) بتبرم: «لقد فعلت. لقد قلت له ذلك على مدى أيام كثيرة ولكن لا يبدو أنه فهم ذلك. كما أن (جوستين) كانت ستتحسن بصورة أفضل لو بقى هو فى فرنسا بصفة مستمرة».

قال (بول ردفورد) بهدوء: «أنا لا أعتقد ذلك يا عزيزتى. فالطفلة تحبه بشدة».

وغمغمت (جوليا) وكأنها تحدث نفسها: «أنا أعرف ذلك» ثم تابعت: «ولكن أليس غريباً أن يبدو عليها القلق فى كل مرة يلتقيان فيها؟ وهى تحتاج إلى سماعه يتحدث لفترة قصيرة قبل أن يختفى قلقها. أنا لا أدرى ما الذى تخشاه؟

الفصـــــل الرابع

كان متبقياً شهر واحد على الموعد الذى حدده (لوك) لعودة جوستين إلى (كامارجو). وبالنسبة (جوليا) ووالدها كان شهراً من السعادة التامة التى يشوبها الأحباط. لقد دخلت الطفلة الصغيرة حياتهم بسهولة فالتأمت الفجوة الغائرة التى كانت تفصلهم عن السعادة. وذلك على الرغم من أنها لم تتفوه بكلمة واحدة. وقد أصابهم اليأس وأقروا جميعاً بعجزهم بما فيهم (جوليا). وأصبح لزاماً أن تعرض (جوستين) على أحد الأخصائيين فى هذا المجال. ولكن (جوليا) كانت لا تزال مقتنعة بأن السبب لا يكن بعيداً عن السطح.

لقد حاولت عمل كل شىء. أصبحت لغتها الفرنسية الآن جيدة حيث رأت أن من الأفضل لطفلة صغيرة فى مثل هذا السن أن تلاطفها بلغتها الأصلية. وحتى السيدة (دوبسون) حاولت أستخدام بعض الكلمات ولكن لم تكن هناك فائدة. وحيث أن (جوليا) لم تعد مرتبطة بالعمل فى المستشفى فقد عادت هوايتها القديمة «رسم اللوحات». وأنتشرت ألوانها فى كل مكان. وأفتتنت (جوستين) بالطيور والأزهار التى كانت تنبثق من لمسات فرشاتها. كانت الطفلة تبدو أحيانا فى غاية الأثارة وتشير بيديها ولكنها لم تكن تنطق بحرف.

WWW.RAYTY.COM

بينما كان (لوك) فى زيارتهم فى إحدى المرات قال (چوستين): «لقد حسنت (چوليا) من لغتها الفرنسية كثيراً يا حلوتى. إنها تعمل على نحو جيد وأعتقد أنه سيكون أفضل لو أنك قدمت لها يد العون».

ولم يجد ذلك شيئاً ولكن (چوستين) أنطلقت إلى حجرة أخرى ثم عادت ببعض اللوحات. وأحست (چوليا) بالحرج. غير أن والدها أقبل عليهم متباهياً بعمل (چوليا) ثم ذهب إلى حجرته للحظات وعاد يحمل المزيد من لوحاتها التى أعتاد أن يصنع لها أطارات يضعها فيها. نظر (لوك) إلى اللوحات بتقدير ملحوظ وهو يقول: «إنك موهوبة جداً» وأخذ يتفحص الألوان القوية المتوهجة للطيور والورود ثم قال: «لا أدرى لماذا قررت أن تكونى ممرضة بدلاً من السير فى هذا الطريق؟»

وجهت (چوليا) نظرة غاضبة لوالدها وهى تقول: «إننى لست بارعة بالدرجة التى تمكننى من إعالة نفسى كفنانة ولكننى أفعل ذلك الآن طلباً للراحة والأسترخاء».

لم تكن تريد أن تتجه إليها هاتين العينين الغامضتين. إن (لوك مارشال) رجل محير وفى أغلب زياراته (لچوستين) كان يمضى وقتاً كبيراً مركزاً نظراته التى لا يسبر غورها على وجه (چوليا).

كانت (چوليا) تتمنى أن تتجنبها لا أن تجذبها إليها. فهو يجعلها تشعر فى داخلها بالأثارة لدرجة غريبة ومحيرة. وهى لم تتعود على أحاسيس من هذا النوع ولم ترحب بها.

صار (لوك) يقضى أوقاتاً أطول فى فرنسا بعد أن أطمئنه على أستقرار حالة (چوستين) وكانت (چوليا) تتوتر بشدة عندما يحادثهم تليفونيا. وفى زيارته التالية كان يحيطه جو مختلف. وكم كانت صدمة مروعة (لچوليا) أن تواجه حقيقة أنتهاء هذا الأمر. فقد جاء لوك فى نهاية أحد الأسابيع وأعلن أن الأسبوع التالى سيكون هو آخر أيام (چوستين) فى أنجلترا.

قال (لچوستين) وهو يحتويها بين ذراعيه: «لقد وجدت لنفسك عائلة أخرى يا حلوتى. وهى أضافة وليست لتحل محل عائلتك الأصلية. فى

الأسبوع القادم ستعودين لبلدك وتودعين صديقتك (چوليا)».

لاحظت عيناه ذاك الحزن المفاجىء الذى غطى وجه (چوليا). ولكن لم يكن أى منهم يتنبأ برد الفعل الذى بدأته (چوستين) تجاه هذا الخبر. لقد تصلبت في ذهول ونظرت إلى (لوك) ثم إلى (چوليا) وقبل أن يستطيع أى منهم تهدئتها أو حتى مجرد التحرك كانت قد أنفلتت من بين ذراعى (لوك) وأخذت تعدو إلى حيث تجلس (چوليا) وألقت بنفسها عليها ومدت ذراعيها تطوق بها عنق (چوليا) بشدة.

«كلا» نطقتها بالفرنسية بصوت واه متحشرج لقلة أستخدامه مدة طويلة. ثم قالت بكلمات أختلطت فيها الفرنسية والأنجليزية: «كلا... لتأت.. لتأت يا (چوليا)... لتأت معى».

تفجرت فرحة طاغية على وجه (چوليا) وأنهمرت دموع عينيها عندما التقيا مع نظرة (لوك) الذاهلة. وشهق (لوك) قائلاً بالفرنسية: «غير معقول... هذا شىء لا يُصدق».

كانوا جميعاً قد هبوا منتصبين على أطراف أصابعهم وقد أتسعت أبتسامة (بول ردفورد) بينما أمتزج ضحك (چوليا) وبكائها وهى تحتضن الطفلة الباكية التى تشبثت بها ورفضت أن تدعها. وتسمر (لوك) فى مكانه مبهوتاً وبدا غير قادر على الحركة وقد جمدت نظرات عينيه السوداوينين على وجه (چوليا) المتألق.

ساد بينهم الأضطراب لفترة ثم أستطاعت (چوليا) تهدئة (چوستين) وأشارت بذهابها للنوم لبعض الوقت. لقد أنهك الجهد والأنفعال الطفلة الصغيرة التى تشبثت برقبه (چوليا) وهى تحملها للفراش بعد أن هدأ بكائها.

وبعد دقائق أخذ (ردفورد) (مارشال) إلى الطابق العلوى وأشار فى صمت إلى باب حجرة (چوستين) النصف مفتوح. كانت (چوليا) تجلس على حافة الفراش وقد وضعت يدى الطفلة الصغيرتين فى يديها وأستطاعت بالمداعبة الرقيقة الحذرة أن تنتزع بضع كلمات من الشفاة التى

كانت صامته فى وقت من الأوقات.

أقبلت (جوليا) إلى حيث يقف والدها و(مارشال) وقالت: «لنلق عليها نظرة يا أبى... إنها تبدو على مايرام ولكنها كانت صدمة كبيرة لها مثلما كانت لنا. إن عينيها متسعتان قليلاً وأفضل أن تلقى عليها نظرة». وبينما ذهب والدها إلى (چوستين) أستدارت إلى (لوك) بإبتسامة مرتعشة ثم قالت بتهيب: «أعتقد أننا بحاجة إلى قدح من الشاى يا سيدى. فلنهبط إلى المطبخ».

كانت السيدة (دوبسون) قد أنصرفت، فذهبت (جوليا) إلى المطبخ لإعداد الشاى. كانت يداها لا تزالا تهتزان. لم تنتبه إلى أن (لوك) كان يقف قريباً منها حتى فوجئت به يديرها على عقبيها لتواجهه وقد بدا نافذ الصبر.

قال بصوت مهتز: (جوليا) كان لا يزال ساكناً بينما ترسل عيناه نظرات متقده إلى عينيها. وكرر أسمها بنفس النغمة: «(جوليا)». وفجأة جذبها إلى صدره وأحكم ذراعيه حولها ودس وجهه فى شعرها وتوسل فى صوت أجش: لتأت يا (جوليا)... لتأت». رفع رأسه إلى عينيها الذاهلة وهو يقول: «لتأت معنا إلى فرنسا» ثم أضاف بالفرنسية فى صوت يائس مثلما فعلت (چوستين) تماماً: «لتأت معى». وفى هذه اللحظة أحست (جوليا) أنها لابد ستذهب. كان الباب إلى قلب هذا الرجل الغريب المتحفظ مفتوحاً على مصراعيه وهى ترغب فى الدخول كما لم ترغب فى أى شىء على مدى حياتها.

وحتى عندما أستقلت الطائرة إلى فرنسا فى الأسبوع التالى كانت تتساءل عما إذا قد فعلت الأجراء الصحيح. لم يكن هناك شك فى سعادة (چوستين). وبعد أستعادة الطفلة لمقدرتها على النطق فى هذا الموقف الدرامى فقد وافق (ردفورد) على أن إبعادها عن (جوليا) فى هذا الوقت ليس من الحكمة فى شىء. كما أتفق مع (لوك) أيضاً فى أن هذا هو الوقت الذى يجب أن تعود فيه (چوستين) إلى أهلها. ورغم أن

(ردفورد) لم ينوه بذلك إلا إنه أعتبر أنه من الأفضل وجود (جوليا) معها عندما تواجه مرة أخرى نفس المكان الذى يعتقدان أنه أحدث لها الصدمة.

وتحت أصرار (لوك) جمعت الوانها المائية ووضعتها فى حقيبة سفرها. فقد قال لها أن هناك القليل مما يمكن عمله لقضاء الوقت وذلك بالنسبة لإنسان مثلها عاشت أغلب حياتها فى المدينة أو بالقرب منها. وعندما تكون (چوستين) مع معلمتها الخاصة فيمكن (لچوليا) عمل تسجيل كامل لإقامتها فى (كامارجو). وقد راقت الفكرة (لچوليا) وأسعدها أن تأخذ ألوانها معها. وأحست أنها ستكون ملجأ لها معظم الوقت حيث أنها ستدخل مجتمعاً أجنبياً تماماً. وفجأة أحست أن هدوء جناح الجراحة النسائى قد أصبح بعيداً جداً.

لم تسأل على الأطلاق عن بيت (لوك) أو عن (كامارجو) نفسها وكانت تلتزم الصمت عند وصولهم.

ورغم أن المسافة التى قطعوها بالسيارة من (مرسيليا) لم تكن طويلة إلا أن الأنتقال إلى عالم آخر أدخل عليها بعض الرهبة.

قال عنها (لوك) أنها بلاد تتكون من البحر والسماء.. بلاد مختلفة.. وقد بدت كذلك. كانت محاطة من الجنوب بفرعى نهر (الراين). وهى عبارة عن سهل فسيح أحاطت به المياه الرقراقة فبدت كأنها أرض تحيطها عناقيد الدر والجوهر. كانت هناك مساحة شاسعة غير مأهولة تهبط إليها الطيور المهاجرة. أمتدت حقول الأرز ومسطحات الملح اللامعة بالأضافة لمساحات شاسعة من الأرض الخضراء التى يغطيها العشب حيث توجد مزارع تربية الثيران الضارية فى (كامارجو). كان هذا هو المكان الذى قدر (للوك) أن يعيش فيه.

وبينما كان (لوك) يمر بالسيارة قريباً من مستنقعات (دى فاكيريه) حملقت (جوليا) فى ذهول فى الأسراب اللانهائية لطائر البشروس طويل العنق والرجلين التى كانت تحلق فوق المياه وقد أكسبت السماء بجمالها

الأخاذ لوناً ورديا بينما كانت تغدو بحثاً عن غذاءها.

قال (لوك) بإبتسامة هادئة وهو ينظر لوجهها المنبهر: «هل تشعرين بالسعادة الآن لأنك أحضرت ألوانك المائية؟»

وهمست وهى تتابع أسراب الطيور: «نعم... ليتنى فقط كنت أمتلك المهارة الكافية».

قال مؤكداً: «أعتقد أنها لديك... وأنا أرى أن الفرصة قد واتتك».

قالت (چوليا): «لاتنس أننى هنا لمساعدة (جوستين)» ثم أشاحت ببصرها بعيداً عندما وجدت عينيه مثبتتان على وجهها.

ورد (لوك) وهو يرنو لها: «ليس كل الوقت. فأعتقد أنك لن تجدى صعوبة كبيرة مع (چوستين). وأعتقد أنه لايوجد من يشكل صعوبة بالنسبة لك».

رمقته بنظرة قصيرة ثم جلسا فى صمت. ليس لديها أىّ فكرة عن المظهر الذى تبدو به الآن. كانت ترتدى فستاناً من الكتانة الأزرق بلون عينيها وقد لملمت شعرها خلف رأسها ولكن خصلاته الذهبية كانت تتسابق لتلف حول وجهها الرقيق. إنها تكاد أن تكون طفلة مثل (چوستين) لولا تمام أستدارة نهديها النضرين ورشاقة ساقيها الجميلتين.

كانت عينا (لوك) تطوفان بجسدها فى تمهل وعندها فقط أدركت أنها أيضاً كانت تنظر إليه بلا تحفظ فترى ذلك الوجه الوسيم الداكن النحيل والشعر الأسود الكثيف الذى تداعبه رياح (كامارجو). وتلاقت نظراتها وطالت ولكن لم تكن هناك أى أبتسامة فى نظرته وإنما تردد مترقب متساءل جعلها تطلق زفيراً طويلاً مرتعشاً. كان يحدث بينهما شىء ولكنها لم تدرك ماهيته. وتنبهت فجأة فصرفت بصرها وقد أشتد تورد وجنتيها.

رمقتها (چوستين) بنظرة حائرة ثم قالت بصوت واثق: «إن عمى (لوك) لايرى صعوبة فى التعامل مع أى شخص إنه رجل مهم. فهو ماركيز دى سانت ميتشاد. وهو مهم جداً».

قال لوك بحدة: «من فضلك يا (چوستين).. الزمى الهدوء» ولوى

شفتيه متسماً عندما بدت على وجهها أمارات الخجل.

قالت (چوستين) وقد عبس وجهها: «لماذا لايجب أن تعرف (چوليا) ياعمى. فكل الناس تعرف ذلك و(چوليا) صديقتنا. أليس كذلك؟» ثم ألتزمت الصمت وتراجعت فى مقعد السيارة الخلفى وأغلقت عينيها كأنها توصد الباب فى وجه كل شىء.

أحست (چوليا) أنهم تراجعوا للوراء فى هذه اللحظة. فقد صمتت كل الثرثرة التى تزايدت على مدى الأسبوع المنصرم. وأدركت أنها يجب أن تكون حذره ومتيقظة. فقد تأثرت (چوستين) بشدة من تأنيب (لوك). وهى لاتريد أن تبدأ من الصفر مع طفلة صامته.

قالت (چوليا) بسرعة: «إنه فعلاً أمر غير مهم يا (چوستين) ووجهت إلى (لوك) نظرة تأنيب وهى تقول: «أنا فى الواقع لايهمنى من يكون عمك (لوك). أنا لايهمنى إلا أنت».

قالت (چوستين) فى أبتهاج: «هذا رائع» ووثبت تحيط عنق (چوليا) بذراعيها ثم قالت: «والآن فلن أشترك معكم فى الحديث حتى يتوقف عمى (لوك) عن معارضتى».

وأبتسمت (چوليا) عندما وجدت (لوك) يقول بنظرة ساخره مضطربة: «لقد توقفت. وأسف لأى مضايقة ياحلوتى».

أندفعت (چوستين) تكاد تختنق بين ذراعيها وهى تقول: «الآن عدنا جميعاً اصدقاء» ثم تابعت: «إن لدى رغبة جارفة فى رؤية جدتى (لوسيل) فهل سنذهب الآن؟»

رد (مارشال): «بالطبع» وأبتعد بالسيارة عن المياه بينما جلست (چوليا) صامته.

أحست أن (چوستين) كانت تأخذ طريقها لتكون مشكلة مزمنة. لقد تحدثت مرة أخرى ولكنهم لم يعرفوا سر صمتها. ربما كان ذلك يرجع إلى الحادثة وفقدان والديها. إنها لم تذكرهما على الأطلاق. كانت رغبتها فى رؤية جدتها (لوسيل) هى الشىء الوحيد الذى ذكرته بخصوص منزلهم.

كان الأمر محيراً. ولكن كانت حيرتها أكبر عندما أكتشفت لقب (لوك) وما سرى بينها من أحاسيس عندما تلاقت عيونهم.

فى (كامارجو) بدا وكأنه قناعاً يسقط من على وجهه فكان مختلفاً إلى حد ما. وأحست (جوليا) بالقلق وهى تحدق فى الطريق الممتد.. وقالت لنفسها أنها تصنع معروفاً ولا شىء فى ذلك ويمكنها أن تعود لوطنها عندما ترغب. إذن لماذا تشك فى هذا عندما تختلس النظر إلى تلك الأيدى الداكنة القابضة على عجلة القيادة.

لقد أطلق عليها «صديقة چوستين» فمن يمكن أن يكون صديقها فى هذه البلاد الجديدة الغريبة. مع كل ميل يقطعونه كان (لوك) يتغير وهى تومن أنها الآن فى بلده وبين أهله.

أخذت نفساً عميقاً وشدت ظهرها. كانت صامته هادئة. ووجدت عينى (لوك) الداكنتين ترمقانها بنظرات خاطفة.

وقال (لوك) بلهجة جافة: «هل قررت إرجاء رحيلك بعض الشىء يا (چوليا)؟» ثم تابع: «أعرف أنك تمتلكين الشجاعة يا عزيزتى ولكنك لن تحتاجين إليها فى مواجهة. فنحن سوياً فى هذا الأمر من أجل (چوستين) وعليك بتذكر ذلك عندما تجدينى أجنبياً غريباً».

كانت «سانت دى ميتشاد» مفاجأة (لچوليا). فلم تكن تتوقع شيئاً بعينه. ربما بعض المزارع على نمط الغرب الأمريكى. لكن هذه كانت مختلفة تماماً. وكان الليل يقبل سريعاً يلف كل شىء بالظلام الحالك.

مروا من خلال بوابة بيضاء عالية إلى طريق خاص يؤدى للمنزل. أحست (چوليا) بالقلق يتزايد داخل (چوستين) رغم أنها لم تنطق بأى كلمة. وفى هذه اللوحة الطبيعية الغامضة الهادئة أخذت (چوستين) تبدو غير عادية مثلما هو الحال بالنسبة (للوك). كانت تبدو أجنبية غريبة غامضة. وأحست (چوليا) أنها يجب أن تشحذ قوها ولا تستسلم لهذا التفكير.

وعلى جانبى الطريق كانت أشجار السرخس نحيلة الأغصان تلقى بظلالها على الأرض وكانت السيارة تندفع من الشمس إلى الظل فى كل قدم من الرحلة. وراء الأشجار كانت هناك مساحات شاسعة من الأرض حيث أقيمت مراعى الثيران السوداء الضارية. أخبرتها (چوستين) أن لديه أكبر من مائتى ثور فى مزارعه. ولكنها لم تتمكن من رؤيتهم فى ذلك الوقت رغم أنها كانت تتجول ببصرها فى وجل بحثاً عنهم.

بين الأشجار كان هناك قطيعاً من الخيول البيضاء ترعى الكلأ. كانت تبدو فى الظلام كأنها أشباح وقد رفعت رؤوسها فى ضيق عند مرور السيارة.

قالت (چوليا) فى صوت مرتعد: «إنهم يبيدون هائجين».

قال (مارشال) بصوت ساخر: «إنهم هكذا فى الغالب. لابد أنك قد سمعت عن خيول (كامارجو) البيضاء. فقد تعود قليل منهم على المزارع بشرط أن يكونوا مطلقى السراح. أما أغلبهم فيتجولون بحريتهم فى المستنقعات العشبية. ومن وقت لآخر فإن الرعاة يقودون هذه القطعان برماحهم إلى المزرعة».

وسألت (چوليا) فى صوت خفيض: «رعاة؟» وتعجب من غبائها الذى تخيل أنها قادمة إلى بقعة عادية من فرنسا. لقد كان هذا المكان يبدو قاره مختلفة تماماً.

ورد مارشال بسخرية: «رعاة بقر... يا آنسة. أنا أتخيل أنك ستجدينهم فى غاية الرومانسية لأننى أعتقد أن رومانسيتهم ترقد وراء هذا الهدوء الخارجى... إنك لا تبدين هادئة دائماً».

وسرت (بچوليا) رجفة مفاجئة وهى تقول لنفسها: إن ذلك حقيقى فعلاً. لقد كانت الصعوبة تتزايد بإطراد فى أن تجلس هادئة وتواجه (لوك مارشال). فلم يكن وجودهما الآن سوياً هو ذلك اللقاء المرتب سلفا كما كان يحدث فى المستشفى أو فى بيتها. وحتى تلك الحالات كان الأمر صعباً إلى حد كبير. أما هذا المكان فهو مقاطعته الخاصة. وهى تشعر أنه

فيها أشبه مايكون بالملك.

وفجأة أغرقت السيارة عن الطريق الضيق لتسير بمحاذاة سياج أبيض يحيط بمراعى لا نهائية. كانت أمتدادات الأشجار والأرض الخضراء تشكل لوحة من الجمال المنسق. كانت الحدائق تتوهج بأزهار الصيف والأشجار والآجام الزاهية الألوان. كان هناك بريق حمام سباحة بجوار المنزل. أما المنزل نفسه فقد كان ضخماً أبيض اللون مبنياً على الطراز البروفانسى وينحدر سطحه نحو الجانبين. وقد بدا جذاباً مريحاً.

قال (لوك) بصوت رقيق: «لقد وصلنا... مرحباً بك فى منزلى يا (جوليا). من الآن فصاعداً ستكونين ضيفتى مثلما كانت (جوستين) ضيفتك. ولن ندع شيئاً يكافىء عطفك وعنايتك إلا وفعلناه».

قالت (جوليا) بقلق: «أنا لا أريد مكافأة يا سيدى». وأستدار لها بأبتسامة ساخرة باهتة ثم قال مصححاً بقوة: «لوك»... أرجو لا تنادينى بكلمة «سيد». وأما بخصوص مكافأتك فلست مضطراً لقراءة ما بداخل عقلك لكى أعرف أننا لا نزال فى بداية رحلة شفاء (جوستين). لقد تصرفت منذ البداية بدافع من فطرتك وشفقتك المجرده ولكنك ستتجاوزين ذلك بمراحل وأنا متأكد من ذلك. وعندئذ سيكون ما أدين به من العرفان لا يقدر بثمن. لقد قلت لك أننى أمضى أغلب وقتى منهمكاً فى عملى وأنا أريد أن تكون (جوستين) فى رعايتك وسأخبر الأسرة بأنك ستتولين الأشراف الكامل عليها. فلدى ثقة عمياء فيك».

قالت (جوليا) بإرتباك: «لكننى أجنبية... زائرة... وهم سوف...»

وقاطعها قائلاً بحدة: «دعيهم لى. إن (جوستين) لا تزال معرضة للخطر. وكما تعرفين، فيمكن أن تعود للصمت مرة أخرى. إنها بحاجة لك. ولن أسمح لأحد بالتدخل».

لقد عاد إلى هذا الأسلوب. أحست (جوليا) أنها هى نفسها معرضة للخطر. فمجرد خطوة واحدة خطأ كفيلة بتحطيم كل شىء. خالجها ذلك الأحساس القلق وكأنها تتوقع هبوب عاصفة.

لم يكن هناك مايقال أكثر من ذلك. وبينما نزلا من السيارة بقيت (جوستين) بداخلها وبدا عليها نفوراً واضحاً من النزول على الرغم من رغبتها فى رؤية جدتها (لوسيل). وفى آخر الأمر أضطر (لوك) لحملها بأمساكاً بإحدى يديها بينما مدت يدها الأخرى وأمسكت بيد (جوليا) كما لو كانت ذاهبة لمواجهة محنة كبرى.

نظرت (جوليا) للمنزل فى الغسق المعتم. ووصلت لأسماعها بعض الأصوات الغريبة. أصوات الموسيقى الليلية «لكامارجو». لم يكن هناك سبيل للتراجع على الأقل الآن. كان هذا ما أحسته من وجه لوك الممتلىء فخراً. ولكنها أحست ذلك بدرجة أقوى من خلال اليد الصغيرة التى كانت تشد على يدها. وأيا كان الأمر فهى فى أرض (لوك)... فى (هاناد دى مينشاد) وطن (لوك مارشال) ماركيز دى سانت مينشاد. لقد وافقت على المجىء إلى هذا المكان بدافع من حبها الجارف (لجوستين). لقد غير (لوك) حياتهم جميعاً إلى الأفضل ويجب أن تسعد بذلك. فلماذا إذن كانت تشعر كأنها أسيرة؟ إنه سؤال لم تهتم بالأجابة عليه. وأحست كأنها فى أجازة لا شىء غير ذلك.

بعد فترة أفرغت (جوليا) حقائبها وبدلت ملابسها أستعداداً لتناول العشاء فى تلك الحجرة المريحة المتسعة المجاورة لغرفة (جوستين). وفى تلك الأثناء سألت نفسها عن السبب الذى يدعوها لهذا القلق. إنهم جميعاً يحبون الطفلة. وأحست (جوليا) بأنها كانت على خطأ تماماً. فلا شىء هنا يدعو (جوستين) للصمت.

عاد تفكيرها إلى لحظة وصولهم. وتذكرت كيف كانت (جوستين) تتطلع للتراجع. كان (لوك) (جوستين) كأنها شخصين غريبين. وأحست بهما شيئاً مثيراً. كانا يختلفان عن أى وقت مضى. وعند دخولهم المنزل كان سلوك (جوستين) غريباً بعض الشىء. أستدارت نحو (جوليا) وتركت يد (لوك). وبدون تردد حملتها (جوليا). كانت (جوليا) نفسها نحيفة ولكن الطفلة كانت لا تزال خفيفة الوزن بسبب المحنة التى مرت بها.

ومرة أخرى أمتلأت (جوليا) بالرغبة فى حمايتها.

كان المنزل جميلاً دافئاً ومنظماً. وبالتأكيد لا يوجد هنا ما يخيف الطفلة. تلاقت نظرات (جوليا) و (لوك) عندما حدق بحيرة فى (جوستين) ثم فى (جوليا). كان على وشك الكلام ولكنه توقف عندما دخلت سيدة مسرعة إلى الحجرة وصاحت: «جوستين.. صغيرتى.. ها قد عدت إلى بيتك أخيراً». وفتحت ذراعيها إلى أقصى ما تستطيع وخفضت (جوليا) ذراعيها حول (جوستين) التى أنزلقت إلى الأرض وأندفعت ترتمى بين ذراعى هذه السيدة وهى تقول: «جدتى (لوسيل).. لقد كنت أتوق إلى رؤيتك. لقد أفتقدتك كثيراً». وطوقتها الذراعين الدافئتين بقوة. وكانت عينيها الداكنتين اللتين التقتا مع عينى (جوليا) تشعان بالدفء أيضاً. كانت فى حوالى الخمسين من عمرها ولكنها لا تشبه (لوك) فى أى شىء. فليس لها ذلك المظهر المتعجرف ولا الوجه الصارم. وبينما كان (لوك) ذا بشرة بنيه ذهبية فقد كانت زوجة أبيه داكنة البشرة. كان بها شىء غير عادى يتحدى الوصف. إنه ذلك الوميض الحاد فى عينيها الداكنتين. كان صفه مميزة فى وجهها البنى الداكن بلون البندق.

قالت الجدة بصوت رقيق بينما كانت تمرر يدها على شعر (جوستين) الخفيف القصير: أنت الممرضة (ردفورد)... لقد حدثنا (لوك) عن شفقتك الكبيرة تجاه (جوستين) وعن مهارة والدك العظيمة».

نظرت (جوستين) لجدتها وهى تقول: «إن البروفيسور هو الأفضل فى العالم. وهو يعيش فى بيت كبير. إنه رجل مهم جداً. وهو أيضاً صديقى. وكم كان يقذف بى فى الهواء ثم يستقبلنى بكلتا يديه. ويوماً ما سوف أعود إلى أنجلترا مع (جوليا) لأعيش معهم».

قالت الجدة برقة «حق... صغيرتى... من ذاك الذى يكون أهم منك؟ إذا رحلت عنا فسوف تذيل مثل العشب فى المستقعات. فأنت محبوبة أثيره لدينا».

وجاءهم صوتا من ناحية الباب يصيح: «أوه.. أيتها الوغدة... ها أنت بالمنزل» وصرخت جوستين هرباً وأنطلقت لتقذف بنفسها فى أحضان جديدة لشاب فى عمر (جوليا) وهتفت: «(فيليب)». كان يقف بحركة شبه مسرحية لدى الباب وتلقفها بين زراعيه ورفعها فى الهواء ثم أحكم ذراعيه حولها. وأستدار إلى (جوليا) محيياً وهو يقول بإعجاب صريح: «أوه... لقد أحضرتم لنا أميرة أنجليزية». ثم تابع وهو ينظر إلى (جوستين). «لقد سمعتكم تتباهون بأهميتها. وعلى كل فأنا سعيد بعودتك لتحدثنى المزيد من الضوضواء يا عزيزتى. لقد كان الهدوء يخيم على المكان فى غيابك».

قالت (جوستين) بهدوء وقد طوقت عنقه بذراعيها: «إننى لم أكن أتحدث فى منزل (جوليا) ولكننى أضطررت للتحدث فى نهاية الأمر لأنها كانت ستتركنا نرحل بدون أن تأتى معنا فكان لابد من التحدث عندئذ».

قال (فيليب): «ربما تكون هذه الأميرة الأنجليزية قد أفسدت بالتدليل». كانت عيناه تمسحان جسد (جوليا) فى أعجاب.

قال (لوك) بصوت حاد: «إن الأميرة الأنجليزية ممرضة ملتزمة جداً بأحد مستشفيات أنجلترا» ثم أخذ بذراع (جوليا) وهو يقول بصوت جاف: «سوف أقدمك كما ينبغى بعد أن مرت مفاجأة اللقاء الأول».. زوجتى أبى (لوسيل)... أخى غير الشقيق (فيليب)». وأشار لكل منهما على التوالى وكان سلوكه بارداً إلى حد ما وقد شدد قبضته حول ذراع (جوليا) بدون داع.

قال (لوك): «لقد أبدت الممرضة (ردفورد) أستعدادها بمنتهى النبل لترك عملها مؤقتاً والمجىء إلى هنا لمساعدة (جوستين). وسوف تناوبها (جوليا). وستكون لها يد مطلقة فيما يخص (بجوستين). وستكون مسئولة أمامى أنا فقط».

وعلق (فيليب) ساخراً: «وأنت ــ كما نعلم ــ لست مسئولاً أمام

أحد» وارتسمت على وجهه ابتسامة مازحة عندما وجه لى (لوك) نظراته الحادة ورد بسرعة مازحاً: «أنا أفعل أحياناً ولكن للدعابة فقط» قال (فيليب): «لقد رأيت ما حدث لأولئك الذين حاولوا رفع سيوفهم فى وجهك.. أيها الأخ الكبير».

قال (لوك) ساخراً: «إذا لم تتوقف عن المزاح فسوف تجد نفسك حيث تعلم». وأما الآن فأرشد (جوليا) لحجرتها. سوف أقدم لكم امتياز حمل حقائبهم. ثم قال فجأة بصوت حاد: «أين (ماريس)؟»

قالت (لوسيل) بسرعة: «أنها ستتأخر هذا المساء ولكنها ستأتى قبل موعد العشاء». وأحست (جوليا) براحة غريبة عندما امتدت يد (لوك) إلى كتف زوجة أبيه وتبادلا نظرة متفاهمة. إذن فليس كل شىء يتم عن طريق الحرب فى هذا المنزل. كان واضحاً أن (لوك) قد أستاء لموقف أخيه من (چجليا). كانت تأمل ألا يشعر بأن (فيليب) سيكون عقبة فى طريقها. وسوف يتطاير الشرر إذا أصر (لوك) على هذا الموقف الصلب.

عندما أنزل (فيليب) (جوستين) إلى الأرض قال لها (لوك): «تعالى حلوتى... أستخدمى قدميك هاتين فى السير إلى غرفتك. إنك إذا تركت (جوليا) تدير بصرها فى أرجاء المنزل فسوف أن هذه الجدران عارية تماماً وتحتاج للوحة أو أثنتين. ومن يدرى فقد ترسم لوحة لك أنت».

إمتلأ وجه (فيليب) بالشغف وهو يسأل فى أعجاب: «أنت فنانة أيضاً يا (جوليا)؟»

ردت (جوستين) بفخر: «فنانة رائعة».

قال (لوك) بصوت جاف: «وذات شأن عظيم» وأستدار نحو الباب كأنه يحث (جوليا) و(جوستين) على الخروج.

أرشدها إلى الحجرة التى خصصت لها ثم تركها عائداً لهم. وأحست ببعض الضيق فلم يكن لديها شك فى أنه قد عاد ليحدد لهم مكانها هنا بالضبط. ولكنها لم تشعر أن مهمتها ستكون صعبة فى وسط هذا الحب

الذى يحيط (بجوستين). ولكن كيف تبدو ماريس؟ لم يكن فيليب يشبه والدته سوى فى لون البشرة إلى حد ما. كان أقرب فى مظهره إلى (لوك) ولكنه كان أكثر رقة ووسامة. فهل كانت ماريس مثل ذلك؟ وهل ستجد صعوبة فى التعامل معها؟ كانت تتوق لأكتشاف كل هذه الأمور وإن أحست ببعض الخجل لذلك.

لقد تجلى أمامها الآن أم صمت (چوستين) كان نوعاً من الصدمة حلت بها من جراء تعرضها للحادثة. وقد حال مرضها دون ظهور هذا الأمر قبل إجراء الجراحة.

أنهت (چوليا) أرتداء ملابسها. إنها تريد أن تبدو الليلة بصورة طيبة لتعطى أنطباعاً طيباً وخاصة أنها لم تمكث هنا طويلاً. فبمجرد أن تشعر بالأطمئنان تجاه (چوستين) ويصبح ذلك واضحاً أمام (لوك) فسيوافق على عودتها لوطنها.

كان ترتدى سروالاً حريرياً ضيقاً وقميصاً فضفاضاً أرجوانى اللون ذا أكمام متسعة. وقد أعطى تبايناً أخاذاً مع شعرها الذهبى الكثيف الذى أسدلته مسترسلاً خلف أذنيها اللتين تدلى منها قراطاً فضياً يلمع فى الأضواء. وأحاطت معصمها بسوار فضى بينما وضعت قدميها الصغيرتين الجميلتين فى صندل فضى اللون ذا كعب مرتفع. بدت (چوليا) كأنها إحدى بنات الشرق بمظهرها الفريد. كانت ثيابها شديدة الأناقة. أسعدها ذلك كثيراً.

عند سماعها طرقاً على باب حجرتها تخيلت أنها (چوستين) فردت بإبتهاج: «أدخلى يا (چوستين)» ولكنه كان (لوك) وقد تألق جسده الطويل فى حلة داكنة بينما كان قميصه ذا اللون الأزرق الثلجى يبرق فى تباين مع بشرته الذهبية اللون.

قال (لوك) بهدوء وهو يتأمل جمالها الأخاذ: «لقد تناولت (چوستين) عشاءها فى الفراش فقد كانت متعبة جداً وربما تستسلم للنوم الآن».

قالت (چوليا): «أوه... إننى ذاهبة لها».

وأتجهت نحو الباب لكنه أوقفها بهزة من رأسه قائلاً: «ليس الغد ببعيد حيث يمكنك تحمل مسئوليتك تجاه (چوستين). أما الليلة وبلا تكلفة فلتكونى ضيفتى».

توقفت (چوليا) فى وسط الحجرة وقد أحست بنذر الخطر بينما تولد داخلها إدراك مفرط لجسدها وإدراك خجول لجسده. وببساطة راح يتفحص جسدها وكأنها أصبحت عادة أكتسبها منذ أن رآها لأول مرة ثم ثبتت عيناه على وجهها وهو يقول بهدوء: «أنت تعتقدين أنه أنا. اليس كذلك؟»

كان يقصد سبب مشكلة (چوستين). وللحظة لم تفهم مايقصده ثم توردت وجنتاها خجلاً وأطرقت ببصرها إلى الأرض وهى تقول: «لا... ليس الآن. أعترف بأننى ظننت ذلك ممكناً فى البداية. إن (چوستين) تحبك ولكنها توجه لك نظرات غريبة فى بعض الأحيان».

قال (لوك): «إننى أتفق معك تماماً».

ثم خطا إلى داخل الحجرة ببطء ماتكأ على منضدة الزينة وقد وضع يديه فى جيبيه وثنى إحدى قدميه فى رشاقة قال: «إنها كذلك منذ الحادثة. وقد يكون ذلك لشدة شبهى (بجوليس) كما ذكرت لك من قبل. وعلى أية حال... فماذا يدور بعقلك الآن بعد أن تخليت عن هذه الفكرة؟»

قالت (چوليا) بصوت قوى: «من المحتمل أن تكون صدمة مؤجلة».

ولم تستريح چوليا لهذه المحادثة ولا لوجوده فى غرفتها فتابعت قائلة: «سوف ننتظر أسبوعاً فإذا أستمر حالتها مطمئنة سأعود إلى بلدى».

قال (لوك) بهدوء: «هذه فكرة لم أضعها فى أعتبارى بعد. وقد تكتشفين أننا نحتاج إليك لمدة أطول من أسبوع».

قالت (چوليا) بأقصى ماأستطاعت من قوة: «إن (چوستين) تعنى أن لى عملاً يجب أن أعود إليه».

قال (لوك) بصوت رقيق: «هى تعنى ذلك. ولكن هل تطيق فراقك؟»

أحست (چوليا) بأنها قد وقعت فى شرك. كانت كل حواسها تدعوها الأن تبت فى هذا الأمر فوراً.

قالت (چوليا) بحدة: «عاجلاً أو آجلاً فلابد أن أرحل. لقد قدمت كل مافى وسعى» ولكن من الواضح أن ذلك سينتهى حتماً. فلسوف تستقر (چوستين) هنا وأصبح أقل أهمية لها. وسيحدث ذلك سريعاً. فالكثير من صغار المرضى يتعلقون بممرضيهم وحتى الكبار فإنهم يفعلون ذلك. وعندما يستقرون فى منازلهم فإنهم قد لايتذكرون أسماءهم» ثم أضافت بحزم: «وهذا مايجب أن يكون».

قال لوك بصوت مرتعش: «ولكن (چوستين) ليست كأى طفلة عادية. فلم تكن (دايردرى) أما حقيقية لها مطلقاً. فهى لم تكن تريد الأنجاب. ولم تعرف (چوستين) حنان الأم على الأطلاق. وعندما كان (جوليس) حياً لم يكن هناك أهمية لذلك فقد كان يعطيها كل الحب الذى تتمناه. أما الآن فقد أتضحت لها الأمور على نحو مؤلم بينما لاتزال تتذكر ماضيها».

قالت (چوليا) وقد غامت عيناها بالدموع: «يالها من بائسة» ثم نظرت له فى صمت.

قال (لوك) بصوت رقيق: إن الأطفال يحبون أن يكون كل شىء بمتناول أيديهم. إن لها أقارب يحبونها ولكن هذا ليس كافياً. أنها تحبنى ولكن هذا أيضاً لايكفى. عندما وصلنا للمنزل لم أستطع عمل شىء عندما وجدتها تتركنى وتذهب إليك. لقد تحيرت أنت أمام هذا التصرف وكذلك أنا. ولكننى وصلت لحل هذا اللغز. لقد قررت (چوستين) أنها بحاجة إلى أم. وأعتقد أنها قد أختارتك أنت».

جحظت عينا (چوليا) وهى تحملق فيه قائلة: «هذا مستحيل. غالبا لتأكيد أن أقامتى هنا مؤقتة. أنت تعلم هذا ولو كان لدى أدنى شك فى ذلك لما أتيت معكم. إذا كان هذا هو شعورها فمن الأفضل أن تنفصل عنى تماماً» ثم أضافت «هذه بالطبع هى وجهة نظرك إنت فقط».

قال (لوك) مؤكداً: «لقد كانت مجرد وجهة نظر لدى لفترة من الوقت».

وعندئذ أدركت المصيدة التى أوقعت نفسها فيها. وتذكرت قوله: «لتأت إلى فرنسا يا (چوليا) .... لتأت معى». ترى ماذا كان يتوقع منها أن تفعله الآن بالضبط؟ أتراه أتى بها بحيلة بارعة إلى (كامارجو). وعلى أية حال فلقد تصرفت حتى الآن على نحو طيب فى مواجهة هذا الرجل الغامض الغريب.

وقبل أن تنطق (چوليا) بأى كلمة أستمر (لوك) قائلاً: «إننى لا أتوجد هنا بأستمرار يا (چوليا). فلدى الكثير من الأعمال فى أماكن أخرى من فرنسا. ونحن نقيم هنا لأننا فقط من أهل «كامارجو» ونعشق جمالها البرى». إن ثروتنا تتمثل فى الفنادق وكروم العنب وأشياء أخرى كثيرة وبعد السفر شيئاً ضرورياً بالنسبة لى ولهذا فنحن بحاجة إليك... أنا و(چوستين)».

سألت (چوليا) بحدة: على أى أساس بالضبط يا سيدى؟» وبدأت عيناها تمتلىء بالتحفز القديم.

قال (لوك) بإبتسامة ساخرة: «كصديقه بالتأكيد. فماذا يمكنك أن تكونى غير ذلك؟».

قالت (چوليا): «لا يمكننى أن أكون أما أحتياطية لسبب واحد. فأنا مغرمة جداً (بچوستين) ولكن لى وطنى وحياتى الخاصة. وكما قلت من قبل فسنعطى هذا الأمر أسبوعاً».

قال (لوك) فى صوت غاضب: «سوف نرى ذلك. وإلى أن يأتى ذلك الوقت فلا تبسطى حنانك وشفقتك بلا قيود أيتها الأميرة الأنجليزية. فسرعان ما قد تحدينى أتقيله بطمع. وأنا متأكد أن (فيليب) سيتقبله من أول لحظة. وقد رأيت كيف كان ينظر لك الليلة. فركزى جهدك على (چوستين) ودعى الآخرين لشأنهم».

قالت (چوليا) فى صوت جاد: «سوف أتذكر ذلك يا سيدى» وعاد

أسلوبها إلى ما كانت عليه أبان عملها بالمستشفى.

وصحح (لوك) كلمتها قائلاً برقة: «(لوك)» وأتسعت أبتسامته لمظهرها المرتبك ثم قال: «هيا دعينى أرافقك إلى العشاء».

سارت (چوليا) ببطء وقد داخلها القلق إذ ستضطر للمرور بالقرب من جسده القوى الممتلىء بالرجولة. وفجأة أرتفعت يداه وأحاطت بوجهها ثم أمالة تجاه الضوء قائلاً بصوت هادىء متريثاً: إنك باهرة الجمال بدرجة مذهلة. ولست أدرى هل تدركين ذلك أم لا. ومن نواح شتى فأنت ذاتك مجرد طفلة لكننى أعرف أن (چوستين) ستكون فى مأمن معك. هيا جميلتى لنواجه الأمور سوياً».

أخذ ذراعها برفق وخرجا من الغرفة لكن المشاعر التى بدأت تتزاحم بداخلها بمجرد أن لمسها بيده كانت ملتهبة ومرعبة. لقد كان قوة غامضة أعادت تشكيل حياتها. وفجأة ــ مثلما يفعل الأطفال ــ أحست أنها تتوق لرؤية والدها. فهى لم تعرف ماذا يقصد (لوك) بكلماته هذه؟ ومن ناحيتها لم تجد ما يمكنها عمله. ولكنها أحست بأن عليها أن تعود لبلدها بأسرع ما يمكن. لقد كان مجيئها إلى هنا فكرة سخيفة جداً.

الفصـــــل الخامـــس

عندما هبطا إلى الطابق الأرضى كانت هناك (ماريس) أخت (لوك) غير الشقيقة. كانت قريبة الشبه من (فيليب) ولها عينا أمها الذكيتين الغريبتين.

كانت سمراء ذات شعر أسود طويل يصل إلى خصرها. ويحيطها جمال متعال شابته نظرة عدائية نافرة. وبدا ذلك تعبيراً راسخاً بداخلها، وقد حيت (لوك) بنظرة واسعة جمعت ما بين القلق والتحدى.

سألها (لوك) بهدوء: «هل يعمل البنك حتى وقت متأخر هذه الأيام؟» كانت هناك بعضاً من الشدة الكامنة وراء السؤال الهادىء.

ودت (چوليا) لو أنجهت لأحد أركان الحجرة ولكن يد (لوك) كانت تقبض على يدها بشدة.

قالت (ماريس): «إننى فى الثامنة عشر ويمكننى أن أفعل ما أريد» وأدارت رأسها لأعلى تواجه نظرته المحدقة وقد أمتلأ وجهها بغضب خجول كطفل ضبط أثناء قيامه بعمل عابث.

قال (لوك) بلهجة غاضبة: «أنت محظوظة. فأنا فى السادسة والثلاثين ولا أستطيع أن أفعل ما أريد. فأنا أفعل ما هو متوقع منى. وستفعلين أنت نفس الشىء لتقللى من القلق الذى تسببينه لوالدتك».

قالت (لوسيل) بسرعة وقد أضطرب وجهها: «أنت على حق يا (لوك)». وقبل أن يرد (لوك) أندفعت (ماريس) قائلة فى غضب: «ليس هناك من يأمرك بما يجب أن تفعله يا (لوك). فأنت السيد المطلق اليد هنا ولا نعرف ما تفعله». ووميضت عينها بخفه فى أتجاه (چوليا) معطية إيحاءً طفيفاً بالشك.. وأنفجر (لوك) مزمجراً وقد أظلم الغضب وجهه:

«إن العجرفة لا تجدى نفعاً معى... وإذا كنت تقصدين إهانة ضيفتى فسيكون عليك أن تتناولى طعامك فى غرفتك طول مدة أقامتها. فأنا لن أدع شيئاً يضايق الآنسة (ردفورد) مهما كانت الظروف. وعليك الآن بالأعتذار لها عن تلك النظرة المختلسة التى ضمت الكثير من السم».

قالت (ماريس): «أنا آسفة يا (لوك)» وتهاوى رأسها الداكنه تحت وطأة هذا الهجوم الضارى. بينما تجمدت (چوليا) فى أرتباك تام.

وأضافت (ماريس): «أنا آسفة يا آنسة (ردفورد). إننى أعلم فعلاً سبب مجيئك إلى هنا ونحن جميعاً ندين لك بالأمتنان».

قال (لوك) بصوت أجش: «هذا يكفى» كان وجهه لا يزال يموج بالغضب وهو يضيف قائلاً: «فى الغد سوف أذهب لمقابلة ذاك الرجل فى البنك. فأنت لا تزالين فتاة غره ولا ينبغى تعرضيك للمخاطر».

قالت (ماريس) فى أنكسار تام: «أوه... أرجوك يا (لوك)» لكنه لوح بيده منهياً الحديث وهو يقول: «هذا يكفى. فهذه وجبة (چوليا) الأولى معنا: فلتتصرف كعائلة فهذا ما تعودته وما تتوقعه».

قالت (فيليب) فى جرأه واضحة: «وهى أميرة أنجليزية ذات أهمية كبيرة» ولكن عينا (لوك) برقتا فى حزم توقفان هذا المزاح.

كان (لوك) لا يزال قابضاً على يد (چوليا). وقادها إلى الحجرة المجاورة لتناول العشاء. كانت (چوليا) تحس بما تشعر به (ماريس) من الضيق والأحباط نتيجة تحطم محاولتها المتحدية بهذه القسوة. لم يبد على (لوك) أن وجود شىء غريب فى تلك الليلة يشكل له أمراً هاماً. فقد

أنزل القصاص سريعاً وبلا رحمة. لقد كان هو السيد ومن الواضح أنهم جميعاً يعرفون ذلك. لم تستطع (جوليا) أن تتخيل طريقه تصرفه فى الظروف العادية. فسؤاله الحاد عن (ماريس) عندما لاحظ غيابها ثم غضبه الآن يبين أنه مسئول مسئولية كاملة عن كل فرد هنا. وهذا يوضح أمام ناظريها ما يتوقعه منها.

أثناء تناول الطعام هدأت أعصابهم جميعاً بما فيهم (لوك). ورغم أن (ماريس) كانت صامته معظم الوقت ــ فيما عدا يضع كلمات وجهتها (لفيليب) ــ فإنها كانت تختلس النظر إلى (جوليا) من حين لآخر ثم أبتسمت لها أبتسامة مترددة قابلتها (جوليا) بإبتسامة قلبية خالصة.

وبدأت (لوسيل) تسأل (جوليا) عن عملها وعن والدها والعملية الجراحية التى أجريت (لجوستين). أحست (جوليا) بسعادة لأنها أستطاعت تغيير مجرى الحديث وإزالة التوتر الذى أصابهم. كانوا جميعاً مهتمين بحديثها خاصة (ماريس).

وعندما أنتقلوا إلى حجرة الصالون قالت (ماريس) (لجوليا): «إن لدى رغبة كبيرة فى أن أصبح ممرضة».

قال (فيليب) ضاحكاً: «عظيم ثم بعد ذلك ستريدين أن تصبحى أخصائية فى جراحة المخ».

وجهت له (ماريس) صفعة مازحة فحنى (فيليب) رأسه مسرعاً ليتفادها.

وخاطب (لوك) (ماريس) برقة قائلاً: إن (جوليا) فى الرابعة والعشرين من عمرها وهى ممرضة فعلاً». وفوجئت (جوليا) برقة نظراته ولهجته الذى كاد يبلغ حد التدليل بعد الكلمات الحادة التى وجهها للفتاة منذ قليل. ثم أسترسل (لوك) قائلاً: «هل تعلمين ما يتطلبه ذلك من العمل الشاق؟ إنك أشبه ما تكون بالفراشه يا صغيرتى. وأعتقد أن فكرة أن تشقى طريقك من البداية كممرضة ستكون شيئاً عسيراً بالنسبة لك. فلدى (جوليا) الكثير من المهارات».

أرتبكت (جوليا) لهذا المديح المفرط. فهى لا تريد أن تكون محط أنظار مثل هذه الكثرة من العيون المعجبة.

قالت (جوليا) بعض الأرتباك: «يجب أن يكون لديها وفرة من الوقت للتعلم إذا كانت تعنى ذلك فعلاً. فقد بدأت أنا من أول الطريق وهكذا يفعل أى فرد».

قال (لوك) بهدوء: «إنها منبهرة بك. وهى لا تعى أنك مجرد حالة أستثنائية ولا يعد شيئاً مسلماً به أن تصل لمستواك».

قالت (جوليا) فى غضب: «إننى مجرد ممرضة. ويمكن (لماريس) بسهولة أن تحقق ما تريد. فهناك حاجة دائمة للممرضات. وما دامت لغتها الأنجليزية جيدة فلماذا لا تتدرب فى أنجلترا».

قال (لوك): «هل لى أن أسألك عمن سيتولى رعايا؟» وأغاظتها أبتسامته الساخرة وهو ينظر إلى وجه (جوليا) الغاضب المتورد خجلاً.

قالت (جوليا): «بإمكانها أن تعيش معى. وستنزل على الرحب والسعة فى منزلنا ويمكننى أن أساعدها فى أمتحاناتها».

قال (لوك) بصوت هادىء وقد أمتلأت عيناه بالضحك الساخر: «كم أنت مندفعة... يا ممرضة (ردفورد). إنك لا تعرفين صغيرتنا (ماريس). إنها جمع من المشاكل».

أعترضت (لوسيل) بصوت رقيق وهى تنظر (لماريس): «إنها فتاة بارعة جداً يا (لوك)». كان وجه (ماريس) قد بدأ يكتسى بعلامات التمرد.

ووافقها (لوك) قائلاً فى صوت هادىء: «إنها تكاد تبلغ الكمال» ثم وضع ذراعه حول كتفى أخته وتابع قائلاً: «لكننى أحس أحياناً أن هذا يرجع لوجودى بجوارها».

وأشتركت (ماريس) مع الجميع الذين أنطلقت ضحكاتهم مما حير (جوليا). ماذا هنا يمكن أن يدعو طفلة لأن تقرر التزام الصمت. لقد كانوا جميعاً يحبون بعضهم البعض. وفى كل الحالات فلم يكن هناك أدنى

شك فى أن (چوستين) كانت تخفى بحب عظيم. وأحست (چوليا) أنها زائدة إلى حد بعيد عن أحتياجاتهم بل داخلها شك كبير فيما إذا كانوا يحتاجونها أساساً. لقد كان توسل (چوستين) الذى عضده (لوك) هو الشىء الوحيد الذى أتى بها إلى هنا. ولم يكن لديها أدنى شك فى أن سيتضح جلياً خلال الأيام القليلة القادمة أن هذه مجرد أجازة لها.

كان الحديث مع (لوسيل) سهلاً. وبعد أن هدأت ثورة (ماريس) فقد أبدت شغفاً كبيراً بمعرفة الكثير عن أنجلترا والتمريض وكيف كانت (چوليا) تتعامل مع (چوستين). وبينما أختفى (فيليب) فقد أتخذ (لوك) لنفسه مقعداً وثيراً فى أحد جوانب الحجرة وأستغرق فى قراءة أحد الكتب.

أسترقت (چوليا) النظر إليه وكانت أهدابه الكثيفة المقوسة تبدو داكنة إزاء عظام وجنتيه البارزتين وبدت يداه طويلة الأصابع بنية اللون قوية. وحتى هذه اللحظة بدا أنيقاً رغم أنه نزع سترته وعلقها على ذراع وعلقها على ذراع المقعد. أتجهت عيناها إلى ذراعين القويتين وسرت رعشة خلال جسدها ولكن بالتأكيد لم تكن رعشة خوف.

وفجأة رفع رأسه وسدد بصره إليها مباشرة مركزاً عليها عيناه. تدفق الدم إلى وجنتيها. وللحظة قصيرة عاد إلى ما كانا عليه فى السيارة عندما كانا يرقبان الطيور المحلقة بينما أنحصر تفكير كل منهما فى الآخر وأخذت عيونها تتأمل وجهيهما. وأكتست نظرته بالجدية ثم القى الكتاب على نحو مفاجىء ونهض ملتقطاً سترته.

قال فى رقة غير متوقعة: «تعالى يا (چوليا). لابد أنك متعبة فقد كان يوماً طويلاً بالنسبة لك كما أن السيدتين يستجوبانك فى حماسة. سوف أسير معك فى الحديقة لخمس دقائق ثم أعود بك لحجرتك».

قالت (ماريس) بضحكة مندهشة: هل سترسلها للفراش. منذ ما لا يزيد على نصف ساعة كنت تؤكد على أنها قوية وماهرة والآن تعاملها على أنها طفلة» ثم تابعت «أنا لم أنتهى من حديثى معها. إنه حديث ساحر

جذاب».

قال (لوك) فى لهجة جادة: «سوف تسحرك فى الغد، لا تنسى أنها ضيفتنا ولا تستطيع أن تذهب لفراشها ببساطة وبدون تكلف» ثم أضاف ساخراً: «أنا أعرف مقدرتك على الأستمرار فى الحديث بلا إنقطاع».

وعلت ضحكات الجميع ثم وجدت (چوليا) نفسها تترك الغرفة بصحبة (لوك) سواء أرادت ذلك أم لم ترد.

كان الهواء لا يزال دافئاً بالخارج. بدا نسيم الليل رقيقاً هادئاً. كانت (چوليا) سعيدة بهذا الظلام. إن (لوك مارشال) رجل محير. وقد بدا فوراً واثقاً من رجولته إلى حد بعيد لدرجة أنها أستنكرت مجيئها إلى هنا تحت رعايته.

وبينما كان يسير بجوارها غمغم قائلاً: «إننى أتوق لمعرفة ما تجدينه بى محيفاً؟ لقد واجهت الكثير من الأمور بشجاعة نادرة ولكنك حتى الآن لا تستطيعين مواجهتى».

كانت (چوليا) مفتونه به ولكنها لم تشأ أن يبدو منها ما يشير إلى ذلك فقالت بصوت هادىء: «إننى أواجهك يا سيدى».

قال مؤكداً بلهجة رقيقة: «ولكن بدون شجاعة» وأمسك بذراعها عندما عثرت قدمها فى الظلام ثم أضاف: «أنت لا زلت تشكين فى أن (چوستين) تخشانى؟»

قالت (چوليا) بصوت واضح النبرات: «كلا. فليس لدى أدنى فكرة عن السبب الذى جعل (چوستين) تقرر التزام الصمت. ولكننى متأكدة إلى حد كبير أنه كان قرار وليس شيئاً غير ذلك».

قال بصوت عميق: «إننى أتفق معك». ثم أضاف متسائلاً: «إنك لم تجدى شيئاً بعد يدفعك للأعتقاد بأنها كانت تخشى العودة للمنزل؟»

قالت (چوليا) بسرعة: «إن كل فرد هنا يبدو ساحراً فاتناً وكلهم يحبونها» وأبتسمت فى رقة عندما أشتدت قبضته على ذراعها لا إرادياً وهو يقول:

«أرجو أن أكون ضمن هذا السحر العام. ومما لا شك فيه أنك بمرور الوقت ستكتشفين ما تخشاه. وإذا ما قررت هى أن تخبر أى فرد فلن يكون غيرك».

تسارعت ضربات قلبها لدى سماعها هذه اللهجة وهاجمها ذلك الأحساس بالوقوع فى الشرك فقالت مذكره إياه: «إن الوقت لن يستمر طويلاً. فلدى عملى ومنزلى كما أن والدى يحتاجنى أيضاً».

قال بتأنيب ساخر: «ولكننا نحتاجك أيضاً يا (چوليا). وعليك أن تحددى بالضبط من الذى يحتاجك أكثر. هل هذا هو ما يقلقك؟ أحساسك بالتشتت مابين أتجاهين؟ إنك لم تسقطى فى مصيده. خذى قرارك وسوف أعود بك إلى أنجلترا عندئذ ولو فى هذه الليلة إذا ما قررت ذلك».

قالت (چوليا) بحدة: «أنت تجعلنى أشعر وكأننى طفلة. عندما أقرر وضع حد لذلك فسوف أخبرك» وتركت ضحكته الهادئة أثراً غريباً عليها. لم تكن ضحكة مشجعة ولا قاسية. ولكنها كانت غامضة كما لو كان يعرف أموراً كثيرة تجهلها هى. وعندئذ التمست مهرباً فى إدعاءها الأرهاق والتجأت لفراشها.

وخلال الأيام القليلة التالية تأقلمت (چوليا) مع الأسرة. فى البداية لم تكن قد أستقرت على مايجب أن تفعله. وفى أول أسبوعين لم يكن هناك رفيقاً غيرها (لچوستين). فكانا يخرجان بأستمرار للطواف بأرجاء المزارع. وقد سُحرت (چوستين) برسومات (چوليا) وكانت تجد بعض الضيق فى اصرار (چوليا) على الحصول على قسط من الراحة بعد ظهر كل يوم.

أما (لوك) فقد كان مشغولاً منذ الصباح حتى المساء. وكان ذلك ملائماً جداً (لچوليا). وبمجرد أن كانت عيناه القاهرتين الآمرتين تستقران عليها فقد كانت تغوص فى القلق والأضطراب. كان شعوراً غريباً مبهماً يعتل فى صدرها وكانت تجاهد للتحكم فيه ولكنها لم تتمكن من ذلك

تماماً. وأثناء العشاء فكثيراً ما كان يكتفى بمعاملتها بكياسة ورقه بينما ينهمك فى أحاديث مع (فيليب) بخصوص ضيقهم ثم يذهب لغرفته ويبقى بها حتى موعد نومه.

كان لابد من الأشراف على تلك المساحات الشاسعة من الأرض ورعاية قطعان الثيران والخيول. وكثيراً ما كانت تستيقظ مبكراً أثناء خروج (لوك) و(فيليب) فى سيارتها (اللاندروفر) ذاهبين إلى الأطراف النائية للمزارع. وغالباً ما كانت تقفز من فراشها لتراقبهم أثناء خروجهم وقد تركزت عيناها لا أرادياً على (لوك) حتى يغيبا عن نظرها.

لم يكن هناك شىء يذكر فى المساء سوى جلوس (ماريس) إلى (چوليا) لتحادثها عن أنجلترا والتمريض. ولم يكن لدى (لوك) أهتمام بأى من الموضعين. وعلى مايبدو فإن الأزمة التى ثارت بخصوص تأخرها فى العودة قد أنتهت ولم تعد (ماريس) تتأخر خارج المنزل على الأطلاق.

بعد ظهر أحد الأيام كانت (چوليا) منهمكة فى رسم لوحاتها فى حديقة المنزل بعد أن قادت (چوستين) لتنام مدة ساعتين. أقبل (فيليب) يسير فى هدوء وهو يقول: «هل تعرفين كم أنت ماهرة جداً؟... ممرضة جميلة بارعة ورسامة موهوبة... إننى أتمنى أن أكون مثل (چوستين)... لى ممرضة ذات وجه ملائكى».

أسعد (چوليا) أن لهجته كانت مجرد مزاح فردت بإبتسامة: «إنك أكبر سناً بعض الشىء من ذلك». ثم تابعت: «أعتقد أنك كنت اليوم مع الرعاة فى المزارع».

قال (فيليب): «أرجوك ياآنسة... إنك تبدين مثل أخى المتحفظ... أنا لا أنوى الذهاب لهم قبل الساعة الثالثة حيث سيصل (لوك) ونذهب لنقود الخيول. لقد كان مشغولاً صباح اليوم وهذا هو وقت راحتى. وإذا لم أقتطع لها وقتاً فقد يأتى لياخذنى بالسيارة قبل أن التقط أنفاسى. إننى لست متأكداً على الأطلاق أنه بشر. إنه مثل الثيران وطبد العزم لا تفتر له همه.

جثى (فيليب) إلى جوارها وقد ملأت وجه أبتسامة وهو يقول: إننى لم أكد أحصل على فرصة للحديث معك فأرجو أن تغفرى لى ذلك».

قالت (چوليا) وهى تحاول أن تخفى تورد وجهها لدى ذكر (لوك): يمكنك الحديث معى عندما تود ذلك. فلدى الحرية فى عمل ما أريد طالما أن ذلك لا يمس وقتى مع (چوستين).

قال (فيليب): «إذن فهل ترغبين فى تناول العشاء بمفردك معى فى إحدى أمسيات هذا الأسبوع؟ هناك مطعم صغير هادىء فى المدينة القريبة. والطعام هناك جيد» تناول (فيليب) يدها وهو ينظر مبتسماً إلى عينيها الزرقاوينين العميقتين.

ولم تكد (چوليا) تفتح فمها حتى جاءهم صوت ساخر أغناها عن الرد وهو يقول موغجا: «هل تقاعدت عن حياة العمل يا (فيليب)؟» كان صوت (لوك) الذى خطا إليهم بقامته الفارهة الطول. كان يرتدى زى أحد الرعاة فكان يرتدى بنطلوناً ضيقاً من نسيج قطنى متين وحذاء ذا عنق طويل وقميص فضفاضا من ذا اللون زاهية بينا أنزلقت قبعته مفلطحة القمة خلف رأسه الداكن. لقد بدا رجلاً آخر غير ذلك الذى قدم إلى أنجلترا مع ابنة أخيه. كان مختلفاً لدرجة أن (چوليا) صدقت فيه بإنبهار ولم تستطع أن تصرف بعدها بعيداً. لم يكن هناك أدنى أثر لرجل الأعمال الثرى الفخم المظهر. لقد بدا فعلاً كأنه أحد هؤلاء الرعاة. وكان وجهه أقل صرامة من أى مرة شاهدته فيها.

نظر إليه (فيليب) فى ضيق قائلاً: إننى لم أتناول قهوتى بعد. لقد ظننت أننى سأنفرد (بچوليا) ولكن يبدو أن بك قدرة كبيرة على إفساد المتعة.

قال (لوك) ضاحكاً: «لدينا بعض الوقت» ثم ألقى بنفسه بجوار (چوليا) وهو يقول: «فى واقع الأمر فإننى جهزت لك فرسك. فعليك أن تذهب وتطلب القهوة لى و(لچوليا) فقد قمت أنا بالمهمة

لأصعب». وأنطلق (فيليب) مدمدماً بوجه طلق بينا حاولت (چوليا) أن تبدو طبيعية تماماً وهى تذكر نفسها فى أضطراب بأنها قد نسيت كيف يمكن أن يكون الإنسان طبيعياً. لقد أصبحت دقات قلبها تتسارع فى كل مرة ترى فيها (لوك) وكم كان ذلك سخيفاً. فهو لا يمثل شىء على الأطلاق ولم يصدر منه ما يدعوها لتخيل غير ذلك ما عدا تلك النظرة الغريبة التى يحتمل أن تكون وليدة تخيلها. وهو يبدو مثلما كان دائماً بدون تغيير. ولكن من الطبيعى أن يكون أكثر رقة الآن فقد عاد إلى بيته كما أن كل يوم يجعل (چوستين) تقترب من حالتها العادية وأيامها القديمة.

أقترب (لوك) ينظر للوحتها وهو يقول بصوت هادىء: إن رسوماتك تتحسن بسرعة فهل تدركين ذلك».. ثم أستطرد قائلاً: «لقد بدأت بشرتك تكتسب لونا داكناً وقد تحسنت صحتك فمن الواضح أن الأقامة هنا طيبة بالنسبة لك».

وخرج صوت (چوليا) أكثر حدة مما تقصد: «من المفروض أن تكون أقامتى هنا طيبة بالنسبة (لچوستين). وأما أنا فيجب على أن أفكر بخصوص العودة إلى وطنى».

قال (لوك) بوجه طلق: «هل يجب أن تفسدى أيامى بتهديداتك. لقد قدمت الكثير لى و(لچوستين) أفلن تسمحى لى بإعطائك أجازة؟»

قالت (چوليا) فى دهشة: «إذا كان ذلك هو السبب الذى يدعوك لأستبقائى... فعندئذ». وقاطعها (لوك) بهدوء ومصوباً عينيه إلى وجهها وهو يقول: إذا تخليت عن هذا الأسلوب الرسمى الخاص بالمستشفى فسوف تجدين فجأة سبباً وجيهاً يبرر رغبتى فى بقائك».

ولم تجد (چوليا) فرصة للرد. فقد ظهر (فيليب) ومعه فتاة جميلة نضره. وقف (لوك) فى أدب جم بينا أندفعت الفتاة تجاهه ووضعت ذراعيها حول عنقه وهى تصيح: «لقد عدت ولم أراك أطلاقاً يا عزيزى لماذا لم تأت لرؤيتى؟»

احاطها (لوك) بذراعيه وقال ضاحكاً: «إنها مسافة طويلة لضيفتك.

وكنت سآتيك عاجلاً أم آجلاً».

ضحكت الفتاة وهى تقول: «آجلا على ما أعتقد» ولمعت عينا الفتاة بالفضول عندما أنسحبت من بين ذراعيه وهى تنظر (لچوليا) ولم يبد على (لوك) أنه سيقدم كلاً منها للأخرى. فقال فيليب: «(چوليا ردفورد)» ثم أضاف موضحاً: ممرضة «(ردفورد)» قالت الفتاة: «أوه... نعم... الممرضة التى أنقذت (چوستين). لقد حدثنى عنك (لوسيل). إن كل العائلة ممتنة لك جداً ممرضة (ردفورد).

وفجأة لم يصبح لدى (چوليا) أدنى شك فى مكانه هذه الفتاة فى العائلة. فتحيتها (للوك) ومبادرته إلى ضمها بقولان الكثير. وبد (فيليب) كأنه يحاول بنظرته أن يقرأ مايدور بداخلها. وأنتزعت (چوليا) نفسها من أحساسا طارىء بالفزع وأبتسمت ببهجة بينما واصل (فيليب) تقديمها: هذه (روزان دوبين) يا (چوليا) إنها تعيش فى الضيعة المجاورة لنا ولكن المسافة بيننا طويلة إلى حد يحجبها عنا معظم الوقت».

قالت (روزان): «أتيت للمشاركة فى قيادة ونقل الخيول. فبالأمس أنتهينا من ذلك فى مزرعتنا. ولم أكن أعرف أن لوك هنا. وخيلت أن بإمكانى مساعدتك».

قال (فيليب) بلهجة قاطعة: «إذن فلتحضرى قهوتك وسوف أجهز لك فرساً».

وعندما عاد (لوك) يجلس بجوار (چوليا) أغتصبت (روزان) إبتسامة صغيرة وهى تقول:

«هل ستركب معنا الآنسة (ردفورد)؟ هل يمكنك ركوب الخيل... آنسة (ردفورد)؟

قال (لوك) بلهجة قاطعة: «حتى لو كانت تستطيع ذلك فهى لن تأتى معنا. إنها ذات قيمة كبيرة فى أدائها لما تختص به. (فچوليا) لم تأت إلى هنا لتكون أحد الرعاة».

أبتسم (فيليب) (لچوليا) وهو يقول بسرعة: «على أية حال فأنا

أريدها لتناول العشاء معى الليلة فى المدينة».

بدا ذلك كأنه مجرد نبأ تستمع له (چوليا). فهى لم توافق على الأطلاق ولكنها بدت لها فكرة طيبة فردت بإبتسامة سريعة. ورد (لوك) بصوت حاد: «سنذهب جميعاً وسنأخذ (روزان) فى طريقنا».

وبدا (فيليب) كأنه سيسحب كلامه ولكنه وافق بطبيعته المرحة بينما بدت السعادة على (روزان) وبادرت بالذهاب مع (فيليب) تاركة (لوك) الآن مادام سيصحبها للعشاء الليلة. لم تجد (چوليا) ماتقوله عندما أنطلق الأثنان إلى حظائر الخيول:

قال (لوك) بهدوء: «هل يزعجك أن أصحبك أنا و(روزان) فى موعدك مع رفيقك؟»

قالت (چوليا) ببعض الحدة: «من الصعب أن يسمى ذلك موعد مع رفيق».

غمغم (لوك) بصوت خفيض: «هذا شىء يدعو للرثاء. أعتقد أن هذا وقتاً مناسباً لنسيان ذلك الطبيب. فإن (فيليب) رفيق طيب كما سترين».

تضايقت أكثر مما كانت تتخيل لتقبله هذا الأمر بسرعة. وأصبح لزاماً عليها أن تذكر نفسها بأنها هنا لفترة مؤقتة وأنّ السبب الوحيد لمجيئها إلى هذا المكان إنما هو قلقهم بخصوص (چوستين).

نهضت (چوليا) تجمع أشياءها وهى تقول بسرعة: «من الأفضل أن أوقظ (چوستين) الآن وإلا فإنها لن تنام الليلة».

ونهض (لوك) يساعدها ثم تباطئت يده وهو يناولها حاجياتها. ونظر إليها بتركيز وقال: «أرجو الا تعتقدين أننا نتركك بمعزل هنا عندما نذهب لنقل الخيول. إنه عمل خطير فى بعض الأحيان. وقد تعودت عليه (روزان) بعكسك أنت».

وأستقبلت (چوليا) عينيه الداكنتين الفاحصتين وقالت: «إن لدى چوستين لأراها. أتمنى الا أكون قد أعطيت أحساساً بأننى شعرت

بالأستياء».

قال (لوك): شعرت بالأستياء!. لا. ولكن بدا عليك قليل من الحزن المفاجيء. أليس كذلك؟» وألقى سؤاله الأخير بلهجة ماكرة ثم أردف قائلاً: «إننى أرجو أن تكونى سعيدة هنا».

قالت (چوليا) وقد خفضت بصرها مقلعة عن محاولة مواجهته: كيف لا يمكننى ذلك؟ إن بإمكانى أن أرسم لوحاتى و(چوستين) تعد نبعاً للسعادة. إنها تبدو كأجازة».

قال بصوت رقيق: «أرجو أن تكون أجازة طويلة» ورفع يدها إلى فمه ليطبع عليها قبلة ناعمة ثم قال: إذن إذا كنت تشعرين بأنك سعيدة هنا إلى حد كبير فإننى سأذهب. إلى اللقاء يا (چوليا)». وأنطلق مسرعاً ليلحق (بفيليب) و(روزان) بينما أضطربت (چوليا) لرد فعلها عند لمسها. أتراها واجهت مايكفى من الشقاء؟ ترى هل أنساقت مرة أخرى وراء مشاعرها وحبها للحياة لدرجة أن يذهلها ترك هذا الرجل الغامض وغير العادى؟

كان الخروج لتناول الطعام خطأ أدركته (چوليا) بمجرد الوصول إلى ذلك المطعم. فقد كان يمكنها أن تستمتع به مع (فيليب) وحده. كانت هناك فرصة لمشاهدة أهل (كامارجو). أولئك الرعاة الذين أرتدوا ملابس السهرة وكانوا يحيون (لوك) بمزيد من الأحترام بينما حيوا (فيليب) كأنه واحد منهم. وعلى الرغم من ذلك فقد تجاوزت (روزان) الحد فى بيان أنهم لم يكونوا فى لقاء رباعى. لقد حرصت على إعطاء أنطباع واضح أنها مع (لوك). ورغم أن لوك نفسه لم يأبه لذلك كثيراً فإن (فيليب) لم يكن مرحاً كعادته.

ومراراً وتكراراً.. كانت عينا (چوليا) تتجهان رغماً عنها إلى (لوك). هناك شعور مرعب بحتمية البقاء بجوار (لوك مارشال). كان لديها ذلك الشعور منذ البداية وكانت تخشى أن يدرك ذلك.

أزاء أضطرابها الداخلى من سوء الأمور. وعندما حان وقت أنصرافهم

كانت (چوليا) تتمنى لو أنها كانت على بعد أميال. وتزايد فزعها عندما عرض أحد جيران (روزان) الذى أنضم إليهم هو وزوجته قبيل أنصرافهم أن يصطحب (روزان) معه لمنزلها ليكفيا (لوك) مشقة الرحلة. ولدهشتها وجدت (فيليب) يتدخل قائلاً أنه سيصحبها لمنزلها كى يتحدث مع والدها بخصوص مبيعاتهم المستقبلية.

وجدت نفسها وحيدة مع (لوك) ولم يبد عليها سرور كثير لذلك.

وعندما أنطلقا بالسيارة قالت (چوليا): «أعتقد أنك أنت من كان ينبغى ذهابه للحديث فى هذه الأمور مع السيد (دوبين)».

قال (لوك) بلهجة غامضة: «ولم تعتقدين ذلك؟ ففى واقع الأمر سيأتى يوم يدير فيه فيليب أمور هذه الضيعة التى نسكنها الآن. إن لى مكانى الخاص. وعندما يصبح (فيليب) مستعداً تماماً لتحمل المسئولية فسوف أترك له زمام الأمور. فلدى من العمل مايملأ وقتى بعيداً عن ذلك».

قالت (چوليا) وهى تستوعب هذه المعلومات الجديدة: «أوه... لم أكن أعرف ذلك»؟

أتراه سيأخذ (چوستين) معه؟ هل سيتزوج (روزان) ويرعى (چوستين) كإبنته؟ إنها مرتبطان ببعضيهما إلى حد كبير. ومن الصعب عليه أن يخلفها وراءه.

وبعض الأندفاع قالت (چوليا): «أنا... أنا أفترض أن لديك خططاً لذلك الوقت. أقصد بخصوص أستقرارك وبدءك ذلك النوع من الحياة؟»

التفت (لوك) إليها وقال بهدوء: فى العادة يكون لدى خططاً. ما هى الخطة المحددة التى تقصدينها ياآنسة؟»

وبدون داع بدا عليه بعض الغضب. وبصوته الهادىء الساخر الزمها الصمت. ولكنه عندما لم يتلق منها أجابة أوقف السيارة فجأة. والتفت يحدق فيها. كان الظلام والصمت يلفان الكون حولها. وأحست بفوران

شديد فى عواطفها ملأها ضعفاً وخوفاً مفاجئاً. كان من المتعذر تماماً تعليل ذلك.

جلسا فى سكون تام وقد أغلقا عيونها وقطب (لوك) جبينه ثم فتح عينيه بنظرة واسعة تحدق فى شفتيها اللتين سرت فيها رعشة خفيفة ثم أنتقل ببصره إلى نبضاتها التى تنتفض مهتاجة فى تجويف عنقها الرقيق ثم ثبتت نظرته على عينيها الزرقاوينين المذعورتين.

وسألها بحدة: «أى خطط؟ ها أنت مرة أخرى تنقبين عن حقيقة... عن سبب فما هو الآن؟ هل تتخيلين أن چوستين تخشى أن أتركها وحيدة؟ فهل أنا ذلك الندل؟»

قالت (چوليا): «أنا لم أقصد ذلك على الاطلاق». حاولت أن تستعيد موقفها القديم تجاهه ولكنهافشلت. لم تمكنها رجفتها من ذلك. خرجت كلماتها كأنها توسل. وتزايدت حدة (لوك). وغمم غاضباً: «إنها ليست فكرة طيبة». كانت (چوليا) مذعورة من مشاعرها الداخلية لدرجة أنها لم تستطيع سؤاله عما يقصده.

أمتدت يده القوية تقبض على ذقنها وتميل وجهها وهو يقول بصوت خافت: «حسب معرفتى الأكيده فلقد لقيت فى حياتك صدمتين قاسيتين. وليست فكرة طيبة أن تجلبى لنفسك أذى آخر.. خسارة أخرى».

كانت عيناه القاهرتان تحاصرها وكأنما تستعبدها وأستطاعت بالكاد أن تهمس قائلة: «أنا لا أدرى ماذا تقصد؟

وهز رأسه فى غضب وقد أشتدت قبضته وهو يقول: «قد تكونى لا تعلمين ولكنى أشك فى ذلك. إننى أراك شفافه تماماً فى بعض الأحيان وفى أحيان أخرى أراك سراً مبهماً. وعلى الرغم من ذلك فهناك شىء واحد أعرفه وهو أننى أريدك على الدوام. فأنا لا أريد أن أنظر فى وجه (چوستين) عندما تخبرينها أنك سترحلين».

أبتسمت (چوليا) فى بطء وهى تقول بصوت خفيض: «لا يمكننى الأستمرار فى البقاء هنا».

عندئذ جذبتها يده وقال بصوت أجش: «إذن يجب أن أحاول وأقنعك يا (چوليا)».

وأطبقت شفتاه على شفتيها فأجفلت لوهلة. ورغم أنها كانت المرة الأولى فهى تدرك أنها أنتظرت ذلك لأيام وربما لأسابيع. لم تكن قبله رقيقة ورغم ذلك أرتخى جسدها وأنفرجت شفتاها وأمتدت ذراعاها سريعاً تطوق عنقه.

لقد فاجأته وأحست بموجات الرعدة تسرى فى جسده وللحظة تحرك ليدعها ولكن قلبه كان يخفق فوق قلبها. ومهما كانت غريزة الشهامة والفروسية التى جعلته يتراجع للحظة فإنه أخذها وأقترب منها ليرفعها بين ذراعيه ضاغطاً بعنف على القبله.

عندما رفع رأسه كانت مشدوهه البصر بينما كانت يده لاتزال ترفع وجهها وقد أحكم ذراعه الأخرى حولها.

وغمغم قائلاً: «من النادر أن تأخذنى المفاجأة. لقد توقعت أن أواجه معركة معك... هل أنت وحيده الآن بعد أن تركك ذلك الطبيب؟ اهذا كنت متجاوبة معى؟»

قالت (چوليا): «أنا لست كذلك». وغمرها الخجل فقد بدأت مقاومتها متأخرة جداً.

صاح (لوك): بل أنت كذلك... هل تصرف فيليب بنفس المهارة؟

وأنسلت يدها ثم أرتفعت تهوى على وجهه بلطمة قوية. ولكنه أمسك بها وقبض عليها بعنف إزاء صدره ثم قال بهدوء: «إذن لقد عرفت الآن يا آنسة. لقد تجاوزت حدود كرم الضيافة ولكنك كنت بحاجة لهذه القبلة مثلى تماماً».

كانت قدماها ترتعدان وقد جمدت أعضاؤها والتصقت بالمقعد.

قالت (چوليا) بحدة: «عد بى للمنزل. وإذا لمستنى مرة أخرى فسأعود لوطنى مباشرة بصرف النظر عن (چوستين)».

وأدار محرك السيارة ثم قال وهو ينطق بها: «أنا لا أعتقد ذلك يا (جوليا) ثم تابع: «ألم أقل لك أننى سأغير حياتك؟ أنا لم أدرك ساعتها إلى أى حد سأغيرها ولكننا لم ننسى مناقشتنا على أية حال».

الفصل السادس

أستيقظت (جوليا) على أصوات وصرخات عالية. فى البداية أعتقدت أن هذه الأصوات تأتى من شفتيها كان الأضطراب يسود أحلامها وهى ترى (لوسى) و(جوستين) و(لوك) يسيران خلالها فى غموض. كانت روحها المتنمرة تتعذب فى وجودهم. ولكن الصراخ أستمر وتعالت الصيحات. وفى الحال كانت تقفز خارج فراشها وتعدو فى الممر وقد وضعت رداء فوق قميص نومها على عجل.

كان صوت (جوستين) يخرج منحشرجاً هستيرياً وهى تصيح: لا. غير حقيقى. لا. غير حقيقى. أوقفوها... أوقفوها» كانت (جوليا) تدرك كم كان هذا الصوت الخطر مدمراً للطفلة.

أكتظ الممر بأهل البيت الذين أرتدوا قطعاً متباينه من الملابس على عجل. وعندما وصلت (جوليا) إلى حجرة (جوستين) رأت لوك يحاول تهدئة الطفلة. لقد أستيقظت (جوستين) ولكن بدا واضحاً أن الكابوس لم ينته. كانت أحداثه لا تزال تؤثر عليها وكانت تقاوم كل جهود (لوك) لتهدئتها. وبدت ترفض تماماً حتى مجرد أن يقترب منها.

وعندما وقعت عيناها على (جوليا) صاحت: «(جوليا)... (جوليا)» ومدت ذراعيها فتنحى (لوك) جانباً يرقب فى صمت بينما أحتضنت (جوليا) الطفلة المهتاجة.

وهزت (چوليا) برقة وهى تقول بصوت ناعم: «لقد ذهب الآن. إنه مجرد حلم. وقد أنتهى الآن تماماً» ولكن چوستين كانت بادية الزعر وقد تصلبت أعضاؤها ودست رأسها فى صدر (چوليا) وهى تنشبث بها فى توتر.

أرتجفت (چوليا) عندما تنبهت أن الطفلة تهمس بصوت خفيض لدرجة أن كلماتها لم تكن مسموعة. التقت عيون (چوستين) و(لوك) فأدرك أن الطفلة تريد أن تقول شيئاً (لچوليا) بمفردها.

كان الباقون قد تزاحموا بإضطراب فى الحجرة فقال لهم (لوك) بصوت هادىء: «يجب أن نتركها (لچوليا) من الواضح تماماً أنها لا تريد أى شخص آخر. أعتقد أنها ستكون فكرة طيبة لو ذهبتم جميعاً إلى الفراش. سوف أعد (لچوستين) كوباً من اللبن ولا شك أن (چوليا) سوف تتمكن من تهدئتها خلال ذلك».

وتقبلوا كلامه بدون مناقشة وسرعان ماخلت الحجرة وران عليها الصمت ورفعت چوستين وجهها الممتلىء بالدموع وقالت:

لقد قتلت والدى يا (چوليا). كان خطائى أنا... لقد حاولت أمى أن تقتلنا جميعاً... بسببى». هزتها (چوليا) برقة وهى تقول: «صه... صه... لقد كانت حادثة تصادم. والجميع يعرفون ذلك يا عزيزتى».

سمعت (چوليا) نحيب الطفلة يخفت وأحست بيديها المتشبثتين بها ترتخى قليلاً ثم قالت:

«لا... لم تكن حادثة تصادم. إنهم لا يعرفون... لقد قتلته هى. ولا يمكن لعمى (لوك) أن يبوح لذلك».

ودخل لوك فى هذه اللحظة يحمل كوباً من اللبن الدافىء ولكن (چوستين) تحاشت نظراته ولم تتقبل الكوب إلا عندما ناولته لها (چوليا). وترددت فى الكلام حتى نظر (لوك) إلى (چوليا) ثم خرج من الغرفة.

كان ينتظر خارج الغرفة عندما خرجت (چوليا) وقد أستطاعت أخيراً أن تهدىء (چوستين). قال بصوت هادىء: فلتأت إلى الطابق

الأرضى. سوف أعد شراباً لنا. إنك تبدين مضطربة بعض الشىء كما أننى لا أستطيع القول بأنى أجد عظيم سعادة فيما حدث».

وتبعته (چوليا) فى صمت. كانت كلمات (چوستين) لا تزال تدوى فى عقلها. يالله من أحساس وهمس بالذنب ذاك الذى تحمله هذه الطفلة. إنه لم يتلاشى بأى وسيلة وقد كان من الحماقة أن تفكر فى أى أتجاه آخر. إن العقل الذى يستطيع أتخاذ قراراً بالصمت كان يعانى من مشكلة خطيرة ويجب أن نبقى هنا حتى تكتشف السر فى ذلك.

ناولها (لوك) فنجان من القهوة وهو يقول بلهجة تأكيدية: «لقد قالت لك شيئاً؟» أومأت (چوليا) موافقة وقد بدا بعض من الحذر فى عينيها.

قال بصوت قلق: «فلتحكه إذن. أنا أعرف أنه يرتبط بى لقد ظهر الشك مرة أخرى على وجهك. فإذا كنت أنا نذلاً خسيساً فيجب أن أعرف ما يتعلق بذلك».

جلست (چوليا) إلى مائدة طويلة ذات أرجل قصيرة فى المطبخ الدافىء وواجهته مباشرة وهى تقول بهدوء: أنت مخطىء تماماً. إننى كلما عرفت شيئاً أجده لغزاً محيراً». ثم سألته فجأة «من الذى كان يقود السيارة عند وقوع الحادث؟»

قال (لوك) بدون تردد: «(جوليس)» ثم جلس على حافة المائدة ونظر لها قائلاً: «عندما عثروا على السيارة كان (چوليس) لا يزال أمام عجلة القيادة. ولم يتساءل أحد عما إذا كانت (دايردرى) هى التى تقود السيارة».

تساءلت (چوليا) بصوت هادىء وقد ركزت نظراتها المتسائلة على وجهه: «إذن فلماذا تصر (چوستين) على أن والدتها قتلت والدها... بل وحاولت قتلهم جميعاً».

وللحظة بدا (لوك) مندهشاً ثم ضاقت عيناه فى تفكير عميق وقال:

«لماذا لم تخبرنى بذلك؟ أنا لم يكن لى دخل فلا أدرى لماذا لم تخبرنى؟ لماذا تجنبتنى؟ فعلى مدى طفولتها كانت تلتصق بى عندما يغيب

(جوليس). ولم تلجأ لوالدتها على الأطلاق. لقد كانت (دايردرى) متبلدة الشعور تماماً تجاه الطفلة... لماذا خصتك أنت بذلك يا (چوليا)؟»

قالت (چوليا) بصوت رقيق: «لقد كنت على خطأ عندما تخيلت أنها بحاجة إلى أم جديدة» وأكتست ملامحها بالتعاطف عندما رأت نظرة جريحة فى عينيه الغامضتين ثم أستطردت تقول: «لقد أتجهت لى لأننى صديقه وهذا كل مافى الأمر. ولقد أخبرتنى لأننى ليس لى دخل. وهذا ليس شيئاً غريباً. لقد كانت آخر كلماتها أنك ليس بإمكانك البوح مطلقاً. وأنك لن تذكر أى شىء حتى نصل إلى حل لهذا الأمر بأكمله».

بدت الدهشة على وجه (لوك) وهو ينظر لها نظرة عميقة قائلاً: «لا يمكننى البوح بذلك مطلقاً؟»

ولم يكن لديها شك فى أن (لوك) له دخل بالأمر أيا كان ماتخيلته (چوستين).

بدا (لوك) منهكاً وهو يقول: «لا يبدو أن هناك نهاية لذلك الأمر». وخفض قلب چوليا أشفاقاً عليه فقالت مؤكدة بصوت هادىء: «ستكون هناك نهاية. لقد أحرزنا بعض التقدم. فمنذ وقت ليس بالبعد لم تكن (چوستين) تتحدث أطلاقاً. والآن فقد بدأت تخبرنا بالسبب. وسنصل إلى أغوار هذا الأمر... فلا تتزعج».

وخلال تعاطفها معه أمتدت يدها تلمس يده فرفعها على راحته القوية وأخذ ينظر إلى الأصابع الرقيقة ترقد فى دفء يده. وأرتفعت عيناه تابعان نظراتها وقال فى هدوء: «إذن فإنك لن تهجرينا؟»

وتوردت وجنتاها قليلاً بينما وقفت رابطة الجأش وسحبت يدها فى رفق وقد التقت عيونها. وأنفرجت شفتاها عن أبتسامة رقيقة وهى تقول بهدوء: «إننى لا أترك عملاً وقد أنجزت نصفه فقط يا سيدى».

وقف (لوك) فأمتدت يده تميل ذقنها لأعلى وهو يقول: «من

الصعب أن تكونى الممرضة (ردفورد) بينما ترتدين قميص نوم جميل وتضعين فوقه رداء حريرياً. اليس كذلك؟ وعلى كل حال فقد فعلت ذلك على نحو طيب يملؤنى بالأعجاب» ثم تابع قائلاً: فى الغد سوف أدبر مجىء معلمة (چوستين). قد يكون من الأفضل أن يكون هناك مايشغل تفكيرها. الست توافقيننى؟»

قالت (چوليا): «بالتأكيد».

وخشيت (چوليا) أن تبتعد عنه مخافة أن يتلاشى لطف أسلوبه ورقته. كان هناك شيئاً دافئاً وخاصاً فى بقائها هنا مع (لوك). وبدون مبالغة فبإمكانها أن تبقى طوال الليل تنظر إليه.

قال (لوك): «أنت أيضاً لست مربية أطفال. إننى أشعر بالذنب عندما أتذكر كيف كنت أعاملك وكيف كنت أثقل عليك بطلباتى. أنا لا أطلب منك رعاية (چوستين) وإنما فقط البقاء هنا لأننا بحاجة إليك».

وتعلقت عيناها بعينيه. ورغم كل تحذيرات عقلها الملحة فقد قالت فى صوت رقيق: «سوف أبقى قال لوك بصوت هادىء وهو يتفحص ملامح وجهها: «أنا فى غاية الأمتنان ياعزيزتى». وسوف أظل أذكر مدى ماتحملت من الأذى. والآن قد يكون من الأفضل أن تذهبى للفراش. تصبحين على خير يا (چوليا).

فزعت عندما وجدته يستدير ويخرج من الحجرة وأدركت أنها أصبحت فى منتهى الوضوح بالنسبة له. وأصبحت انفعالاتها مقروءة أمام عينيه. ورغم ذلك فمن الممكن أن تأتى (روزان) هنا فى أى وقت. لذا أحست (چوليا) أن عليها أن تشد مشاعرها تجاه (لوك) إذا ماكانت ستبقى حتى يتم شفاء (چوستين). والآن وقد أعطت وعداً.. أخرجت زفيراً عميقاً وأتجهت لحجرتها وكان السكون والظلام يخيما على المنزل.

عادت الأمور إلى طبيعتها. فقد جاءت معلمة (چوستين). وأصبح معظم اليوم ينقضى فى الدروس. وببساطة أصبحت (چوليا) صديقة. كانت صديقة تبحث عنها (چوستين). دائماً. أصبح متاحاً لها الآن وقت

كاف لرسم المزيد من اللوحات والتجول فى الحديقة بدون (چوستين). كان عقلها يعمل بأستمرار ولكن أيا كان سبب مشاكل الطفلة فهو لا يزال كامناً تحت السطح.

كانت فرصتها محدودة لتصريف الأمور بما يتوافق مع (چوستين) حتى تصل إلى السر وتنقشع مخاوف الطفلة. لقد وضع نظام محدد لتقدم الدروس. وأصبحت (چوليا) تعرف بالضبط أوقات فراغ (چوستين). وكانت دائماً تترقب فى أمل أى أكتشافات جديدة ولكن لم يحدث شيء.

وبمرور الوقت أصبح (لوك) يمضى وقتاً أطول خارج المنزل وكان يظهر فى وقت العشاء فقط. وحتى فى ذلك الوقت لم يكن ممكنا التحدث إليه. كانت (روزان دوبين) تأتى للعشاء بصفة منتظمة أقنعت (چوليا) أنها يوماً ما ستتزوج (لوك). كان من الواضح أن (لوك) مغرم بها كما أنها كانت تعرف من أمور المزرعة ما يعرفه (لوك) و(فيليب). كانت (روزان) تنضم إلى أحاديثها بعد العشاء بينما كانت (چوليا) تنضم (للوسيل) و(ماريس). وكانت كل منها تبدو يوماً بعد آخر كأنها صديقة قديمة.

وفى أوقات فراغها كانت تتجول فى المنطقة المحيطة بالمنزل ولكنها لم تكن تبتعد كثيراً لأجل (چوستين). فيوم ما سيحدث تصدع فى الدرع الذى تحيط الطفلة نفسها به. وترغب (چوليا) أن تكون هناك عندما يحدث ذلك.

لاحظت (چوليا) أن الطيور لا تبقى فى المستنقعات. فهى تمر بالمزرعة ثم تواصل طريقها نحو مراعى الكلأ وأتخذت (چوليا) لنفسها مخبأ صغيراً عند بوابات المدخل. وحبست أنفاسها فى شغف عندما أقتربت منها الطيور وأستطاعت أصابعها الماهرة. أن تسجل حركتهم والوانهم وكل ما يحيط بهم.

وبالفعل أصبح لدى (چوستين) الآن لوحتين جميلتين تعلقها على جدران حجرتها. كانت إحداهما لطائر البلشون الأبيض وقد وقف ساكناً تحت أشجار السرخس. وأما الأخرى فكانت لطائر مالك الحزين محلقاً

وحلقه سماء قاتمه تنذر بالعواصف. كانت لوحتين جميلتين بارعتين جداً وكانت تدرك ذلك. كانت أجمل ما رسمت على الأطلاق وكانتا تحملان ذلك الغموض الذى تستشعره هنا. كان جمالاً أخاذاً تشوبه مسحه مثيره من الخطر.

لم يزد (لوك) على أن وجه لها نظرة جامدة عندما عرضت عليه (چوستين) فى أثناره هاتين الهديتين اللتين رسمتها (چوليا) لحجرتها. ومؤخراً أخذتها (چوستين) لحجرتها لتريا النتيجة النهائية. لقد أخذ عمها (لوك) اللوحتين لعمل أطارات لهم ثم ها هما تلمعان على الجدار خلف فرشها وقد تم وضعها فى إطارات أنيقة كأنها صور لبعض العظماء القدامى. وأجتاحها ذلك الشعور الغير مريح بأنه قد أحس بحالتها النفسية القلقه فكانت هذه الأطارات الثمينة مكافأة لها لتهدئتها. كان ذلك أشبه ما يكون برساله صامته رغم أنه يبدو الآن كأنه يعمل على الأبتعاد تماماً عن طريقها ولم يعلق على عملها مطلقاً.

وفى أحد الأيام كانت (چوليا) سعيدة بمخبئها عندما هبت على (كامارجو) رياح أقوى من أى وقتا مضى. فى ذلك اليوم كان لديها وقت أطول ولكنها كانت تشك فى مجيء الطيور. لقد ذهبت (چوستين) مع جدتها لتمضية فترة ما بعد الظهر فى زيارة بعض الأصدقاء فى قرية مجاورة. ورفضت (چوليا) قبول الدعوة لمصاحبتهم. فقد كانت (چوستين) فى مأمن مع (لوسيل). وشعرت (چوليا) نفسها بأنها فى حاجة للأسترخاء في سكون مخبئها الصغير بجوار البوابة.

أفاقت من أحلام يقظتها عندما سمعت صوت توقف سيارة لاندروفر. كانت السيارة تمر جيئه وذهاباً عبر الطريق ولكنها لم تكن تتوقف على الأطلاق. وأحست بالقلق عندما أطل (لوك) بوجهه الداكن الخالى من أى تعبير.

قالت (چوليا) كأنها تدافع عن وجودها فى هذا المكان: «لقد خرجت چوستين اليوم مع جدتها» إرتفع حاجباه السوداوين فى سخرية

وهو يقول: «إننى أعرف ذلك... لا تكونى متحفزة للدفاع عن نفسك. أنت لست خادماً ضُبط يقتطع من وقت العمل».

قالت (چوليا): «لقد كانت مجرد ملاحظة فليس هناك مايدعونى للدفاع عن نفسى» كادت تختنق تحت وطأة دقات قلبها المتسارعة وكان هو كعادته مهيمناً بالغ الصمت وقد أنحنى ينظر إليها.

كان صوتها قد أستحال حاداً بدافع من قلقها وأحاسيسها فأستقام (لوك) واقفاً وهو يغمغم:

«لتخرجى من هذا المكان فأنا لا أستطيع أن أراك جيداً. وأنا أرفض تماماً أن أجثو على ركبتى لأحدق فى أمرأة».

كان ينتصب بقامته السامقه بينما نهضت (چوليا) فى بطء تنفض الغبار عن ثيابها وتتناول حاجياتها.

قال (لوك): «دعيها كما هى فلن يجرؤ أحد على مسها. فهذا العش الصغير ومايصدره من بهجة يثير عجب الرعاة وإننى أتخيل أنهم يغيرون طريقهم ليشاهدوه عند مرورهم. وبالتأكيد تكون عيونهم معظم الوقت على هذا المكان أكثر مما هى على الخيول».

قالت (چوليا) بتهكم: «إنه ليس خطأى» وتجنبت يده عندما مدها ليساعدها على الخروج وهو يحدق فيها بعينيه السوداوتين الباردتين. وقالت: «ليس لى دخل بمخاوف أهل (كامارجو) ولا شك أنها غبية تماما».

قال (لوك) ساخراً: رغم وجهك الرائع فإنك أحياناً تمتلكين لساناً كمبرد من الصلب» وبدا كأنه يأخذ الأمر على عمل المزاح الخالص وهو يقول: «اركبى اللاندروفر وحاولى التحكم فى أعصابك.. إننا لم نتحدث منذ بعض الوقت. وليس لدى الآن أى نزعات عدوانية بعكس ماينبىء به وجهك».

وإزاء هذا التحكم صعدت (چوليا) إلى السيارة بوجه صارم وهى تلملم أطراف ثوبها الذى يكشف عن كتفيها. وحاولت أن تبدو هادئة.

فربما كانت بحاجة لمن يحتسى معها شاى العصر؟ إن (روزان) لن ترغب فى ذلك. وفجأة المت بها وخزة لا إرادية من الغيرة وتنبهت إلى أنها قد جدت فى مكانها وهى تقبض بيدها باب السيارة المفتوح. وأرتفع الحاجبان الداكنان فى سخرية. وأعتراها ذلك الأحساس المؤكد بأنه قد قرأ أفكارها ووجدها مضحكة تماماً. أشاحت بوجهها بعيداً فصفق (لوك) الباب ثم صعد إلى جوارها وأستدار بالعربة الثقيلة فى دائرة ضيقة مندفعاً إلى الخارج بعيداً عن المزرعة فى سرعة مفاجئة جعلتها تتشبث بمقعدها.

كان الزعر والهلع يغلفان صوتها وهى تقول: «إين نحن ذاهبان؟»

قال بهدوء واثق: «زيارة بالآنسة» وأتجه إلى طريق جانبى وعر.

قالت: «لكننى لم أرتد ثياباً تصلح لزيارة أحد». ونظرت بأضطراب لثيابها المجعدة ولكنه رمقها بنظرة سريعة بدت كأنها أحاطت بكل هيئتها.

قال (لوك): «بالنسبة لهذه الزيارة فإنك ترتدين ثياباً ملائمة تماماً».

ولزم صمته المعتاد وقررت (چوليا) أن تحذو حذوه. لم يكن لديها الوقت الكافى لتعد نفسها لهذا اللقاء مع (لوك) وأدركت أنها كانت فى كل يوم تعد نفسها للقائه دون أن تتنبه لذلك. أحست طول الوقت أن قدميها تغوصان فى مياه لا قرار لها. فمنذ حديثها فى المطبخ وهو يكاد يتجاهلها ولكن ذلك الأحساس الكهربائى كان موجوداً فى كل مرة يوجدان فيها معاً فى نفس الحجرة. ورغم أنه لم يقل شيئاً فهى تعرف أنه كان يحسه أيضاً.

كلما رفعت إليه بصرها وجدت عيناه تحدقان فيها وقد بدت غامضة ملتبية ومليئة بنظرة قريبة من الغيظ. لم يكن لديها إختياره المجىء إلى هنا فى عصر ذلك اليوم. بدا له أن تجنبها هو أفضل الحلول. وأتضح أنه ليس لديه أدنى رغبة فى الحديث إليها. كانت تشعر بالغضب تجاه نفسها وبغضب صبيانى تجاهه.

مرا بكوخ أحد الرعاة قرب المدخل وهما يسيران فى الطريق المنعزل الذى بدا كأنه يؤدى إلى ضيعة أخرى. كان هناك الكثير من الخيول

وأشجار السرخس ونباتات المستنقعات ولكن المكان بدا موحشاً منعزلاً وغريباً أكثر منه جميلاً.

وبدا لها منزلاً ذا جدران بيضاء تحوطه الحدائق المنظمة فى عناية. وكتمت (چوليا) أنفاسها وهى تحملق فى أحد طيور البلشون وقد وقف بلا حراك بين المراعى وكأنه تمثال ثم حلق فى السماء الصامته.

أوقف (لوك) محرك السيارة فساد صمت مطبق وهدوء يكاد يكون مخيفاً حيث جلسا ينظران للمنزل.

رمقته (چوليا) بنظرة سريعة وهى تهمس: «إنه هادىء جداً».

قال (لوك): «هل يزعجك ذلك».

قالت (چوليا): «كلا إنه جميل جداً. من الذى يعيش هنا؟».

قال (لوك): أنا أو بالأحرى عما قريب أنوى أن أكون هنا عندما يصبح بإمكان (فيليب) أن يتحمل مسئولياته وميراثه. وعندما سيصبح بإمكانى تحقيق رغبتى أن أعيش هنا».

وفجأة أبتسم كأنه شخصاً آخر ثم وثب خارج السيارة وصفق باب السائق بشدة ثم أستدار إلى الجانب الآخر وقال: «تعالى إذن يا أنسة ودعينا نحدث قليلاً من الضوضاء ونطرد الشياطين بعيداً» وقبل أن تلتقط أنفاسها كان يرفعها بيديه وقد أمسك بخصرها وحملها خارج السيارة ثم أوقفها على قدميها.

كانت صالة المزل رحبية ذات عوارض أفقية قديمة وكانت أضاءتها جيدة وقد بدت الصالة داكنة اللون تنبىء بعمر عريق. كانت الجدران تزدان بلوحات زيتيه لثيران ضخمة سوداء قارية وتحت كل منها إسم ما».

أشار (لوك) بيده وهو يقول: «هذه ثيران الماضى الولود العظيمة التى أسست ثروة عائلتى. إننى فقط أنبهك لذلك حتى لا تعتقدين إنهم أجدادى» وضحك فجأة وتناول يدها بمرح ثم قادها إلى حجرة الصالون الفسيحة التى أتضح أن كل ماينقصها هو لمسة المرأة لكى تبدو فى أكمل

صورة.

وقفت (چوليا) منبهرة بينما تندفع نظراتها فى كل مكان. جعلها صوته الضاحك الآتى من خلفها تشعر بخجل وهى تعى مايعتمل بداخلها.

قال بلهجة ضاحكة: «غيرى فيها ماتشائين بشرط أن يكون ذلك نظرياً فقط» وأبتسم لرؤية وجهها الوردى ثم قادها لمشاهدة باقى المنزل. كان من العسير الا تبدى اقتراحاتها لإعادة الترتيب فى كل حجرة وهو يعرف المعركة التى تحتدم بداخلها.

وعندما عاد بها مرة أخرى إلى الصالون قال لها: «أخبرينى عما ترينه بشأنها وعندئذ ستكون لك مكافأة... سوف أصنع لك قهوة بنفسى».

قالت (چوليا): «هل... هل لا يوجد أى فرد هنا؟» كان سؤالاً غبياً لأنها تعرف أنهم بمفردهم.

قال (لوك) وقد بدا عليه المزاح أكثر من أى وقت مضى: «أنا هنا.. وأنت هنا» وتمنت لو أنها لم تتحدث على الإطلاق.

قالت (چوليا): «لماذا... لماذا أحضرتنى إلى هنا؟ وأستدارت وأتجهت نحو النافذة وقد بدا عليها القلق رغبةً فى الإنصراف.

قال (لوك): «لقد أحضرتك لأريك منزلى... منزلى الخاص حيث سأعيش هنا باقى حياتى. لقد أعتقدت أن ذلك شيئاً يهمك. فأنت مهتمة بأشياء كثيرة».

قالت (چوليا): «بالطبع... فإن (كامارجو) مكان ساحر. وأنت تمتلك الكثير من الأرض. وربما أعود يوماً ما لأرى (كامارجو) بأكملها».

قال (لوك) بصوت هادىء حاد: «ها أنت مرة أخرى تفكرين فى الرحيل المبكر».

قالت (چوليا): «كلا. ولكننى لا يمكننى البقاء هنا. وأنت تعرف ذلك». «إن لى عملى الخاص بى. أنا لا أتحدث عنه ولكننى أفتقدته وأفتقدت أبى».

وسألها وقد أرتسم على وجهه بعض الحزن: «إننى غير عادل بالنسبة لك أليس كذلك؟ لقد طلبت منك أشياء ليس لى الحق فى طلبها: وقتك... وصبرك... وشفقتك... وحتى فى هذه اللحظة فقد أنتزعتك من شىء كنت تستمتعين به وأحضرتك إلى هنا».

إستدارت (چوليا) وقالت بسرعة: «أنا سعيدة بوجودى هنا. فقد أخبرتك بأننى مفتونه (بكامارجو). إن هذا بيت جميل وإن بدا موحشاً ولكننى لا أفترض أنك ستأبه لذلك عندما تتزوج».

قال (لوك): «أوه.. إنك تخططين لى حياتى مثلما أتهمتنى ذات مرة بأننى أحاول تعديل حياتك».

أستدارت (چوليا) إلى النافذة مرة أخرى وهى تقول: «كلا بالطبع» ثم أندفعت قائله: «لكن من الواضح أنك ستحتاج زوجة. وحيث أنك من ملاك الأراضى فأنا أتخيل أن تركة (روزان) ستجعل أملاكك كأنها أمبراطورية صغيرة».

وغاص قلبها عندما قال: «يمكنها ذلك».

ثم دنا منها حتى وقف خلفها تماماً فقالت بصوت حاد: «من الأفضل أن ننصرف الآن. لقد كان جميلاً منك أن تريني منزلك ولكن لابد من قطع مسافة طويلة بعض الشىء للوصول إليه». كانت هناك درجة معينة من الذعر فى صوتها عندما همت بالأستداره تجاهه.

قال بصوت هادىء: «لقد تخيلت أنه يستحق ذلك».

وأمتدت يداه تحيطان بخصرها وجذبها ناحيته ثم أمسك بكتفيها وأدارها تجاهه وهو يرفعها حتى يكاد يقتلع قدميها من على الأرض وضمها إلى جسده القوى وهو يقول: «لا يمكننى الأستمرار فى مشاهدتك ولا لمسك».

وأحكم إحدى ذراعيه حولها بينما دس يده الأخرى فى شعرها ورفع وجهها إلى وجهه... ولم يكن هناك مهرباً.

قال: «من الواضح أننى يجب أن أتخذ قراراً بشأنك. لقد توقفت حتى اليوم عن القول بأنك سترحلين ولكننى أرى ذلك على وجهك دائماً وأتوقع أن أواجه رحيلك فى كل يوم تقريباً. وفى هذه الأثناء فإننى أغرق نفسى فى العمل حتى أتجنبك. ربما لكى أحرر نفسى من مشاعرى التى تغلى بداخلى فى كل مرة أراك فيها».

كان بادى الأنفعال وتوترت (چوليا) عندما أطبق شفتيه بشدة على شفتيها بينما كانت ذراعاه كأنها سجن حديدى يحيط بها.

وأنصهرت شفتاها تحت شفتيه ولم يكن ليدعها تذهب هذه المرة.

وأحست أن بداخلها نيراناً مستعرة ولهباً متقداً إزاء كل حركة من حركات جسده وكأنها غابت عن الوعى كان تذكرها للمكان هو الذى جعلها تتجمد بين ذراعيه. وأيضاً تذكرها (لروزان). لقد كان (جراهام) يريدها أيضاً ولا يزال يريدها ولكن ليس كزوجة. ومن المفترض أن تصبح (روزان) زوجة (لوك) فأرضها متداخلة وهما من أهل (كامارجو). ألم ترى الطريقة التى كانت تتقارب بها رؤوسهم: (فيليب) و(لوك) و(روزان) وهم جميعاً يفهمون بعضهم؟ وكانت هى الأجنبية الغريبة مجرد متعة مؤقتة (للوك).

وتصلب جسدها وأدارت رأسها جانباً وقد بدا الرفض فى كل هيئتها وتراجع ينظر إليها وقد ضاقت عيناه تحدقان فى وجهها. وللحظة لم يقل شيئاً بينما كان ينظر إليها بعيون يقظة باردة.

قال بصوت متوتر: «أنت لا تثقين بى كما ينبغى.. اليس كذلك يا (چوليا)؟ ففى داخل أعماقك هناك ذلك الأعتقاد بأننى مسئول عن مشاكل (چوستين) والآن فأنت تعتقدين أننى أقصد التغرير بك قبل أن أعيدك لوالدك. أنا أفترض أنك لم تبرأى من حبك لذلك الطبيب التافه. أنت لم تعودى أمرأة برغم أنك تنظرين إلى بعينى أمراة وبرغبة أمرأة. لا تخشى شيئاً يا عزيزتى فقد عقدت العزم على أعادتك قبل أن تتطور الأمور».

أعادها كلماته إلى الواقع. إلى شخصيتها الخاصة وإدراك مدى ما يمكن أن يؤدى إليه مثل هذا الأمر وصدمت مشاعرها وأهتز كيانها لأنها سمحت لنفسها بالمجيء لنفسها بالمجيء هنا مع (لوك) وهى تعرف جيداً ما يحمله مستقبله.

قالت: «كنت ....»

ونظر لها بهدوء وقال ببطء محذراً: «كنت تريدنني أن أستمر» ثم أضاف: «بالرغم من خطبتك لذلك الطبيب فأنت مغفلة وتجهلين عواطفك وكأنك طفلة. إن العواطف قوية فى (كامارجو). سوف أعود بك للمنزل».

تورد وجهها الجميل خجلاً وهى تقول: «إنه ليس بيتى. أنا أعيش فى أنجلترا. وبالطبع فالآن يجب أن أعود لبيتى فى الحال».

قال بتوتر: «أنا لا أعتقد ذلك» وقادها إلى الباب ثم إلى الظلام الحالك وهو يقول: «ستبقين من أجل (چوستين) لأنك لا تستطيعين ترك الأمور تسير أعتباطاً. أنت ممرضة محترفة ولم تبرأ (چوستين) بعد. لقد بلغت الممرضة فيك القمة. بينما لا تزال المرأة خائفة ومترددة. أنا أستطيع أن أجعلك تبقين ... لأجلى».

قالت (چوليا) بحدة وهى تحاول الأبتعاد: «لا تخدع نفسك».

قال بغضب: «نادراً ما أفعل ذلك» ورفعها بسهولة إلى اللاندروفر ثم تابع قائلاً:

«وبالنسبة لك فأنا لأخدع نفسى على الأطلاق. ففى أى وقت أجى إليك سوف تأتين لى ولكنك لست من أهل (كامارجو) وأنت ضيفة فى منزلى».

ولم يعد هناك حاجة للتفكير. كان صامتاً فى طريق عودتهم مثلما كان فى مجيئهم.

شعرت بالأرتياح لدى رؤيتها (لوسيل) و(چوستين) الممتلئة بالأثارة عندما توقفوا أمام ضيعتهم. وصاحت (چوستين): «لقد أنتهيت لتوى من

تناول طعامى. ووثبت چوستين وهى تعدو تجاه (لوك) الذى نزل من اللاندروفر ثم قالت: لقد أكلت سمك بورى وهليون وأرزوفراولة. لقد أكلت حتى آخر كسرة من الطعام».

رفعها (لوك) بين يديه وضمها إلى صدره وهو يقول: «سوف تكونين أكثر سمنة من بطة».

وفجأة تخيلت (چوليا) صورته مع طفله أو طفلته.. ولد أو بنت لهما شعر داكن ويبدو عليها طابع أهل (كامارجو).

ترقرقت بعض الدموع فى عينيها وهى تدرك أنها أعطت نفسها بين ذراعيه حباً وحشياً وقوياً لدرجة أنها لا تستطيع أن تصدقه. كان الحب الذى تخيلته مع (جراهام) ضحلاً وهشاً ولكن أحساسها تجاه لوك كان ملتهباً وعميقاً. كان عاطفه تشك أنها تقدر عليها.

وأسرعت (چوليا) لحجرتها وبدلت ملابسها على عجل أستعداداً لتناول العشاء وأحست بسعادة بالغة عندما كان الطرق على بابها من (چوستين) وليس من أى إنسان آخر.

داعبتها (چوستين) بإبتسامة عذبة وهى تقول: «هل ستأخذيننى للفراش يا (چوليا)... إننى متعبة ومتخمه جداً».

جلست (چوليا) على حافة فراشها وقالت: «إنك ستكونين أفضل خلال أيام قلائل» وأخذت تنظر للطفلة الصغيرة وترى كم كانت ضعيفة ضئيلة عندما رأتها لأول مرة ولكنها الآن أقوى إلى حد كبير. وأضافت (چوليا):

«سوف يمكننى العودة إلى وطنى عندئذ». وفى الحال قبضت (چوستين) على يديها وهى تقول بقوة: «أوه... لا... لن يدعك عمى (لوك) تذهبين. لقد قال ذلك عندما أخبرته بأننى أريد بقائك هنا. وأنا أريدك أن تبقين للأبد».

الهذا الحد تبلغ ثقتها فى عمها (لوك). وحاولت (چوليا) أن تضحك ولكنه كان صعباً بينما كان الوجه الصغير الجميل يمتلىء بالنوم.

قالت (چوليا) برقة: «سوف نرى ذلك» أبتسمت (چوستين) وهى تغالب النوم وقد كادت عيناها تغلقان وهى تقول: أنا أحب أن أسمع منك ذلك. فهو يعنى أشياء طيبة بالنسبة لى. إننى أكون سعيدة وأنت هنا يا (چوليا). ويوماً ما ستتحسن كل الأمور. وسيشملنا ـ أنا وأنت ـ عمى (لوك) برعايته».

الفصل السابع

فى اليوم التالى فوجئت (چوليا) بعودة (فيليب) مبكراً وهو يقود سيارة (رينو) صغيرة أوقفها فى جانب الطريق بحركة شبه مسرحية. وأشار لها وقد غطت الأبتسامة وجهه وهو يقول:

«الآن أصبحت مفيداً فقط كصبى لتسليم الرسائل».

أقبلت (چوليا) تنظر إليه بإرتياب فتابع قائلاً: لا تنزعجى يا (چوليا). لقد أرسل الأخ الكبير هذه السيارة لك. وهو يقول أنك مقيدة جداً وحبيسه فى هذا المكان وأستخدام هذه السيارة سيمكنك من السفر بعيداً بين الحقول بينما ترسمين هذه الأرض العريقة».

دارت (چوليا) حول السيارة الصغيرة ذات اللون الأصفر اللامع وهى تقول: أنا... أنا مندهشة. هل أنت متأكد يا (فيليب)؟ أليست هذه واحدة من مداعباتك الفريدة التى ستقودنى للمشاكل؟

وعندما رأى دهشتها وضع كفيه متقاطعين فوق صدره وأبتسم مميلاً رأسه وهو يقول: كلمة شرف. وعلى أية حال فليس من الممكن وضعك فى مشاكل مع (لوك). فإنه سيوجه اللوم إلى أى شخص آخر بصرف النظر عما فعلتيه».

قالت (چوليا) بغموض: «قليل ما تعرفه» ثم تابعت وقد رأت نظرته

www.rewity.com

المتأملة: «على أى حال فهو لا يشاهد رسوماتى على الأطلاق.. أنا متأكدة».

قال (فيليب) بسخرية مرحة: «أوه.. كلا. فلابد أن يكون ذلك هو سبب سفره لأميال ليضع لها أطارات».

قالت (چوليا): «كان ذلك لأجل (چوستين). وعلى أى حال فشكراً جزيلاً لك لتسليمك السيارة لى. وسوف أشكر (لوك) عندما أراه».

ورأت أنه لابد من صرف (فيليب) الآن. فقد كان على أستعداد دائم لمغازلتها. وكان آخر ما نريده هو تصادم آخرمع (لوك).

سرت (چوستين) كثيراً عندما علمت بما فعله (لوك) وقالت: «أوه. كم هو عطوف. ألا توافقيننى يا (چوليا) أنه أكرم رجل فى العالم بأسره؟»

غمغمت (چوليا) «أنا متأكدة أنه كذلك» وفى داخلها كانت متأكدة أنه أغرب رجل فى العالم.

ثم تابعت (چوليا) قائلة: «سنخرج بعد ظهر اليوم لمشاهدة طائر البشروس».

لقد أدخل ذلك السعادة على قلب (چوستين) ولابد أن تعترف (چوليا) بأنه أدخل السعادة على قلبها أيضاً ليس فقط لأنها لم تعد تشعر بأنها وقعت فى شرك ولكن لأن (لوك) أصبح يفكر فيها. ولسوف تغتنم الفرصة لتشكره أثناء تناول العشاء. وأمضت عصر ذلك اليوم تراقب طيور البشروس تحوم وتهبط بألوانها الناصعة. كانت حركاتهم وألوانهم تملأ عقلها فى نهاية اليوم.

وفى حجرة الصالون قبل العشاء أقتربت من (لوك) بعينين مشرقتين وقالت بصوت رقيق: «أنا أريد أن أشكرك على السيارة يا (لوك). لقد كانت عطفاً كبيراً منك أن تفكر فى ذلك. ولقد أحدثت أختلافاً كبيراً لى بدءاً من اليوم».

أرتسمت على شفتيه أبتسامة بسيطة وهو يقول: «وقد أمضيته فى مشاهدة طيور البشروس».

قالت: «نعم... ولكن كيف عرفت».

قال مبتسماً: «إن الأنف الأنجليزى يشوبه فى العادة قليل من الأحمرار. ونادراً ما يكون به أثر للشمس». وأجرى أصبعه الطويل على وجهها من الجبهة إلى الذقن مارا بأنفها. كانت حركة رفيقة كأنها قبلة وأحدث رد فعلها المرتعد نفس الشرارات فى خلفية عينيه السوداوين. وتابع برقة وقد التقت نظراتهما: «سوف أحضر لك قبعة واسعة مفلطحة».

قالت (روزان) بلهجة حادة: إن (لوك) يستطيع أن يكون متباسطاً جداً» ودست ذراعها تحت ذراع (لوك) بحركة أمتلاكية. وعقب (لوك) ساخراً: «عندما يريد». ومرت اللحظات القاتمة.

كان هناك أحتجاج صامت على وجه (چوليا). توارى البريق من عينيها بينما حدق فيها (لوك) بنظرة ثاقبة خاطفة ثم أستدار على نحو مفاجيء قائلاً بصوت أجش: دعونا نتناول طعامنا... فلدى الكثير مما يجب أن أفعله وكذلك (فيليب). ولذا يجب ترك النساء لشأنهن».

قليلاً ما كانت ترى (لوك) بعد ذلك فقد كانت تقضى معظم وقتها مع (چوستين) يجوبان القرى والريف المحيط بهم. ولقد كثرت لوحاتها وتغيرت بعض الشيء بعدما تشبعت بسحر (كامارجو). كانت هى نفسها تدرك ذلك. ولقد تغيرت فى نواح عدة. فأصبح جسدها أكثر نضجاً. وكان حزنها يأخذ شكلاً مختلفاً تماماً وقد أستسلمت لحب رجل قوى غامض سيتزوج غيرها فى نهاية الأمر.

كانت فكرة العودة إلى أنجلترا ووضع نهاية لهذا العذاب اليومى لا تزال قائمة فى عقلها ولكنها أجلت يوم الرحيل. فإذا رحلت ثم تدهورت حالة (چوستين) فإن (لوك) سيستدعيها. وسوف تعود بدون أدنى شك. وستترك كل شيء لكى تعود.

كانت تستعد للخروج عصر أحد الأيام عندما وصلت (روزان).

كانت تكثر المجيء وكأنها على وشك الأستقرار فى هذا المكان. وحاولت (چوليا) بلا فائدة أن تشد الغيرة التى شعرت بها تجاه الفتاة.

قالت (روزان) : «لقدرأيت رسوماتك. إنك بارعة جداً» ثم تابعت «لماذا تقتصرين على رسم الطيور والأزهار دائماً؟»

أجابت (چوليا) وقد فوجئت بهذا الود: «أنا أفترض أنها أفضل ما يمكننى رسمه».

قالت (روزان) بحماسة: «أعتقد أن بإمكانك رسم لوحات جميلة جداً للخيول البيضاء. إن أسلوبك فياض بالحياة وإننى لأكاد أرى فى مخيلتى المرحلة النهائية للوحة».

قالت (چوليا) وقد شرد بصرها: «إنهم لا يثبتون فى مكانهم طويلاً. أنا أحب أن أرسمهم ولكن ليس بأعداد كبيره وليس عندما يرعون العشب قرب المنزل مثل أى خيول أخرى».

إندفعت (روزان) قائلة: «فى المستنقعات.. هناك مكان لا يبعد عن هنا كثيراً حيث يتواجدون دائماً. والآن وقد أعطاك (لوك) سيارة فيمكنك الذهاب إلى هناك بسهولة. إنه مسطح كبير ممتدوتغطيه المياة التى تلهو فيها الخيول. سيمكنك إنجاز عملاً طيباً».

وبدت فكرة طيبة. لقد أعطتها (روزان) توجيهات دقيقة. ودار بفكر (چوليا) أنها ربما ترغب فى إقصاءها بعيداً. فقد كانت تبدو قلقة دائماً عند تواجد (لوك) و(فيليب). وعلى أية حال وجدت (چوليا) فى نفسها الرغبة فى الذهاب فقد يكون شيئاً جيداً يبعد تفكيرها عن (لوك). فلولا (چوستين) لكانت قد عادت لتوها إلى وطنها.

وبمجرد مجيء هذه الخواطر إلى عقلها أحست بموجه من الذعر. أنها لا تستطيع أن تترك (لوك) أكثر من ذلك وأيضاً فلا يمكنها ترك (چوستين). قليلاً ماتراه الآن ولكن الحياة بدون رؤيته ستكون جوفاء فارغة تماماً. ومرت بها صورة (روزان) وأرتباطها الواضح به. وقادت (چوليا) سيارتها إلى ذلك المكان الذى يفترض وجود الخيول به وهى

تقلب فى تفكيرها أمر ذلك الألم الذى تشيد صرحة ببطء فى داخلها.

كان مكان موحشاً مقفراً وبدا جمالها موحشاً أيضاً عندما تخيلت نفسها بعد أسابيع قليلة وقد نُحيت جانباً حتى تكاد تكون منبوذة.

ورغم ذلك ففى أمتداد السماء فوقها وأمتداد الماء أمامها أستطاعت أن ترى مايراه هؤلاء الناس. وبدأت تنظر إلى الأشياء بعيون أحد أبناء (كامارجو). ولم يغير ذلك كثيراً من إحساسها بأنها أجنبية غريبة فى هذه البلاد.

أوقفت سياراتها الصفراء اللامعة بجانب الطريق وأمتد بصرها عبر المياه. كانت ترى ثلاثة أو أربعة خيول ولكنهم كانوا على مسافة بعيدة بعض الشىء وفى المكان الخطأ بالنسبة للضوء.

خطت (چوليا) خارج السيارة وسارت إلى حافة المياة فلو أستطاعت أن تقترب قليلاً لأمكنها رسم خطوطها الأولية ثم تكمل الباقى من الذاكرة. لم يكن هناك بديل سوى السير على الأقدام. إنها لا تحب الخوض فى المياه ثم الغوص فيها حتى تغطى خصرها.

كانت المياة ضحلة على مدى ياردات قليلة من جانب الطريق فخلعت حذاءها وخاضت فى المياه بحذر. لم تكن باردة بالدرجة التى توقعتها. ومع أستعمال الحذر أستطاعت أن تقطع مسافة معقولة بعيداً عن الشاطىء وأقتربت بعض الشىء من الخيول كانت ترفع رؤوسها من حين لآخر وتنظر فى أتجاهها ثم تتجاهلها.

وجرى قلمها على صفحة لوحتها. كان موقعها محفوفاً بالمخاطر ولكنها كانت مستغرقة تماماً. وخلال برهة قصيرة تكون المشهد تحت أصابعها بموهبة لم تفطن لها أطلاقاً من قبل. أبدت الخيول كرماً وميلاً للمساعدة فظلت ساكنة معظم الوقت. كان هناك سكوناً غير عادى يلف المكان.

وفجأة تغير المشهد بأكمله. فبعد أن كانت الخيول تعاونها منذ قليل وكأنها تعطيها أوضاعاً فنية تمكنها من رسمها فوجئت بهذه الخيول ترفع رأسها بأضطراب وتنطلق تعدو بسرعة فائقة لا تلوى على شىء وقد تناثر

الماء حولها. وقفت (جوليا) مشدوهة فاغرة الفاه لدى هذا التغيير وهى تتساءل عما قد يكون سبباً لفزع هذه الخيول بينما لم تصدر منها أى حركة.

وسرعان ما أدركت من الصوت المتزايد الذى وصل لمسامعها أنهم لم يكونوا يلقون بالاً لوجودها المنفرد. لقد كانت هناك خيولاً أخرى قادمة بسرعة كبيرة. فى البداية سمعت ضجة تزايدت باستمرار وجاءتها صرخات حادة عبر المياة. بدا الأمر مرعباً تماماً. وعندئذ ظهرت رؤوس أوائل قطيع الخيول.

كانت المياة تصل لركبتها وهى تقف أمام هذا القطيع من الخيول الهائجة التى كانت تساق باتجاهها. من بين كل الأيام التى كان يمكنها اختيارها كان هذا اليوم هو الوحيد حيث يجب ألا تكون فى هذا المكان. ومرت أمام عينيها صورة (روزان) وتوجيهاتها المحددة وأصرارها ونظرتها. ثم انحصر كل تفكيرها فى البقاء على قيد الحياة.

كانت الخيول تعدو تجاهها بسرعة غير عادية. كان الرعاة يدفعونهم بشدة ويقودنهم جنبا إلى جنب. بدا كل رجل من الرعاة كأنه قطعة من الحصان الأبيض الذى يركبه وقد شُدت قبعاتهم السوداء المفلطحة إلى أسفل جيداً لتغطى عيونهم بينما قبضت أيديهم على الرماح. كان مشهداً خيالياً مهيباً ومروعاً.

أخذتها المفاجأة فجمدت فى مكانها ذاهلة. كانت تنحط فى كابوس من الحوافر المعدنية والرزان المتطاير والمعاطف البراقة والأنياب المجردة مع ومضات خاطفة لراكبى الخيول الأقوياء ذى اللون الداكن وقد بدوا كأنهم فرسان من عالم آخر.

وبينما كانت تقف فى مكانها بلا حراك غير قادرة على مجرد التنحى عن مسارهم رأت شبحاً غامضاً يتخطى الخيول واثباً باتجاهها. كان جواده ينطلق بسرعة مرعبة ليلحق بأوائل القطيع ويتجاوزهم.

كان يلوح بقبعته ويحزهم برعبه فى رؤوسهم وهو يصيح: بـاه... أى... باه... باه» وبما يشبه المعجزة أستطاع أن يحول أتجاههم ويدبرهم

بعيداً بينما بلغ هديرهم عنان السماء. وعندئذ كان قد وصل إليها ذلك الشبح فوثب من فوق جواده وتطاير الماء إلى ركبتيه وحذاءه الأسود ذى العنق الطويل. وقبض على كتفيها وهزها بعنف كأنها دمية لا حياة فيها وهو يقول: ؟ غير معقول».

كان وجه (لوك) الداكن مملوئاً بغضب لم تره من قبل. كانت قبعته قد سقطت وأنتشر شعره الأسود عبر وجهه الغاضب. كانت أصابعه التى تقبض على كتفيها أشبه بصلب ساخن وبدا كأنه فقد السيطرة على أعصابه بدون أى أمل فى أستعادتها. وزمجر قائلاً: «هل أشتريت لك سيارة لأجل ذلك. لكى تأت إلى هنا وتكادين أن تقتلى نفسك؟ أين سرعة بديهتك وحضور حواسك؟ إنك تبدين عديمة الجدوى كأنك طفلة».

همست (جوليا): «أنت... أنت اشتريت السيارة لأجلى أنا فقط؟» كانت هذه هى الفكرة الوحيدة التى بدت ملتصقة برأسها فعاجلها بهزة أخرى عنيفة وهو يصيح: «كفى عن هذا الحديث الغبى... يا إلهى.. إن بإمكانى أن أقتلك بنفسى؟ لماذا تقفين هكذا كأنك دمية زجاجية العينين. أين غريزتك لحفظ الذات؟ هل أعاد والدك (جوستين) لى لكى أشعر بالجدية فى قتل إبنته الوحيدة» وأفلتها من بين يديه فجأة وكأنما لم يكن متأكداً أنه لن يصيبها بأذى فى ثورة غضبة وصاح بها: «أجيبينى».

ونظرت (جوليا) ثم فجأة أنهارت قدماها تماماً سقطت فى الماء تحت أقدامه. كان كل جسدها يرتعد رغماً عنها.

عندما رفعها كان جسدها قد تشرب بالماء الذى أخذ يقطر من شعرها. كانت لوحتها التى تحمل الرسومات المبدئية تطفو مبتعدة فوق الموجات التى نشأت عن سقوطها هى ذاتها فى الماء. ولدهشتها وجدته يتقدم وينتشلها من المياه قبل أن يعود إلى الطريق وإلى الملاذ الآمن بسيارتها الصغيرة.

وغمغم قائلاً: «سوف أعود بك للمنزل فكلانا قد تشرب بالماء ولقد

أضطربت أعصابك بشدة» ووضعها على المقعد المجاور للسائق ثم أستدار ليجلس أمام عجلة القيادة.

وهمست وهى تئق أن هذا القلق سيزيد من غضبه: ؟أنا... أنا أستطيع التماسك» ورغم ذلك فقد بدا أنه أستعاد بعضاً من سيطرته على أعصابه الثائرة. فقال وهو يدير محرك السيارة ثم ينطلق بها دون أن ينظر إليها: «أنا لا أعتقد ذلك».

قالت (چوليا) وهى تنظر خلفها من فوق كتفيها: «جوادك...» كان الجواد الأبيض لا يزال ساكنا حيث تركه يقف فى طاعة وأمتثال. وعندئذ همست (چوليا) لنفسها وهى تهز كتفيها: «ومن ذ الذى لا يفعل؟»

قال (لوك) فى توتر: «سوف يراه الرجال عندما يعودون» ثم تابع ساخراً: «وذلك بفرض أننا لن نعود لقيادة الخيول مرة أخرى». وقررت (چوليا) أن تلتزم الصمت. كانت لا تزال خائفة بينما لا تزال أصوات الحوافر تطن فى عقلها ولا يزال عنف (لوك) يدوى فى أذنيها بينما كانت آثار أصابعه لا تزال تلهب كتفيها.

لم يكن الباقون قد عادوا للمنزل بعد. ولكن ظهرت (روزان) عندما وصلا للباب. ولم تستطع (چوليا) أن تمنع أعضاءها من التيبس والتصلب رغم أنها كانت ترى نفسها ساذجة غبية. كيف عرفت (روزان) أنها ستذهب لهذا المكان؟ وعلى أية حال فإن أى فرد لديه بعضاً من الإدراك لم يكن ليترك السيارة فى مثل هذا المكان. وأى فرد لديه أدنى ذرة من الإدارك كان سيعدو إلى السيارة لدى سماعه صوت الخيول. ولكن كل ما فعلته هى أنها وقفت كأنها منومه مغناطيسياً بهذا الخيال والجمال الوحشى.

ساعدها (لوك) على النزول من السيارة وهو يقول: «هل يمكنك السير؟»

قالت: نعم إننى بخير شكراً لك. فإنك لو لم...»

وقاطعها بصوت أجش ليصد شكرها قبل أن يبدأ: ليس لدى أى رغبة فى

التذكر. لقد تشربت بالمياه ومن الأفضل أن تذهبى للأغتسال».

وصلت (روزان) إلى حيث يقفون وقالت بصوت حاد شغوف: «ما هذا؟»

قال (لوك): «لا شىء». كان صوته المتوتر كافياً لإيقاف أى إنسان لكنها كانت لا تزال تعترضهم ومدت يدها إلى ذراعه متجاهلة أمارات غضبه وهى تقول: «ولكن يا (لوك)... مالذى فعلته؟ ماذا حدث؟»

قال (لوك) بصوت فظ حاد: «إنشغلى بما يعنيك» وأجفلت (چوليا) لهذا الأسلوب مثلما أجفلت له (روزان). وعندما لم تسمع شيئاً آخر أسرعت لحجرتها للأغتسال وتبديل ملابسها قبل أن يرى هيئتها أى فرد آخر.

وفى واقع الأمر فإنها لم تكن بخير. أدركت ذلك عندما وقفت ترتجف تحت مياه الدش الساخنه. كانت لا تزال خائفة ومضطربة وقد جعلتها رؤية (روزان) تسترجع ما حدث. حدثت نفسها بأن كل ما حدث يرجع لغبائها هى ذاتها. ولكن هذا الغباء لم يكن من عادتها. فأشياء من هذا القبيل لا تحدث لها. وفجأة وجدت نفسها تنحب بصوت خفيض. فأخيراً بدأت تظهر عليها آثارالصدمة. كان شيئاً يدعو للشفقه والرثاء.

وسمعت نداءاً: «(چوليا)». كان صوت (لوك) فى حجرتها هو القشة التى قصمت ظهر البعير. أحست غضباً وحشياً تجاهه. فليس له أى حق فى أن يدخل هكذا ببساطة.

وعاد يناديها: «(چوليا)» وقبل أن تتمكن حتى من إغلاق الدش كان قد وصل إليها يحدق فيها بغضب.

قالت (چوليا): «(لوك)... أرجوك» لم يكن بمتناولها أى شىء يمكن أن تستتر به ودمدم (لوك) غاضباً وقذف إليها بمنشفة سميكة ثم أستدار مبتعداً إلى داخل حجرة نومها.

وقال بكلمات حادة: «الم يكن بإمكانك مجرد الرد عندما ناديتك؟ لقد تخيلت أنك قد أصبت بإنهيار بالداخل. صاحت (چوليا): «أوه...

أخرج... وأغلق الباب» كانت دموعها مزيجاً من الغضب والصدمة والخجل ولكنها أنسكبت عبر وجهها. وأغلق (لوك) الباب زيادة فى الحيطة.

وجدته لايزال بالحجرة عندما خرجت بإطمئنان وقد التفت برداء سميك. كان واقفاً ينظر من النافذة وذهبت إليه قبل أن يتمكن حتى من الالتفات وقالت:

«ليس لك أى حق فى الدخول لحجرتى بهذه الطريقة. أنا لست جارية فى ضيعتك. لاتفعل ذلك مرة أخرى» كانت تدرك أن فى صوتها نبرة هستيرية ولكنها لم تأبه لذلك. لقد سار كل شيء إلى الأسوأ مع (لوك). وهو ذاته جعل كل شيء يسير للأسوأ.

أستدار ببطء وقد أمتلأت عيناه بتعبير ضاحك وقال بهدوء: «ما الذى يدفعك لهذا الأندفاع المتهور؟ كل ما فى الأمر أننى شعرت بالقلق عليك».

وأنفجر صوتها ليزيد من سوء الأمور: «ليس لك أى حق فى الدخول هكذا ببساطة».

وحدق فيها بنظرة غريبة وقد تركزت عيناه على عينيها حتى أزداد أحمرار وجهها وعندئذ أجرى يديه بكلل على وجهه وهو يقول بصوت متأمل: «لماذا يداخلنى ذلك الأحساس بأن لى كل الحقوق؟ لماذا أشعر بأننى لاأحتاج حتى لمجرد الكلام. وبأننى يمكننى أن أصل إليك ببساطة؟» وبدا كأنه يخرج نفسه من أفكاره وهو يركز عينيه بحدة على وجهها المجفل. لم يوجد على الأطلاق أى إنسان يستطيع إسكاتها مثلما يفعل (لوك). كانت ذاهلة ومتحيرة.

وعاد إلى شدته المعتاده وهو يقول بلهجة قاطعة: «أريد أن أعرف لماذا كنت هناك؟ أريد أن أعرف لماذا تخيرت هذه البقعة المحددة وهذا الوقت بالذات بينما كنا نسوق الخيول؟»

قالت (چوليا): «من الواضح أننى لم أكن أعرف إلا إذا تخيلت أننى

كنت أريد الأنتحار» وأستدارت بعيداً وأخذت تمشط شعرها لتهرب من عينيه الفاحصتين ولكنه خطا بإتجاهها وجذب منها فرشاة الشعر وقذفها على منضدة الزينة وقال:

«أنت لم تذهبى إلى هناك بالصدفة. فهى بقعة منعزلة ومن الصعب الوصول إليها. لايوجد شخص فى ضيعتنا لايعرف أننا كنا سنسوق الخيول اليوم لتجهيزها للسوق الموسمى. فمن أشار عليك بالذهاب إلى هناك؟

قالت: «هل هناك سوق؟». نطقت بهذه الكلمات فى رقة وبراءة عسى أن تبدد غضبه ولكنه لم يكن ليُصرف عن غايته.

وصاح بصوت منذر: «(چوليا)... أوقفى هذا الهراء... لماذا كنت هناك؟»

قالت: «كنت أصنع رسماً تخطيطياً للوحة». وأشاحت بوجهها بعيداً. ولكنه يده القويّة أمتدت إلى وجهها تميله تجاه الضوء. قال بصوت هادىء وقد ضاقت عيناه وتركزتا على وجهها: «لماذا تحمين (روزان)؟»

قالت: «لا يمكنك أن تقول ذلك».

قال: «لايوجد شخص آخر يفعله. (چوستين) تهم بك. و(لوسيل) تحبك كما أنها على أية حال أرق المخلوقات و(ماريس) صديقتك. وأما (فيليب) فهو يعتقد أن بإمكانه بقليل من الشجاعة أن يقع فى الحب معك. فمن يبقى سوى (روزان)؟

قالت (چوليا) بهدوء: «أنا متأكدة أنها لم تكن تدرك أن...» وفجأة سحب يده فأنحنت رأسها لأسفل.

وخرجت منه زمجرة غاضبة ولدهشتها وجدته يجذبها ناحيته ويحتويها بين ذراعيه وكأنه يقيم حولها حائطاً دفاعياً صلباً يحيطها به فى رقة.

وغمغم بينما كانت أنفاسه تمس وجنتيها: «لا يمكننى أن أصل دائماً فى الوقت المناسب. أريدك أن تعدينى بأن تأخذى حذرك فى المستقبل.

ليس هناك الكثير من الخطر فى هذه البلاد ولكنه موجود لمن يلتمسه».

وأدار وجهها وركز عليه بصره وهو يقول: «سوف تأخذين حذرك؟».

همست وقد غمرتها السعادة لهذه اللحظة: «نعم» ولاحت أبتسامة عميقة فى عينيه وهو يحيط عنقها بكفه الدافئة وقال بصوت رقيق:

«إذن فسوف أغفر لك ما سببته من إزعاج. إنك قد تكلفيننى يوم عمل آخر».

همست وقد تعلقت عيناها بعينيه: «أنا آسفة».

وغمغم بصوت هادىء: «ربما لا أشعر أنا بالأسف» ومسحت عيناه وجهها المتورد خجلاً. وفجأة ضغطها بين ذراعيه.

وغمغم: «(چوليا).. لأجل حب الآلهة» ولم تكن رغبته بأقوى من رغبتها. وأطبق شفتيه على شفتيها.

ولم يعيدهما إلى عالم الواقع سوى دوى إغلاق أحد الأبواب فى الممر الخارجى فأفلتها سريعاً من بين يديه.

وقال فى توتر: «حقاً إننى أفقد عقلى».

فقالت (چوليا) فى إنفعال: «وكذلك أنا» كانت تهتز تحت وطأة مشاعرها العميقه ونبذة إياها من بين ذراعيه وتابعت تقول: هناك الكثير من الحقيقة فيما يقولون عن إرهاصات حدوث شىء وأنا أعرف أنه لا مفر حيث أننى فعلت...».

وقاطعها بصوت أجش: «أنت لا تعرفين شيئاً على وجه الدقة» وأستدار للباب وفتحه على مصراعيه وأضاف قائلاً: من الآن فإننا نعرف عن بعضينا أكثر مما قد تعرفينه عنى من أى شخص أخر. وما نعرفه هو الحقيقة وليس نزوة مؤقتة».

وتمتمت «أنت لا تعرف شيئاً عنى».

وصاح: «خطأ» وحدق فيها بعينيه السوداوين الجامدتين وهو يضيف: «أنا أعرف أنك لى حتى أفوز بك. وفى المرة القادمة ربما أفهمك».

وأنصرف مغضباً بينما غاصت (چوليا) فى فراشها وجسدها يرتعد بشدة.

عند تناول العشاء لم تكن (روزان) موجودة. أدركت (چوليا) أن (لوك) قد وبخها لما فعلته. أحست (چوليا) بالذنب فهى لا تتخيل أن هناك شخصاً يمكن أن يقصد عمل ذلك. ورغم هذا أحست أن من الأفضل ألا تراها.

وعاد (لوك) إلى طبيعته المعتادة... صامتاً غامضاً. وإذا ما أراد الحديث فكان يتجه إلى (لوسيل) ولم تبد منه أدنى التفاته تجاه (چوليا) التى بدأت تساءل نفسها عما إذا كان ما حدث فى غرفتها نتاج خيالاتها المريضة.

فى اليوم التالى أخبرت (چوستين) بأنهم سيذهبون إلى شاطىء البحر. وتخيلت (چوليا) أن (چوستين) تقصد كل العائلة وأن الشاطىء ليس بعيداً. ولكنها كانت على خطأ.

قالت (چوستين): «يجب على عمى (لوك) أن يذهب إلى (كاب دى أنتيبس). إن لنا هناك بعض الممتلكات والفنادق على أمتداد الشاطىء. وهو لم يذهب إلى هناك منذ فترة طويلة لأننى كنت معك فى أنجلترا. وهم يسمحون لى بالذهاب فى بعض الأحيان حيث تقيم فى واحد من فنادقنا. إنه كبير جداً». وأبتسمت (چوستين) وبادلتها (چوليا) الأبتسام وهى تقول: «إذن فأنا متأكدة أنك ستمضين وقتا ممتعاً».

قالت (چوستين) فى حماسة: «أوه... إنك ستأتين معنا يا (چوليا). سوف أكون بمفردى عندما ينشغل عمى (لوك) فى أعماله. ومثلما أنت هنا للعناية بى فأنا أتوقع أن تأتين معنا. إننى لم أذكر ذلك لعمى (لوك) ولكن...»

وقاطعها صوت هادى قائلاً: «مالذى لم تذكريه للعم (لوك)؟».

كان هو... بحركاته الصامته المحسوبه وتورد وجه (چوليا) رغم أنها حاولت أن تبقى هادئة.

قالت (چوستين) بلهجة قاطعة: «أنا أريد أن تأتى (چوليا) معنا إلى

(كاب دى أنتيبس)».

لم يكن يبدو على (چوستين) القلق عندما حل بهم (لوك) فجأة. وأدركت (چوليا) أنها قد تغلبت على مشاكلها. ولكنها الأن لديها مشكلة خاصة صنعتها بنفسها.

قالت (چوستين): «إننى أفضل أن أكون معها على أن أكون مع إحدىع صديقاتك فى أثناء إنشغالك بعملك. فهن فى غاية الملل و(چوليا) مسلية جداً. أنا متأكدة أنها ستأخذنى للسباحة بدلاً من مشاهدة نوافذ العرض فى محلات الأزياء».

قال (لوك) فى صرامة ساخرة وقد سره عودتها لطبيعتها. «فجأة تبدين سيدة صغيرة مبكرة النضج. لست أدرى. هل من المحتمل أن أكون مفرطاً فى إطرائك؟»

قالت (چوستين): «أوه... أرجوك يا عمى (لوك)» وأنبهرت للحظة ولكنها كانت لاتزال قادرة على أستخدام مكرها الأنثوى فقالت: «خذ (چوليا) ولن أطلب منك أى شىء آخر لمدة... لمدة طويلة».

قال (لوك) بصوت رقيق: «ربما لاتود (چوليا) المجىء معنا» ونظر بطرف عينه إلى (چوليا) التى أخذتها رجفة.

لم يكن هناك وقت للأجابة إذ ظهرت (روزان) وكان على (چوليا) أن تراجع رأيها حيال أقتراح (لوك) الذى قد تحتج عليه (روزان). كانت (روزان) متألقة ومبتسمة وأقبلت تطبع قبلة على وجنة (لوك). وتجاهلت الجميع فيما عداه وسألته: «متى سنذهب إلى (كاب دى أنتيبس)».

قال (لوك) سوف نتحرك قرابة الغروب فلم تكن هناك حاجة لمجيئك مبكراً. وستأتى معنا (چوليا) و(چوستين) ولكن قبل كل شىء فهناك دروس (چوستين) الصباحية».

كانت (چوليا) قد قررت فعلاً عدم الذهاب ولكنه يضعها الأن أمام أحد خيارين: ثورة غضب هادئة من (چوستين) أو معركة صريحة معه. وبدت عيناه السوداوينان كأنها يدركان تلك الحقيقة بمزيد من الرضا.

قال وهو ينظر لها مباشرة: «إنها مسافة طويلة ومن الأفضل أن تعدى مايكفيك لقضاء يومين. وتذكرى أن تسافرى فى ملابس خفيفة».

وأتجه بعينيه إلى السماء المتوهجة وهو يقول: «هناك عاصفة تتجمع ولكن ربما لاتصيبنا. وعلى الرغم من ذلك فالجو شديد الحرارة والرطوبة وهواء البحر سيكون طيباً لكما».

لم يكن هناك مهرباً. وقرب نهاية اليوم تجمعوا أستعداداً للسفر. كانت (لوسيل) تلوح لهم مودعة بينما كانت (ماريس) تتمنى من أعماق قلبها لو أن البنك أغلق أبوابه وأعطاها أجازة لبضعة أيام حتى تتمكن من الذهاب معهم. وأقبل (فيليب) وأنسل إلى المقعد الخلفى للسيارة مع (چوليا) و(چوستين).

وصاحت (روزان) فى تعجب: «لم أعرف أنك ستأتى». كانت قد تخيرت لنفسها مكاناً بالمقعد الأمامى مع (لوك) وأستقرت مسترخية. وأحست (چوليا) بالأمتنان لإتساع المقعد الخلفى للسيارة المرسيدس. فلم تكن ترغب فى سماع (لوك) يتحدث مع (روزان).

قال (لوك) بهدوء: «من الطبيعى أن يأتى (فيليب) فهو أيضاً يدير بعض الأعمال. وقد تذهبين أنت للشراء بينما أذهب أنا و(فيليب) للعمل».

قال (فيليب) بإغاظة: «وتذهب (چوستين) لأخذ حمامات الشمس بينما تذهب (چوليا) وببساطة لتزداد جمالاً» وفوجئت (چوليا) بأن ذلك أسكت (روزان) تماماً. كان هناك الكثير من التيارات الخفية التى لم تستطع فهمها. ولكنها فضلت أن تدعهم لشأنهم وتعنى هى (بچوستين).

ورفعت بصرها لتجد أن (لوك) ينظر لها جدياً من خلال مرآة الرؤية الخلفية. حملقت فيه بغضب رغم أن قلبها قفز لخلقها عندما التقت عيونها. وكل ما فعله أن رفع أحد حاجبيه. وطوال رحلة السفر لم يقل شيئاً رغم أن الرحلة بدت لانهائية.

وعند وصولهم كانت (چوستين) تغط فى نوم عميق. أشار (لوك)

للصبى الذى ظهر بسرعة سحرية ليحمل حقائبهم.

قال لوك بلهجة آمرة: «ضعها كلها فى جناحى الآن. وسوف أفرزهم فيما بعد» ثم حمل (چوستين) وأتجه للفندق وهو يقول: «يمكنك أن تضع السيارة جانبا».

كان هو المالك ولا ريب ومسحت عينا (چوليا) واجهة الفندق. كان ضخماً وتبدو عليه رفاهية يؤكدها مدخله. لم يكن مقاماً على جرف البحر مباشرة. كان يصلح للأجازات الجماعية. إن الأثرياء فقط يمكنهم تحمل نفقات الأقامة هنا. وبدا من مشهد النزلاء أن هناك الكثير منهم هنا. وأسرعت (چوليا) خلف (لوك) وقد بدت متوجسه متهيبة للمكان، بينما تريثت (روزان) وبدت معتادة تماماً على المكان. كانت تحيى النزلاء فى بهو الفندق كأنهم أصدقاء قدامى. وكانت ترتب معهم مواعيداً للقاء فيما بعد. من الواضح أنها معروفة هنا جيداً ورفيق معتاد (للوك).

وتسلمت (چوستين) من (لوك) وهو يضعها على فراشها ويقول بصوت هادىء: إن أرت أن تدعيها للنوم فربما تنام حتى صباح الغد. وإن أردت إيقاظها فستتناول وجبة فى غرفتها». أومأت (چوليا) برأسها وبدأت تجرد الطفلة النائمة من ملابسها بينما وقف يرقبها للحظة ثم أستدار فجأة ليغادر الغرفة وهو يقول بصوت أجش: «غرفتك هى المجاورة لهذه الغرفة وهى مفتوحة لك بالفعل».

ولم يتريث حتى يتلقى رداً. ولكن مؤخراً وبعد أن تركت (چوستين) وذهبت تتفحص حجرتها الرائعة جاء يطرق بابها ودخل. لم يتجاوز الباب كثيراً عندما قال بصوت بارد: «عندما تكونين جاهزة فسأصحبك للعشاء بالطابق السفلى».

ردت (چوليا) وبنظرتها بعض الأستنكار: «أنا.. أنا لا أدرى إذا ما كان بإمكانى تناول الطعام هنا بغرفتى»؟

لم تكن ترغب فى الجلوس مع (روزان) و(لوك) حتى لو كان فيليب موجوداً. وأحست بإرهاق شديد. ربما تكون العاصفة المنذره وربما يكون

وجودها قرب (لوك) كل يوم قد بدأ ينال منها الكثير وغضت بصرها أمام نظرته الفاحصة.

قال بصوت خفيض: «لم أعمل على حضور (روزان) معنا».

قالت (چوليا) سريعاً: «إن ذلك لا يهمنى» وحولت بصرها سريعاً وهى تقول: «أنا هنا لأعتنى (بچوستين) ولا شىء غير ذلك» ثم قالت ضاحة: «ربما لم تكن لديك نية لإحضارى أنا أيضاً. إن (چوستين) تنادينى».

قال بصوت رقيق مؤكداً: «هى لم تفعل.. أنا لدى أقوى الرغبات فى حضورك. أنت تبدين مشدودة ومتوترة مثل الطبول. أنك بحاجة للراحة والأسترخاء. لقد تخيلت أن (فيليب) سيقوم بمعظم العمل فى هذا الوقت بينما أساعدك أنا على الأسترخاء».

وأبتعدت (چوليا) وقد أهتزت لهذا الأعتراف. كانت الأثارة المعتادة داخلها بعنف. سألت بصوت هادىء: «هل لى أن أطلب طعامى هنا؟» كان صوتها هادئاً ومشعراً بالأحباط كأنما يدعوه للأنصراف. ولم تفاجأ عندما غمغم غاضباً بأن لديها الحرية الكاملة لعمل ماتشاء وخرج وتركها.

وجاءها إفطارها فى اليوم التالى فى حجرتها بدون أن تطلبه وتخيلت أن (لوك) قد نفض يداه منها ويكاد يسمح لها بتناول الطعام هنا والبقاء فى حجرتها طوال الوقت إذا أختارت ذلك. ضايقها ذلك كثيراً فواجهته مجيئة إليها ولم تنتظر حتى يقدم لها تحية الصباح. قالت بكلمات حادة: إن صحتى ليست متدهورة لدرجة أن أحتاج طعام الأفطار فى الفراش. فشكراً لك».

قال ضاحكاً بسخرية: «إنه ليس تدهور فى الصحة بقدر ماهو أفتراض للأرهاق» وأستند لمنضدة الزينة بينما كانت تقف فى وسط الحجرة مرتدية ثياب النوم. وتابع قائلاً: «على أية حال ياآنسة أنا لم أطلبه لك. لاشك أن العاملين قد أفترضوا أنك مادمت معى فسيكون لك

نفس طباع السيدات اللواتى يقمن ويرفضن المغادرة حتى يتناولن طعامهن».

قالت (چوليا) بحدة: «حسناً. أنا لست كذلك» وصمتت لبرهة تحت وطأة سخريته ثم أندفعت تقول: «من الأفضل أن توضح أننى ممرضة (چوستين) لست واحدة من السيدات اللواتى يبعن لك الهوى». كان لسانها ينطلق بلا تحكم وأستدارت بإنفعال بعيداً عن نظرته المتوهجة المفاجئة.

وغمغم بهدوء: «هذا يبدو إلى حد ما وكأنه غيرة».

قالت بلهجة قاطعة: «حسنا... بكل تأكيد هو ليس كذلك» لكنه كان قد وصل خلفها ووضع يداه على كتفيها وجذبها للخلف ثم قال بإلحاح وفى صوت عميق: «لكننى أريده أن يكون يا (چوليا). أريدك أن تكونى غيورة لو سارت الأمور كما أبغى لكنت أنا وأنت هنا وحدنا».

وصاحت: «(لوك)».

لكنه أدارها بين ذراعيه وأحتواها بقوة وقال: «لا.. لاتطلبى منى التوقف» وفى نشوتها استندت على أطراف أصابعها وقبلته. قصدت أن تكون قبلة قصيرة مجرد رد على توسل صوته.

أحست أنها تحلق وتطفو وتدور وتسقط عندما ضمها (لوك).

تشبثا ببعضهما خامدى الأنفاس. وأخذهما الذهول التام عندما أندفعت (چوستين) إلى الحجرة بدون أن تكد تطرق الباب.

وشهقت قائلة: «ياالها من مفاجأة» وتورد وجهها ثم برق بالسرور وهى تقول: «أوه هذا جميل... عمى (لوك) يقبلك... إننى سعيدة جداً».

أخذهما الأرتباك والأضطراب. تمنت (چوليا) لو كان صوت (چوستين) منخفضاً قليلاً. وأبتعدت عن (لوك) الذى بدا عليه الأمتعاض كأنه لايريد أن يدعها. وكانت هى كذلك. ولكن فى هذه اللحظة فتح الباب المقابل لحجرتها وبدت (روزان) فى ثياب الخروج للشراء. ملأ الغضب عينيها وأحمر وجهها عندما رأت هذا المشهد.

قالت(چوستين) بصوت عال: «سوف أعود لغرفتى ويمكنك أن تعود لتقبيل (چوليا) يا عمى (لوك)» وضاقت عيناها وأمتلأتا بالكراهية وهى تنظر (لروزان). كان يرتسم على وجهها تقدير للموقف وكأنه تقدير شخص بالغ وفوجئت (چوليا) بذلك. وتراخت خطوات (روزان) للحظة قبل أن تتجاهلهم جميعاً وتسرع الخطى عبر الممر.

صاحت (چوليا) بصوت حاد مؤنب: «(چوستين)» ولكن الطفلة تجاهلت ندائها هذه المرة ووثبت فى مرح إلى خارج الحجرة.

ورغم أن (چوليا) كانت هى التى بدأت القبلة فقد أستدارت بغضب إلى (لوك) وهى تقول: «أنظر الآن» ولكن (لوك) نفسه كان متحيراً ما بين نظرة الكراهية فى عينى إبنة أخيه وبين الغضب البارد (لروزان). وقال برقة: «أنا أرى» كانت عيناه لاتزالان تبرقان بالرغبة وتابع: «ولازلت أذكر كيف كنت تشعرين بين ذراعى وأنت تنضغطين مقتربة منى. سوف أذكر فى المرات القادمة إدعاءك بأنك لاتحترقين بنفس النار التى تحرقنى».

وأستدار مبتعداً لكنه توقف عند الباب وجرت عيناه على جسدها برغبة أمتلاكية وقال: «سوف أكون مشغولاً معظم اليوم ولكنى رتبت لأخذك أنت و(چوستين) إلى سفينه أحد أصدقائى. أنا أفترض أنك سباحة ماهرة».

وأومأت: «ن... نعم» وأبتلعت لعابها بصعوبة عندما أستمر عامداً يمسح بنظراته جسدها المضطرب.

قال (لوك): و«عندئذ يمكنك قضاء اليوم فى الأسترخاء والسباحة وأخذ حمامات الشمس. وسوف يعد لك الفندق غداء محفوظاً. وستجدين على السفينة كل الكماليات. وسوف تكونين فى مأمن بشرط ألا تبالغين فى اخذ حمامات الشمس. وعلى الأقل ستكونين بمنأى عن طريق الأذى».

كان لديها فكرة واضحة عما يقصده. لقد رأت وجه (روزان) ولكنها

لا تتخيل أن (روزان) سوف تسبح فى المياه حتى تصلهم. كل ما فعلته (چوليا) أنها أومأت لا إرادياً. وترك (لوك) الغرفة صامتاً مثلما جاء.

إنه يعرف أن (روزان) أرسلتها عن عمد إلى المنطقة التى تمر بها الخيول ورغم ذلك أحضرها معه إلى هنا. ربما لم يكن ينوى ذلك فى البداية. ولكنه لم يقاطعها. لابد أن رغبته فى ضم المقاطعتين قوية جداً.

كانت السفينة زورقاً بخارياً ذا حجم كبير. من الواضح أن (چوستين) تألف مثل هذا النوع لأنها أندفعت إلى مقدمته عندما أنزلهم فيه أحد رجال (لوك). ثم أخذت طريقها إلى القمرات حيث أختارت واحدة لنفسها وأخرى (لچوليا).

أستقر بها الزورق على مسافة لا تبعد كثيراً عن الشاطىء حيث كان هناك هدوءٌ شديداً وعزلة واضحة. وكانت المياه خضراء وفى صفاء البلورات».

صاحت (چوستين): «أوه... إنه رائع. سوف اسابقك فى تبديل ملابسنا ثم نسبح» لقد كانت تعود إلى طبيعتها... طفلة بسيطة جداً. وكادت (چوليا) تجزم بأن تلك النظرة الحادة المليئة بالغضب والتى غطت وجهها هذا الصباح إنما كانت شيئاً وليد تخيلاتها.

أخذت تسابقها فى تبديل ملابسها. وفزعت (چوليا) مخافة أن تنزل (چوستين) إلى المياة قبل أن تكون هى على أستعداد للأشراف عليها. ولكن الفتاة الصغيرة كانت تنتظر فى إمتثال وهى تضحك لمظهر (چوليا) المرتبك.

وقالت بمرح: «كان يجب أن أنتظر فأنا لا أجرؤ أن أفعل غير ذلك. إن عمى (لوك) قد هددنى بأقسى العقوبات إذا فعلت شيئاً يُفسد يومك». ثم أضافت بإبتسامة سريعة: «يجب أن أتصرف على أفضل ما يمكننى».

قالت (چوليا): «أنت دائماً كذلك» ونظرت لها نظرة خالصة فتلقت منها نظرة ذكية لم تكن نظرة أطفال. ثم أعلنت (چوستين) أنها

على وشك النزول للمياة.

كان يوماً رائعاً وأبقت (چوليا) تفكيرها بعيداً عن (لوك) وعن حوادث الصباح. ولكن الآن ومرة أخرى كانت ذكرى ذراعيه وشفتيه تندفع إليها فتغمرها بمشاعر لا يمكنها التحكم فيها.

لقد قال أن عليه أن يصل إليها فقط وستذهب هى إليه. كانت تعرف أنه على حق. لقد أثبتت ذلك لنفسها فى هذا اليوم بعينه.

الفصل الثامن

بعد يوم فى الشمس والبحر عاد إلى الفندق حيث تناولت (چوستين) عشاءً مبكراً أخلدت بعده للنوم ولم يعد لدى (چوليا) ما يشغلها. أخذت طريقها إلى جناح (لوك). كان يقع فى نفس الدور ومن الواضح أنه كان محجوزاً دائماً. إذ كانت لوحة صغيرة على الباب مكتوب عليها «سانت ميتشاد». لم يكن الماركيز يسمح بتأجير حجراته. وقد كان الأمر يستلزم قدراً كبيراً من الشجاعة لطرق الباب والدخول عندما جاءها صوته:

«أدخل».

كانت (روزان) فى الحجرة وقد أرتدت ثيابها أستعداداً لتناول العشاء. تفحصت عيناها (چوليا) ببطء وعناية وقد أخذت بريق شعرها الجميل، وذرات النمش الخفيف التى لم تخفها مساحيق الزينة ولا اللون الذهبى من أثر الشمس. أحست (چوليا) بالبساطة وهى ترتيدى فستاناً أبيض غير مزخرف يكشف عن كتفيها. كان يبدو لائقاً جداً فى مدينتها الأصلية بينما لايبدو أفضل الأزياء هنا. وأفصح وجه (روزان) عن ذلك بوضوح.

قالت (چوليا) عندما نظر إليها (لوك) ببساطة: «أنا... أنا أعتقد...

هل سأذهب للعشاء معكم؟».

وبدا كأنه ينتشل نفسه من شئونه وقال: «نعم سأتين». سار بإتجاهها وهو يقول: الآن وحيث أنك هنا فإننا ننتظر فقط حضور فيليب ثم نذهب للعشاء. لقد كنا بإنتظارك».

أطلقت (روزان) ضحكة صغيرة وهى تقول: «هل كنا؟» وكأنها توضح أن كلماته كانت مجرد كياسة حمقاء. ثم أضافت: «أعتقد أننا كنا فقط نستمتع بوقتنا معاً».

وتجاهلها (لوك) بينما سُرت (چوليا) عند دخول (فيليب) الذى أبتسم لمرآها. وبينما كانت عيناه تغازلان (چوليا) قال بلهجة مرحة (للوك): «سوف أستأثر (بچوليا) من بين يديك فى هذه الأمسية. إذا أذنت بذلك» ولدهشتها وجدت (روزان) تندفع سريعاً ترفض الفكرة. وقالت بإصرار: «إننا جميعاً معاً بالتأكيد». ودست ذراعها فى ذراع (فيليب) وهى تقول: «أنا أعتقد أن صحبتنا الرباعية ستكون أفضل».

وغمغم (لوك) فى أذن (چوليا) خلسة: «أنا لا أتقبل ذلك» ولكن (چوليا) كانت مستغرقة فى تفكيرها تحاول أن تفهم هذا الأمر. فى هذه اللحظة بدت (روزان) كأنها تفى رهانها من الخسارة فإنها إن لم تحصل على (لوك) فيمكنها الحصول على (فيليب). ووقعت عيناها الزرقاوينان العميقتان على (فيليب). وللحظة بدا وجهه المرح منجهماً بعض الشىء.

لم تتوقف (روزان) عن الحديث طول العشاء. وبدا أن (لوك) و(فيليب) يتوقعان ذلك. وقد عاملاها بتساهل وتبسيط حتى أن (چوليا) ودت لو أنها لم تكن موجودة. وبالأضافة لتجاهل (روزان) لها وإزدراءها الخفى فقد بدا الموقف برمته ثقيلاً كئيبا ولكن ما عدا حقيقة واحدة وهى أن عينى (لوك) السوداوينين كانتا لا تكادان تنصرفان عنها.

بعد ظهيرة اليوم التالى أنضم (لوك) إليها على الزورق. لقد جاء بدون أى تنبيه وربط زورقه الصغير السريع الذى جاء به إلى جانب زورقهم ثم قفز إلى سطحه. وكالعادة أندفعت إليه (چوستين) فرفعها فى الهواء

بذراعيه القويتين ذوى اللون البنى.

قالت (جوستين) فى حماس: «أنت تغشنا. لقد قلت أنه لن يكون لديك وقت لتنضم إلينا».

ورد (لوك): «حسناً... لقد صنعت وقتاً. وبالأضافة لذلك فيجب أن أتأكد أن أميرتنا الأنجليزية لم تتعرض لكثير من الشمس».

قالت (جوستين) فى أعتداد كبير بنفسها: «إننى أعتنى بها».

وتحول بصر (لوك) إلى (جوليا) التى جلست على سطح السفينة ترتدى لباس أستحمام بكينى أزرق داكن. وتلونت ساقاها الرشيقتين باللون الذهبى وكشفت ثيابها القليلة عن أنوثتها الفاتنة.

قال (لوك) برفة بينما التفت عيناها: «لقد تصرفت جيداً وحتى ينتهى اليوم فسأبقى وأساعدك» وذهب لتبديل ملابسه بينما أخذت الأثاره بلب (جوستين) وهمست سريعاً:

«دعينا نختبأ... سوف أذهب إلى مكان ما... وأنت إلى مكان آخر وسيحب عمى (لوك) ذلك».

وشكت (جوليا) فى أن يكون من ذلك النوع من الرجال الذى يستمتع بمثل ذلك اللهو. ولكن لم يكن هناك مايستبقيها فى مكانها لتواجه هاتين العينين الداكنتين الملتهبتين. إنطلقت (جوستين) إلى الجانبا المقابل من السفينة لتختبأ وهى تحاول كتم ضحكاتها. وأنزلقت (جوليا) عبر جانب السفينة إلى المياه الرائقه الدافئة. كان وقت الخروج هو إما أن تُمسك (جوستين) وإما أن تقلع عن الفكرة تماماً.

ولكن كان خطأ ما. فهى لم تكد تدرك أن (لوك) كان فى الماء حتى طفا إلى جوارها وهو يحدق فى عينيها. ثم أطبق على خصرها فى حرارة ليغوصا تحت السطح. لم تكد تجد وقتاً لتتنبأ بنواياه وتأخذ نفساً عميقاً قبل أن يغوصا فى الماء الأخضر الرائق. ثم ارتفع معاً إلى السطح يلتقطان أنفاساً عميقة بينما كانت يداه تضربان على ظهرها الملتهب. وقال «يمكننى أن أبقى هنا طوال النهار وطوال الليل مادمت معك».

«عمى (لوك)» كان صوت (جوستين) يصلهم واضحاً كرنين الجرس. وأرتسمت على وجهه أبتسامة واسعة وهو يستدير إليها قائلاً: «أنت لم تلعبى اللعبة كما ينبغى. لقد لعبتها حسب قواعدى يا حلوتى... لكننا سنصعد إلى ظهر السفينة لتناول القهوة».

وسبح إلى السفينة ثم تسلق إلى ظهرها وهو يرفع (جوليا). كانت يداه لاتزالان تمسكان بيديها وتورد وجهها لدى العاطفة المتقده فى عينيه وهى لاتدرى إن كانت تشعر بالأمتنان لوجود (جوستين) أم لا. وإذا قبلت الحقيقة... فهى لم تكن تريد أن تحمى نفسها من (لوك). لقد صرحت له بمشاعرها منذ أمد طويل وبادلها المشاعر بنفس الدرجة». كانت (روزان) وصمت (جوستين) بعيدين عن عقلها.

إنقضت فترة مابعد الظهر الحارة ببطء بينما أحتموا بإحدى المظلات الجميلة على ظهر السفينة. وبعد برهة وضعت (جوستين) رأسها على يدها وأستغرقت فى النوم. وعلى الفور حل (بجوليا) الفزع. عندما وجدت نفسها وحيدة مع (لوك).

نظرت إلى (جوستين) وهى تقول بصوت خفيض: «أعتقد أننا يجب أن نعود. اليس كذلك؟ فربما تكون قد تعرضت (جوستين) للكثير من الشمس».

ورد بطريقة مرتجلة: «هى فقط تبدو متعبة مثل كل الأطفال بعد يوم ملىء بالأثارة. وستكون بخير هناك وعلى أى حال فإن بشرتها داكنة مثلى. وقد كانت بشرتك الجميلة هى الوحيدة التى يمكن أن تتعرض للخطر بفعل الشمس».

قالت (جوليا) سريعاً: «حسناً... حسناً. على أية حال سوف أذهب لأبدل ملابسى» ولكنه لم يفتح فمه.

«(جوليا).. عمى (لوك)» جاءهم صوت (جوستين) وبه آثار النوم تناديهم من على ظهر السفينة وصاح:

«يا إلهى. متى سيمكننى أن أعيش حياتى الخاصة».

كانت أنفاس (چوليا) لاتزال تلهث فى حلقها وهى تنظر ذاهلة وقال:

بدلى ملابسك لقد كنت على حق. فيجب أن نرحل الآن.

ولم تستطع سوى أن تومئ ببلاهة ولم تشعر بالخجل مع (لوك) كان كل شىء طيب... كل شىء تريده. وبذهول حاولت أن تجذب عقلها لتعيده إلى الواقع وتجاهد رغبتها الداخلية. وأسرعت ترتدى ملابسها وتتبعه بأسرع ما يمكنها.

وجدت نفسها تقضى معظم الوقت أثناء العشاء مع (فيليب). كانت (روزان) مع (لوك) وكان ذلك عن قصد. كانت عينا (فيليب) تتعقبها بحنق وهما يرقصان.

وتمتم يحدث نفسه: «سوف تحصل عليه.. لقد كنا ندلاها دائماً وهى الآن لاتجد مبرراً لحرمان نفسها من أى شىء تريده».

وبينما كانت عينا (چوليا) على (لوك) وهو يبتسم للفتاه سألت (فيليب) بهدوء: هل تعرف (روزان) منذ وقت طويل؟»

قال مؤكداً: «منذ أن كنا أطفال. على الأقل منذ أن كنت أنا و(روزان) أطفالاً: فلا يمكننى على الأطلاق تذكر (لوك) وهو طفل» ثم ضحك بصوت أجش قائلاً: «أنا أعتقد أحياناً أنه لم يكن كذلك. لقد كنا جميعاً نخبط (بلوك) وحتى عندما كان (جولبس) موجوداً فقد كان (لوك) هو الأكبر والأهدأ أعصاباً والأقوى والأشجع. ولفترة من الوقت لم نستطع أن نحدد رأيها هل تريدنى أنا أم (لوك). ويبدو أنها قد أستقرت على رأى الآن. ومن المحتمل أن يكون مجيئك قد ساعدها على إتخاذ قرار».

قالت (چوليا) بهدوء: «أنا متأكدة أن ذلك لم يحدث. فليس لى أى تأثير على حياة أى أحد فيما عدا (چوستين)».

قال ضاحكاً: «وأيضاً حياة أمى وحياة (ماريس) وحياتى» ثم أضاف برقة: «وحياة (لوك)».

قالت (چوليا): «لو أنه تزوج (روزان) فسوف تصبح الضيعة كبيرة وساحرة جداً».

وأومأ (فيليب) ثم صرف بصره عن الرفيقين اللذين كانا يرقصان. وبدا نافد الصبر وهو يستدير إلى (چوليا) قائلاً:

«عندما مات والدى تم تقسيم الممتلكات بالعدل حسبما رأى. والآن أصبح (لوك) ماركيزدى سانت ميتشاد فآل إليه نصيب الأسد. ثم توفى (جولبس) وآلت ممتلكاته إلى (لوك). لقد كان (جولبس) و(دايردرى) يعيشان هناك مع (چوستين). أما أنا فقد حصلت على نصيب أقل من الممتلكات لأننى كنت الأبن الوحيد من زواجه الثانى بينما حصلت (ماريس) على نصيب أقل منى» وقطب جبينه وهويقول: «إنها بنت» ثم تابع قائلاً: «وكما تفهمين فقد كان والدى رجلاً عتيق الطراز. ولم يكن (لوك) سعيداً بذلك. كان يعمل بكل طاقته ويحمينا ويرشدنا. إن (ماناد دى ميتشاد) هى بيت أمى وبيننا ومن الواضح أن (لوك) سيتزوج يوماً ما. فماذا سيفعل؟ هل سيلقى بنا إلى الخارج؟ لقد كان غاضباً بسبب كل تلك الأمور».

كان يرسم صوره للأحداث الماضية أخذ بلبها. وتخيلت صورة (لوك) فى ماضيه. وفهمت سر عنايته بهم جميعاً.

وأستمر (فيليب) قائلاً: «عندما مات (جولبس) قام (لوك) بتقسيم الممتلكات مرة أخرى إرضاءً لضميره. وأخذ هو الضيعة الأخرى بينما ترك لنا منزلنا بصرف النظر عما قرره لمستقبله. وعندما تبلغ الثلاثين أنا و(ماريس) فستصبح الأرض المحيطة (بماناد دى ميتشاد) أرضنا. وتمتد أرض (لوك) إلى جوار أرض (دوبن) وإذا تزوج (روزان) فستصبح مملكة صغيرة. وإذا لم يتزوج فسترث (چوستين) التى يرعاها كل ذلك عن أبيها (جولبس).

وغمغمت (چوليا) وهى تنظر لها: «وستزيد إذا تزوج (روزان)».

قال (فيليب) مؤكداً: «هذا حقيقى... إن اللقب يجب أن يمتلك

أرضاً ـ أرضاً غير مقسمة وأوسع مما يمتلكه الآن. وهو يعرف ذلك. كما أن عائلة دوبين لن يعترضوا على وجود لقبا فى عائلتهم. ورغم ذلك فلا أعتقد أنه من الحكمة أن أضمن ما سيفعله (لوك). لقد عرفته طوال حياتى وحاولت أن أتفهم أفكاره وتصرفاته ولكننى لم أستطع. وأياً كان ما يفعله فبالتأكيد سيكون من مصلحة العائلة. وأنا متأكد من ذلك».

سألت (چوليا) بهدوء: «وإذا أختارتك (روزان)؟»

قال (فيليب): «أنا أشك إذا ماكنت أستطيع التعامل معها» وضاقت عيناه وهو ينظر لها ثم تابع: كما قلت فإننا قد أتلفناها بالتدليل. وهى مهرجه وعنيده وقوية لكن من الصعب التنبؤ بما ستفعله. أنا أعتقد أن (لوك) فقط يمكنه التعامل مع (روزان)» وبدا كأنه لا يريد مجرد المحاولة. وأحست (چوليا) أن حبه الشديد للفتاة بدأ يتلاشى. وأعترفت بأنها لا تفهم أيامنهم.

عندما عاد (لوك) و(روزان) إلى المائدة كانت (چوليا) صامته منطوية على نفسها. وبعد برهة بدا أن (لوك) قد ضامه ذرعاً بذلك. لكنها لم تكن لتدع نفسها تتعرض للأذى مرة أخرى. إن بإمكانه أن يستدعيها بنظرة وأن يذيبها بلمسة. وقد فعل ذلك من قبل. ولكن كان واضحاً أنه يعتزم الزواج من (روزان). وفجأة أحست أنها تمتلىء بخيانة (جراهام).

فى صباح اليوم التالى جاءها (لوك) قبل (چوستين). طرق باب حجرتها بخفه ثم دخل. كان وجهه يفيض بالسعادة عند وقع عليها نظره. لكنها لم تطق النظر إليه. وأدارت رأسها بعيداً ثم رمقته بنظرة باردة وهو يتقدم فى الحجرة متحيراً من موقفها.

وقالت: «أنا أتخيل أن هذه حجرتى يا مسيو (مارشال)». أستجمعت كل ما بقى فيها من لهجة العمل بالمستشفى لتنطق بهذه الكلمات ثم أضافت: «إذا أمكنك أن تخبرنى بما تريد فبإمكاننا التحدث بشأنه ثم

وصاح: «(چوليا)». لم يكن هناك غضب فى صوته ولكن دهشة فقط. هى تدرك أنها قد حيرته وأغضبته بإنطوائها فى الليلة الماضية ولكنها فى آخر مرة كانا فيها معاً بمفردها كانت على أقصى درجات الأستعداد للأنتهاء إليه. وكل منها يعرف ذلك. وأتجه نحوها فهبت واقفه على قدميها وكل ما فيها متحفز وغاضب.

قالت بلهجة حادة: «لا ترتكب خطأ أن تلمسنى يا سيدى. إذا فعلت فأقسم بأننى سأصرخ بصوت عال حتى يستيقظ كل من بالفندق».

وماتت البسمة على وجهه وأختفت نظرة الحيرة من عينيه ليحل محلها الغضب الشديد. وقال فى غيظ: «إذن يا آنسة. هل إنتهت لعبة الأمس؟ هل يجب على اليوم أن أذكر جيداً واجبى نحوك ومكانك فى حياتى؟»

قالت (چوليا) فى هدوء: «لم تكن هناك لعبة. ومكانى هو فى حياة (چوستين) فقط. ولذلك...»

ولم تكمل حديثها. فقد رفع يده بكبرياء وهو يقول بصوت حاد: «لا تتكلفى عناء الأستمرار فى الحديث. أنت تريدين العودة إلى وطنك.. إلى أنجلترا... حسن جداً. أنا موافق. لقد أصبحت تملين البقاء بيننا فى (كامارجو) ولا يمكنك أن تتحملى أساليبنا أكثر من ذلك. أننا على حق. وسوف أرتب لذلك. فيمكن (لچوستين) أن تستمر بدونك وكذلك أنا».

وأستدار فجأة ليتركها. لكنه كان يعتصرها الألم والصدق. فصاحت بصوت حاد:

«إن الأمور تبدو أغرب مما تخيلت... ما الذى كنت تفعله بالأمس على السفينة. هل كنت تستخدمنى لتتخلص من تعبك وأحباطاتك».

أستدار ببطء ونظر إليها بعينين باردتين غامضتين وقد أرتسم على وجهه الم بارد مخيف وسألها ببرود: «ماذا يعنيه هذا الأنفجار يا آنسة.. هل أبتدعت سبباً آخر للشك فى».

قالت (جوليا) بهدوء وهى تستدير بعيداً عن غضبه: «أنا لم أبتدع أى شىء».

وأنفجر قائلاً: «ربما لا... إن فكرة حياتى الغريبة وأساليبى الغامضة تكفى لمنحك بالشك بدون أى إبتداع لذلك. أنا أعرف هذا فعلاً. لا يمكنك أن تتقبلى حياتنا على نحو مريح».

إندفعت (جوليا) قائله: «أنا أتقبل (لوسيل) وأتقبل (ماريس) وأتقبل فيليب. أنا أعتبرهم أصدقائى. إن سلوكك هو الذى لا أقبله. أنا أحب الرجل الذى...»

صمتت مندهشة لإنفجارها للكلمات التى أختارتها. كادت تقول أنها أحبت رجلاً سيتزوج من غيرها. وأنه كان فقط يلعب بعواطفها. لم تكن تدرى عمق ما بها من أذى حتى جاءت هذه الفكرة إلى رأسها وكادت تفشيها.

حملق فيها (لوك) كأنها أجنبية غريبة ذات عقل لا يستطيع أن يفهمه وقال:

«أنت لازلت تحبين ذلك الرجل الذى هجرك؟ أنت على أتم أستعداد للعودة والسماح له بمقابلتك فى غياب زوجته الجديدة؟ هل هذا هو سبب تلهفك على العودة وترك (كامارجو)؟ لا داعى للمواربة والأحتيال ياآنسة. لاتقلقى سوف أرتب لسفرك على الرحلة التالية من مرسيليا».

وأستدار يخطو تجاه الباب بينما تجسدت صورة الواقع أمامها. لقد قال ذات مرة أنه يريدها أن تشعر بالغيرة. وقد حدث. إنها لم تعطه وقتا للكلام... للتفسير. إنها تقيم أفكارها بناء على أفتراضات (فيليب) وعلى معرفتها الخاصة (بروزان). هل كان لوك سيقبلها... هل كان سيضمها بين ذراعيه إذا كان ينوى الزواج من فتاة أخرى؟

وهمست: «(لوك)» وخطت خطوة واحدة فى أتجاهه ولكنها توقفت عندما التقت عيناها بتلك العينين السوداوين وبها نفس النظرة التى

وجهها لها عندما رآها لأول مرة... ما الذى تفعله هنا؟ لقد نبذها من عقله تماماً.

قال (لوك) بهدوء: «أنا أفضل أن تناديننى (مسيو) يا ممرضة (ردفورد)» وأستدار ليخرج من الغرفة.

كان واضحاً (لجوليا) أنه لن يتحدث إليها مرة أخرى وسيحجز لها تذكرة السفر إلى أنجلترا فى الصباح.

وملأها الفزع لدى فكرة تركها إياه. وملأها الخجل عندما أدركت مدى غيرتها. وطوال لحريق عودتهم إلى ضيعتهم (ماناد) كان (لوك) صامتاً. ولم تجد فرص للحديث إليه حتى أخلد الجميع للنوم بينما كان هو يجلس بمفرده فى حجرته وقد صمت المنزل من حوله.

طرقت الباب وأرتجفت لدى سماعها صوته الواثق الأجش يأمرها بالدخول. وعندما رأى أن الطارق هو (جوليا) بدا عليه برود لم تره على الأطلاق.

قال بلهجة قاطعة: «غداً ياآنسة» وعاد مرة أخرى إلى الأوراق الموضوعة على مكتبة وهو يقول: «لاتخش شيئاً فسيتم حجز رحلتك عند أول ضوء».

قالت (جوليا) وهى تستجمع شجاعتها: «ليس هذا هو ما جئت من أجله».

سألها بصوت أجش: «لماذا إذن» وأرتفع رأسه الداكن وهو ينظر لها من تحت حاجبيه الداكنين.

قالت (جوليا): «لقد جئت لأقول لك أنى آسفة. ليس لى حق فى أن أكون فظه إلى هذا الحد ولا أن أحكم عليك بمثل هذا الظلم. أنا... أنا لا أتوفق مع هذا المكان. ولا أفهم الناس هنا. كأنه عالم آخر. أنا هنا لتمريض (جوستين) وليس لإنتقادك».

قال بلهجة حادة: «يجب أن تكونى كذلك. أنا ليس لى حق فى أقامة علاقة حب معك. إن لك وظيفتك ولك وطنك الذى يُعد مختلفاً

تماماً عن هذه البلاد». ثم نهض وسار إلى النافذة ينظر إلى سكون الليل والقمر البازغ.

وقال: «أوه... ما الفائدة؟ أنت لن تفهمينا على الأطلاق. أنت لست من أهل (كامارجو)».

قالت (چوليا) فى صوت يائس: «كلا... أنا لست منهم» لم تستطع أن ترفع صوتها فخرج هامساً وهى تشعر بأن كل حياتها يتهددها خطر ما.

قال بقسوة وهو لا يزال يعطيها ظهره: «لن يكون مهما أن تفهمى عندما تعودين إلى أنجلترا وتكونين على بعد أميال من هذا المكان».

يجب أن يكون الآن أولا يكون على الأطلاق. كل غرائزها تقول لها ذلك. أستجمعت بقايا شجاعتها وتوسلت فى صوت رقيق: «لا تعيدنى يا (لوك)... أرجوك لا تبعدنى».

قال: «لماذا تودين البقاء رغم أن رأيك فى وضيع وشديد الأرتياب».

وأستدار ليوجهها ولكن شجاعتها كانت متهاوية تماماً. كانت تريد أن تقول: «لأننى أحبك» لكن الكلمات كانت تحتاج إلى قوة أكبر بكثير من أن تمتلكها.

همست وهى تسدد بصرها إلى الأرض: «أرجوك يا (لوك)».

وغمغم يكرر كلمتها فى سخرية: «أرجو يا (لوك)» ثم تابع «لقد قلبتها مرات عديدة ولكن لم تكن إطلاقاً لأسباب صحيحة».

قالت فى ثبات وهى تقبض على زمام تفكيرها: «أنت تريدنى أن أبقى مع (چوستين) وأنا أريد ذلك. والآن تريدنى أن أرحل. فهل أصبحت (چوستين) فجأة غير ذات أهمية؟ هل أنزلق ذلك إلى مستوى إن أصبح معركة شخصية؟»

وقال هو يتفحصها بعينيه الداكنتين: «هل أنت مهتمة بى إلى حد أن تكون هناك معركة يا (چوليا)» عقدت (چوليا) ذراعيها لتوقف أرتعادهما وقالت بهدوء: «لقد جئت لعمل شىء ولم أنته منه بعد».

قال متسائلاً: «الممرضة (ردفورد) الجادة الصارمة. أنت لست سوى أخصائية محترفة؟» ثم أضاف فى صوت مكتئب:: «حسن جداً. سوف تحاول مرة أخرى. أنا أتخيل أن (چوستين) أصبحت تشكل جزءاً هاماً من حياتك بحيث لا تستطيعين تركها بإرادتك. ولكن لا تنسى أن لك حياتك الخاصة. لقد قلت أنت بنفسك أن هذا شىء مؤقت».

وأستدار بعيداً دون أن يلحظ نظرة عينيها. لقد نسيت تماماً السبب الرئيسى لمجيئها هنا. كان (لوك) الذى أصبح جزءاً رئيسياً من حياتها. (لوك) الذى لا تستطيع أن تتركه. ورغم ذلك فقد كان واضحاً أن المقابلة أنتهت. ومرة أخرى عاد (لوك) غامضاً غير مفهوم وغير ممكن الوصول إليه.

وهمست له: «طاب مساؤك». وذهبت لفراشها. وعلى مدى عملها فإنه لم يجب.

ورغم ذلك فبعد ظهر اليوم التالى كانت (چوليا) تجلس فى الحديقة. وجاء (لوك) يبحث عنها. لم تجد فى نفسها رغبة فى المغامرة بأى شىء بعد صدمة الأمس. لم يكن هناك أى أثو (لروزان). وقد وجدت (چوليا) نفسها محبطة ومنهكة القوى بعد رحلة الشاطىء. ونظرت إلى (لوك) ببعض الريبة بينما كان يدنو منها.

قال بلهجة جافة بينما كانت ترمقه بعينين واسعتين: «ليس هناك حاجة لأن تعدى نفسك للهجوم. ولتحضرى حقيبتك فسآخذك إلى المدينة» ثم أضاف بلهجة ساخرة بينما تورد وجهها: «لا تخشى شيئاً فسيكون هناك وصيفه تحميك. إن (چوستين) أيضاً مدعوة للمجىء معنا».

فى تلك اللحظة ظهرت (چوستين) ترفل فى أبتساماتها ثم أخذت تركضه راقصة بإتجاههم وقد ملأها السرور والمرح قالت: «سوف تذهب لنشاهد حلبة الثيران» وأضافت عندما رأت الأنطباع المتحير الذى أرتسم على وجه (چوليا): «وقد وصل الفجر إلى هناك وقد سبقتنا جدتى (لوسيل) إلى هناك بالفعل. أسرعى يا (چوليا) فسيكون يوماً مثيراً. إنهم

سيقيمون عرضاً للثيران غدا وسيكون عمى (لوك) صاحب أفضل الثيران».

لم يكن لدى (چوليا) أدنى شك فى أنه أياً كان مايفعله فسيكون هو الأفضل. ولكنها لم تتحدث عندما رأت التعبير المرح الذى يرتسم على وجهه. كما كان يحيطه جو مرح أصابها بالدهشة. فعلى نحو غير مفهوم ولا يصدق كان قد صفح عنها. ولم تكن بحاجة إلى دعوة أكثر من ذلك. وأنطلق (لوك) إلى المدينة يصحبه شخصان فى قة الأثارة.

كان المكان يعج بالزوار. وكان جواً مختلفاً تماماً. بدا المكان كأنه منتجعاً لقضاء الأجازات. ولم يبد على (لوك) الضيق بقدر مابدا عليه السرور لذلك. كان السائحون يملأون الميدان الرئيسى وقد أرتدوا ملابس قصيرة تكشف عن سيقانهم وأذرعهم. وكان الفجر ينتشرون هنا وهناك بملابسهم الزاهية.

وصاحت (چوستين): «إننى أرى جدتى» وثبت من السيارة كأنها هرة صغيرة ولكن (لوك) لحق بها وأمسكها ثم رفعها إلى كتفيه وقال مازحاً: «ليس بهذه السرعة يا حلوتى. إذا كنت تريدين أن تتركينى من أجل جدتك فيمكننا أن نسلمك لها بالطريقة الصحيحة. أنا لا أريد أن أجدك وقد أختفيت مابين هذه الحشود ولا نراك مرة أخرى».

وتملصت منه (چوستين) وهى تقول: «إنهم يحبوننى. وأنا أكاد أشعر بأننى واحدة منهم».

وأستبقاها (لوك) وهو يقول: «ولكن ليس تماماً».

قالت بفخر كبير: «لكن (ماريس) منهم... وأيضا (فيليب)».

قال (لوك) وهو يرنو بطرف عينه إلى (چوليا): «هذا صحيح إلى حد كبير».

وبدأت (چوليا) تجول ببصرها فى المكان. وجدت نفسها محاطة بأناس مرحين داكنى البشرة وسمعت (لوسيل) تجيب أسئلتهم باللغة الرومانية. رأت حولها عيوناً ضاحكة ذكية وأزياء متباينة. ورأت (لوسيل).. التى

كانت يوماً ما زوجة والد (لوك) ماركيز دى سانت ميتشاد ــ بين أهلها وقد غمرتها السعادة بدرجة لم تشهدها (چوليا) من قبل.

كانوا أناساً ذوى ملامح جميلة وكانوا يتجاهلون فضول السائحين وشغفهم فى أنفه. وأتضح من طريقه الترحيب بهم أن لهم مكانه خاصة فى (كامارجو).

وسأل أحد الرجال (لوك) مبتسماً: «هل تعتقد أن غداً سيكون يوماً مشرقاً سيدى الماركيز».

قال (لوك) ضاحكاً: «أنت الذى تخبرنى يا (دنيس). ثم ناول (چوستين) المتمردة إلى (لوسيل) التى بدت أمرأة غجرية جذابة. وقال: «إنه أختصاصك أن تعرفى هذه الأمور».

وقال الرجل العجوز: «إن سحب العاصفة فى الطريق» وغطت الكآبة وجهه لثوان ثم أستقرت عيناه على وجه (چوليا) فملأها بإحساس غريب وكأنه تحذير مسبق. ثم قال: «ولكن بخصوص المهرجان فستكون لدينا شمساً مشرقة وكثيراً من الحرارة والغبار».

قال (لوك) ضاحكاً: «يمكننى أن أصدق ذلك... سيتذوق كثيرون الغبار فى أفواههم غداً». وتبادل كلمات سريعة مع (لوسيل) ثم أخذ (چوليا) مبتعداً ليمرا على المحال التجارية على جانبى الطريق. وقال:

«قبل أن نشاهد الحلبة فسوف تبتاع لك قبعة لحماية هذا الرأس الجميل وذلك الأنف المتكبر». كانت لهجته جافة وقد أحكم يده على ذراعها.

قالت (چوليا): «ليس بأنفى شىء متكبر». كانت لا تزال منبهرة بما حولها كما أذهلها صفح (لوك) التام.

قال ساخراً: «حتى بعد أن عرفت أن زوجة أبى من الفجر؟ إن صديقتك العظيمة (ماريس) و(فيليب) المعجب العظيم بك تجرى فى عروقهم دماء رومانية حقيقية».

توقفت (چوليا) ونظرت إليه قائلة: «هل تتوقع أن يصدمنى ذلك؟

إن لوسيل رقيقة وعطوفة وامرأة جذابة جداً. ولا يوجد شيء غير سوى بخصوص (ماريس) و(فيليب). وبالتأكد فيمكن (لفيليب) أن يدير رأس أي فتاة في أنجلترا».

ورد بصوت رقيق: «ولكن ليس رأسك أنت يا آنسة».

ولم تجب. إنه يعلم أن عليه فقط أن ينظر لها ليغرقها في بهجة مرتعدة. وارتسمت على شفتيه أبتسامة رقيقه وهو يقودها إلى المحل القريب. ليشترى لها القبعة المفلطحة التي وعدها بها.

ووضع القبعة على رأسها ثم تراجع قليلاً ينظر إليها قائلاً: «هذا أنيق جداً... إنها قد تُخبيء بعضاً من الجمال ولكنها ستحمي الرأس الجميل والأنف المتكبر».

أبتسمت البائعة لهذا الغزل المازح ولكن (چوليا) أرتكبت له. كان هذا هو (لوك) كما لم تره من قبل وكانت تلتقط أنفاسها بالكاد مخافة أن ينسحب ويتركها وحيدة وتعيسه.

كانت الحلبة بالغة الروعة. لقد كانت تضم في سالف الأزمان أولئك اللاعبين المجالدين الذين يتقاتلون حتى الموت. أما الآن فإنها تضم الثيران بعد قيادتها عبر شوارع المدينة في أستعراض. كانت أقواس الحلبة سليمة وقد تم تجديد مدخلها. وأجلسها (لوك) في مقعد يمكنها من مشاهدة كل بدور حولها. وأوضح لها أنه ليس هناك فيه لمصارعة الثيران وإنما يحاول اللاعبون نزع حليه وردية مثبته على رأس الثور بين قرنيه». وقال مبتسماً: «ومن الطبيعي أن يعترض الثور. ودرجة أعتراضه هي التي تجلب الأثارة وتولد التحدي».

وسألت (چوليا) في قلق: «وهل تصاب الخيول بأذى؟» كانت تفكر في جمال الخيول البيضاء الوحشية وقد أفترضت أن وجودها أمر مسلم به.

قال بصوت ساخر: «ليست هناك خيول يا آنسة». إن من يتحدى الثور يفعل ذلك على قدميه وعلى مسئوليته الخاصة. إن الخيول تستخدم

فقط في الأستعراض وفي السياق الكبير الذي يلي محاولات نزع هذه الحلي من على رؤوس الثيران»..

وسألت (چوليا): «وهل... هل يصاب أناس؟»

قال: «أحياناً» كان صوته به درجة من التلذذ جعلتها تحدق فيه بفزع بينما تابع قائلاً: «نادراً ما يتعرضون لأذى شديد. ستشاهدين في الغد كثيراً من أفعال الشجاعة وبعضاً من الغباء الحاد أثناء هذا النزال. وفي المساء يكون السوق الكبير والرقص». ونظر لها وهو يتابع قائلاً: «على ما أرى فإنك لن تحاولين الخروج؟ فأعصابك الأنجليزية ستتحملها؟»

وردت بسلاطة لسان: «إذا تحملتها أعصابك» وضحك تلك الضحكة التي نادراً ما تسمعها وقال: «أوه... أنا لدى أعصاب لكل شيء تقريباً... يا أميرتي الأنجليزية».

وبعدما طاف بالحلبة وتحدث إلى الرجال الذين يعملون بها خرجا إلى الشوارع المشمسة ورغم أنه كان لا يزال محاطاً ببعض التحفظ فقد أردكت أنه الآن يبدو متلاطفاً بدرجة لم ترها من قبل على الأطلاق.

بدا سعيداً على نحو غير مفهوم. ولكنه كان ذلك هو كل ما تتمناه.

كانا يستعدان للمغادرة وبينما يبحثان عن (چوستين) رأت (جراهام). ولأول وهن لم تصدق عينيها. وأقتربت من (لوك) تحاول أن تختفي قدر ما تستطيع وهي تشعر بالأمتنان لتلك القبعة التي أخفت رأسها المشرق وجعلتها أقل وضوحاً بين الجموع المزدحمة التي كان معظمهم من الفرنسيين والغجر ذوي شعر أسود. ولكنه كان (جراهام). لقد واتتها الفرصه لتتأكد منه. وأمضت باقي وقد وثب قلبها إلى حلقها. وأحس (لوك) بتوترها فتحير له وأنزعج.

قال ببعض الخشونة: «أنت آمنة منه تماماً في الزحام. وأنا أعد بأن أعيدك للمزرعة قبل وقت العشاء. وإن أردت فيمكنني أن أجعل واحداً من صبيان الغجر يصحبك. فقد تشعرين بأمان أكثر مع واحد منهم. أنا أعرف رأيك في».

وقالت بسرعة وكأنها تتوسل له: «أنا أشعر بالأمان التام معك» ولكنه لم يبد عليه السرور.

وسألها: ماذا بك؟ فعلى مدى النصف ساعة الأخير وأنت تبدين كأنك طفلة مذعورة. فماذا فعلت الآن لأضايقك؟»

قالت: «لا شيء... أرجوك يا (لوك).

قال ساخراً: «أرجوك يا (لوك)... كم من المرات سمعتها».

أختفى أسلوبه المرح ولم تستطيع عمل شيء لأسترجاعه. ولم يكن طريق العودة إلى (ماناد) ممتعاً مثلما كان طريق الذهاب. وقضت (چوليا) المساء تترقب أن يريد جرس التليفون أو أن يحضر (جراهام) ببساطة. لم يبد ظهوره هنا مجرد مصادفة. أعتقدت بأنه قد أقنع الممرضة (چين تود) بطريقة ما بأن تعطيه عنوانها الجديد. وتمنت لو أنها لم تكتب لها.

الفصل التاسع

فى الصباح كان عقلها قد انصرف عن (جراهام). فهو لم يكن على اتصال بها. ويحتمل أن يكون مجرد سائح يمر بالمكان. وتجهم وجهها قليلاً عندما مر ببالها أن قد يكون فى شهر العسل. ومن الغريب أن فكرة زواجها من (جراهام) والتى كانت قد قبلتها فعلاً فى وقت ما تسبب لها الآن نوبات من الفزع. كانت تعرف أن (لوك) هو الوحيد الذى يصلح لها. وأن ذراعى (لوك) هما فقط اللذان يرضيانها ويثيرانها.

بكر (لوك) و(فيليب) بالذهاب للمدينة. ووجدت (چوليا) نفسها تقود السيارة التى منحها إياها (لوك) وكان يركب معها (جوستين) و(لوسيل) و(ماريس). كان المدينة بأكملها تضج بالضوضاء والألوان البراقة والموسيقى. كان يوم أجازة وكان الجميع خارج منازلهم. إنتشر عازفو الجيتار من الفجر فى كل مكان يعزفون ويرقصون بينما راحوا يسددون عيونهم اللامعة الداكنه إلى الفتيات ليزيدوا من الاثارة.

وفى أماكن معينة تجمعت الخيول وتجارها. بدا كل شيء لامعاً مزيناً بالأوشمة وكانت الأجواء مليئة بالاثارة والترقب. جلس السياح فى شرفات المقاهى يرتشفون قهوتهم ويرقبون المارة من الفجر ذوى المظهر المتشرد أو أهالى البلد الذين اندفعوا إلى الشوارع فى أجازتهم. كان الجميع يترقبون

WWW.RAYTY.COM

الحدث الذى يميز ذلك اليوم: «الاستعراض».

وفجأة انطلقت صيحة قوية: «إنهم قادمون»

واندفع الجميع يصطفون على جانبى الشارع يتحرقون المشاهدة منظر بديع. وأمسكت (چوليا) أنفاسها فى شغف وقد أحكمت يدها على يد (چوستين) عندما أقبلت الثيران السوداء وهى تُقاد عبر الطريق..

كان الرعاه يشكلون هلالاً حولهم ومن الخلف ومن الجانبين وقد ركبوا خيول (كامارجو) البيضاء السريعة. كان مظهرهم صارماً جاداً. وقد مروا بسرعة كبيرة.

قالت (لوسيل) فى حماسة: «يجب عليهم توصيل الثيران إلى الحلبة بدون فقد أياً منهم».

صاحت (چوستين) وهى لا تتوقف عن القفز ودق الأرض بقدميها: «سوف يحاول الفتيان إيقافهم إنها لعبة عظيمة».

بدا (لچوليا) أن محاولة إيقاف هذا الحشد الهائج هى لعبة جنونية. ورأت (لوك) و(فيليب) على الجهة المقابلة بين راكبى الخيول وقد اكتست ملامحها بالجدية إلى أقصى الحدود. انضمت الجماهير المحتشدة يحاولون فى حيوية بذل أقصى ما فى وسعهم لإيقاف الثيران المندفعة لقد القوا فى طريقهم بكرات الزهور والعصى والألعاب النارية. وأخيراً فزعت (چوليا) عندما وجدت ثلاثة شبان يلقون بأنفسهم تحت الحوافر المعدنية محاولين الإمساك بأحد الثيران.

وعندما تعالت صيحات راكبى الخيول وجدت أنهم قد نجحوا فى إيقاف الثور. ورأت أحدهم يمسك بقرنيه وآخر يمسك بذيله بينما اعتلى ثالث ظهره. ورغم ذلك فقد كان الانتصار قصير الأجل إذ استطاع الحيوان الغاضب التخلص منهم. وتشتت الجمع الغفير يركضون إنقاذاً لحياتهم بينما أندفع الثور فى كل اتجاه طلباً للثأر.

وقد كان (لوك) هو الذى عاد إليه. كان يمسك رمحه بيده بينما شد قبعته جيداً يحتمى بها من الغبار وأشار للشبان لاهثى الأنفاس الذين كانوا

قد قاموا بهذا الفعل المستحيل ليتركوا له الأمر. كانت ابتسامته إشراقة رائعة لأسنانه البيضاء فى مقابل وجهه الداكن. ثم استخدم جواده فى براعه وأخذ يدور حول الثور يهدئه بصوته يخدره برمحه. وابتعد الثور. ومرة أخرى دب المرح بين الجموع الغفيرة.. ولم يحاولوا الإمساك به مرة أخرى. وانتهت اللعبة.

وبينما كانوا يخرجون من الشرفة التى احتموا بها مسحت (لوسيل) وجهها وهى تقول:

«عظيم. لقد كان استعراضاً رائعاً. لكن الأمر تطلب ثلاثة رجال للإمساك بالثور الواحد. لقد قال لى (لوك) هذا الصباح أن الثيران هذا العام أقوى من أى عام مضى. والآن دعونا نسرع إلى الحلبة لنأخذ أماكننا».

كانت (چوليا) لا تزال ترتجف مما رأته. واندهشت من تلذذ تلك السيدة الهادئة المنطوية واستمتاعها بتلك الأعمال الجنونية. كان لا يزال هناك المزيد. ولكن تفكيرها شرد فى حياة (كامارجو) وحياة (لوك).

وفجأة وجدت نفسها تضحك وهى تمسك بيد (چوستين) وتتأبط ذراع (لوسيل) بينما أسرعوا لمشاهدة الثيران وهى تأخذ بثأرها.

كان الباقون يجلسون فى مقاعدهم عندما أقبلت هى و(لوسيل) و(چوستين). وقال (فيليب) عندما رآها: «ما رأيك فى هذا أيتها الفتاة الانجليزية».

قالت بإبتسامة واسعة يبدو أنها أسعدته «جنون».

لم يقل (لوك) شيئاً. كانت (روزان) تجلس إلى يساره ولم تتكلف مجرد رفع عينيها. ولكن كانت عينا (لوك) تتابعان عينى (چوليا). ربت (لوك) بيده على المقعد المجاور له وقال (لچوليا) بهدوء: «اجلسى هنا» ولم تجد أى بديل سوى الامتثال والطاعة رغم أنها رأت (روزان) تتصلب وترمقها بنظرة باردة.

ورنت لها (ماريس) بنظرة مجفلة ثم صرفت بصرها بعيداً وقد ارتسمت

على شفتيها ابتسامة سعيدة.

وتركزت أنظار الجميع على الثيران. كان يُنادى على كل ثور بالاسم ثم يتحداه مجموعة من الشبان فى ثياب بيضاء. كانوا يجرون فى أركان الحلبة تفادياً للقرون الحادة. ويقتربون من الثور ويصلون للحلبة الوردية ثم يندفعون بعيداً سواء ظفروا بها أم لا هرباً من الثور الهائج الذى كان يحاول منعهم.

كانت خطواتهم رشيقة. وهى يجب أن تكون كذلك. كان بعضهم يضطر لوثب الحواجز وترك الحلبة تماماً بينما يندفع فى أثرهم ثور هائج. كما كان آخرون كثيرون ينجحون فى هـدفهم.

لكن أعظم الثيران كان (تامرلين) وهو ثور من مزرعة (لوك).

وأشار (فيليب) (للوك) قائلاً: «إنه الشيطان بعينه. لن يستطع أحد أن يهزمه. وسيكونون محظوظين إذا لم يصابوا بأذى كبير».

وقد حاول الشبان. ووجد اثنان منها نفسيها يطيران فى الهواء ويسقطان خارج الحواجز. ومن حسن حظها أنها سقطا خارج الحلبة. ولم ينجح أى فرد. كانت إثاره وحشية. وكان الخطر المتزايد لا يجلب شيئاً سوى المزيد من أفعال الجنون. وقفت (چوليا) بقلق تشارك باقى الجموع هتافاتهم.

وبينما كانت الجموع تهتف لآخر الثيران وهو يخرج من الحلبة قالت چوستين فى ثقة: «هذه هى النهاية»

ولكن كان هناك جوٌ من الترقب ألزم الناس مقاعدهم. ومرة أخرى تعالت الأصوات:

«تحدى».

وفتحت الأبواب مرة أخرى وخرج (تامرلين) إلى الحلبة وقد ارتفعت رأسه وانتفخ منخراه وبدا ثائراً أكثر مما كان. إنه البطل الأعظم. وبينما طاف بأرجاء الحلبة بدأت الجماهير تترنم قائلة:

«سانت ميتشاد.. سانت ميتشاد» وارتفعت صيحاتهم حتى بلغت

عنان السماء.

وتمتم «فيليب»: «يا إلهى.. لا يمكنك أن تقبل» ووضع يده على ذراع (لوك) الذى مال برأسه للأمام. وتابع (فيليب) قائلاً: «إنه قاتل.. هذا الثور.. أنت تعرفه» قال (لوك) فى ثبات: «لقد ربيته. وهم يتوقعون أن أستطع الحصول على الحلبة الوردية». وفزعت (چوليا) إذ وجدته ينهض وينحنى للجماهير المحتشدة. واتجه للحلبة وسط الهتافات التى زادت من هياج الثور.

ولو كان باستطاعتها أن تعبده لفعلت. كانت نظرة واحدة لوجوه عائلته كافية لتخبرها أن ذلك لم يكن شيئاً عادياً. كان الثور فى الحلبة مرة أخرى وقد انتصب منتصراً. كان ماهراً وغاضباً. وهو يعرف المتوقع الآن بالضبط. كان باستطاعتها أن ترى الرأس الضخم يستدير بينما يقلب قرونه البراقة على سبيل التجربة. خمدت أصوات الجماهير بينما قفز (لوك) إلى الحلبة).

كان درساً فى الأعصاب.. فى المهارة الحاذقة.. ورغم هلعها فقد كتمت (چوليا) أنفاسها وهى ترقب الموقف فى أفتتان تام. أخذ كل من الرجل والثور يدور حول الآخر. وبدا على الحيوان كأنه يدرك أن هذا شخصاً مختلفاً تماماً. كان (لوك) يتحرك بخفة كأنه قطة كبيرة. ولكن لم يبد أى محاولة لنزع الحلبة الوردية. كانت حركاته تدير الثور وتدفعه فى كافة الاتجاهات ويضطره إلى تحريك قدميه بطريقة معينة مثلما فعل عندما كان يمتطى جواده ويحاول الإمساك بالثور الذى أفلت من يد الشبان أثناء الاستعراض.

وبدا وكأنه ينومه مغناطيسياً ويروضه ويقيده بعينيه اللامعتين وبحركات جسده الرشيقة. وفجأة وقف كأنه مصارع للثيران. ورفع يده ببساطة. وقبل أن يأتى الثور بحركة كانت الحلبة قد انتقلت سليمة آمنة إلى يد (لوك) الذى جرى سريعاً إلى الحاجز وقفز إلى الأمان بينما بدا الحيوان كأنما انفجرت ثورته. واندفع فى جنون. ولكن كان ذلك متأخراً.

وارتسمت على وجه (لوك) ابتسامة واسعة. وأصاب الجموع الغفيرة مس من الجنون فتعالت هتافاتهم وتطايرت قبعاتهم فى الهواء جذلاً وسروراً بهذا الاستعراض للجرأة البالغة.

وهب (فيليب) يشاركهم الهتاف قائلاً: «رائع. إنه الأفضل وعندما يعتزل فسيكون هناك حداد عظيم حيث سيحزن عليه كل ثور كأنه واحد منهم».

وبينما كان (لوك) يعود لمقعده سمع آخر كلمات (فيليب) فقال: «ليس بعد. فالآن أنا واحد منهم» واستدار إلى (جوليت). وبنظرة متهكمة كرر ما قاله (فيليب) منذ قليل: «ما رأيك فى هذا أيتها الفتاة الانجليزية»؟

قالت بهدوء وهى تعرف أن كل عواطفها تجمعت فى عينيها: «لقد كان جنوناً خطراً ورائعاً».

قال بصوت رقيق: «ومقابل هذه الكلمات ستصبحين اليوم ملكة بدلاً من أميرة». وأمام الجميع قدم لها الحلية الوردية وأحاط بها معصمها. وصفقت (جوسنين) فى طرب وهى تصيح: «إنه يدعوك للرقص» ثم أضافت فى مرح عظيم: «ولا يمكنك أن ترفضى.. فستكون إهانة.. أليس كذلك يا (فيليب)؟

إتسعت عينا (فيليب) وهو ينقل بصره مابين وجه (لوك) الداكن ووجه جوليا المتورد ثم قال: «إهانة نادرة حقاً. فهو لم يحاول فعل ذلك من قبل».

وقالت (جوليا) فى وقار: «ولذلك فلن أرفض. وسأتحمل فى جلد»

وانفجر الجميع ضحكاً وشاركهم (لوك) ولكن (روزان) لم تفعل. وامتلأت عيناها بالغضب وهى تنظر (لجوليا). واشتدت يدها على ذراع (لوك) بنزعة امتلاكية واضحة لإنسانة تعودت أن تنال كل ماتريد.

وبعد قليل كان هناك سباقاً كبير فى الشوارع عندما تنافس الرعاة للوصول إلى نقطة الفوز والظفر بالكأس الفضى لذلك العام.

وعندما تسلل الظلام يغطى «كامارجو» عاد أهل «مانادرى ميتشاد» إلى الفندق لتبديل ملابسهم استعداداً للذهاب بالرقص. ثم ارسال (جوسنين) إلى فراشها وأعلنت (لوسيل) أنها ستبقى معها حيث أنها تشعر هى الأخرى بالارهاق الشديد.

كانت الإثارة لاتزال تخيم على المكان عندما ذهبت (جوليا) مؤخراً مع (ماريس) لتحلقا بالآخرين. تمت إنارة الميدان الرئيسى بالمصابيح حيث سيقام الرقص. كان الليل دافئاً بعض الشىء. وكان فستانها الحريرى يحف بساقيها أثناء سيرها مع (ماريس).

كالعادة.. كانت (روزان) قد سبقتهم. يجب على (جوليا) أن تعترف بأنها بدت رائعة الجمال. كانت تتشبث بذراع (لوك) وكأنما كان ابتعاده عنها هو نهايتها. وتمنت (جوليا) ألا يكون ماوقع فى الحلبة قد حدث. بقدر ماتتمنى أن تكون بين ذراعى (لوك) بقدر ما كانت ترهب هذا الموقف. إنه بذكرها بنواياه التى تبدو فى هذا الظلام حقيقية مرة أخرى. كان الجميع يتوقعون وجوده هنا مع (روزان). إن زواجهما متوقع على مدى أعوام مرت.

كان الرجال يرتدون قمصاناً وسراويلاً فضفاضة وكان (فيليب) معهم. وعندما أقبل أحد الرعاه الشبان يدعو (ماريس) للرقص لم يبد على (لوك) أى بادره للضيق. يبدو أن الراعى يمكن الثقة به على عكس ذلك الرجل الذى يعمل معها فى البنك. لم يكن لديها أدنى شك أن (لوك) يعرف تماماً مايفعله.

وفجأة استدار لها بعد أن حرر ذراعه بهدوء من ذراع (روزان). وأحنى لها رأسه بطريقته الساخرة المعتادة وقال بلجهة قاطعة: «أنت مدعوة لهذه السهرة. وقد بدأ الرقص. وفى هذه الليلة ياآنسة.. أنت لى».

كانت تنوى الرفض فقد استعرت غيرتها مرة أخرى عند رؤيته هو و(روزان). ولكن عيناه تعلقت بعينيها بنظرة كأنها تنويم مغناطيسى. ولم

تستطع عمل شيء سوى أن تنظر إليه.

قال (روزان) بضحكة صغيرة جافة: «بالتأكيد أنك لم تقصد ذلك على الاطلاق يا (لوك)».

وأمتدت يده وهو يقول برقة: «ولكننى فعلت.. (چوليا) تعرف أننى فعلت»

وللحظة كانت نظرة عينيه تبدو ساخرة. ولم يكن لديها أدنى شك فى أن يفكر فى كلماته «إذا وصلت إليك فسوف تأتين لى». ونظرت له ثم وضعت يدها فى يده.

قال (فيليب) (لروزان): «يجب عليك أن تفعلى ذلك معى» وبدت كلماته كأنها على سبيل الترضية ولكن (چوليا) لم تنظر إلى رد فعل الفتاة. وجذبها (لوك) إلى ذراعيه مباشرة وهو يبتسم لها. وبدءا الرقص. وكالعادة تركت قلبها يثب إلى رأسها.

كان سهلاً أن تنسى كل شيء. وكان ذلك هو كل ماتريده. شعرت برأسها تدور. كانت على استعداد لتحيا هذه الليلة كأنها آخر لياليها على الأرض. ولم تر شيئاً سوى الرأس الداكن وهو ينحنى على رأسها. ولم تشعر بشيء سوى الذراعين القويين يقربانها منه. فى بعض الأحيان كانا يأتيان إلى بؤرة الضوء. وفى أحيان أخرى ينسحبان إلى الأضواء الخافتة فى جوانب الميدان. لم يتخل عنها (لوك) مطلقاً بينما كان كل رفيقين يتبدلان ويتخذ كل منهما رفيقاً آخر. اختلطت أصوات الضحكات والموسيقى. ولكن طوال الوقت كانا كأنهما فى عالم خاص بهما.

وعندما توقفت الموسيقى أخيراً لاستراحة قصيرة وقفت (چوليا) منبهرة غير مصدقة. انعكس ذهولها على وجه (لوك) الداكن وهو ينظر إليها مبتسماً ثم قادها إلى جانب الميدان. وقال فى صوت عذب: «سوف أحضر مشروباً لنا. ابق كما أنت تماماً. ففى هذا الحشد سيأخذ الأمر منى بعض الوقت لكى أعثر عليك»

أحست قلقاً لامبرر له. فلم يكن باستطاعته إنسان أن يفرقها عن

(لوك) طالما أنه يريدها. وتابعته بعينيها بينما كان يسير عبر الميدان.. داكناً.. رشيقاً. بإستطاعتها أن ترقبه طوال اليوم بلا كلل. كان هناك شيئاً ما يلوح بينها وبين (لوك). وتفجرت ينابيع الاثارة بداخلها.

وفجأة. كان هناك من ينادبها: «چوليا» وامتدت يد تمسك بذراعها ولكنها لم تكن يد (لوك). وفغرت فمها فى بلاهة. كانت يد (جراهام) الذى تابع يقول: «يا إلهى. إننى أحاول طوال اليوم أن أجدك. لقد رأيتك فى حلبة الثيران. ولكنك لم تنظرى باتجاهى على الإطلاق. ولم أستطع اللحاق بك عند انصرافك. فلو لم تكونى هنا الليلة فلا اعتقد أننى كنت سأجدك».

حملقت فيه (چوليا). كان يبدو كأنه شخصاً قادماً من الزمن الغابر. يكاد يكون غير معروف لها ولا يهمها اطلاقاً. كانت قد نسيت تماماً أنها رأته بالأمس. وبدون أن تعى امتدت أصابعها تنزع يده وسألته بحدة:

«ماذا تفعل هنا؟ ماذا تريد»

كانت تنظر له فى فزع.. وكانت تشعر بالامتنان لضعف الأضواء فى هذا المكان.. وفى استراحة الفرقة الموسيقية كانت تدوى بالميدان أصوات موسيقى الفلامنكو. والرنات المنتظمة «لصنج» الفجر أثناء رقصهم.

قال (جراهام): تعالى نخرج من هذه الضوضاء اللعينة».

وجذبها خارج الميدان إلى ظلام الشارع. وفجأة تنبهت وكأنما عادت إلى الحياة وصاحت:

«ماذا تفعل هنا؟ أنا لاأريد رؤيتك»

لقد أمرها (لوك) بالبقاء فى مكانها ولكن (جراهام) حركها بعيداً. وقاومته (چوليا) وهى ترمقه بنظراتها. ودهشت عندما وجدته يهزها وقد امتلأ وجهه بالضيق والغضب.

وصاح فى غضب «أفيقى يا (چوليا). إننى أطوف بهذه المدينة على مدى يومين بحثاً عنك. كنت أعرف أنه لا فائدة من ذهابى إلى المزرعة.

لقد استقر رأيك. أليس كذلك؟ لقد استقر على المجيء إلى هنا مع هذا الرجل والعمل حاضنة أطفال»

وقاومته (چوليا) فى عنف وهى تقول: «دعنى أذهب»

ولكنها جذبها بين ذراعيه بوحشية. وقال بلهجة قاطعة: «لقد أتيت لأجلك يا (چوليا). لقد كان كل ما حدث خطأ. (چلوريا) لم تكن مثلك. ولا يوجد أحد مثلك. لقد قلت لها أننى لازلت أحبك. إننا نلائم بعضنا يا (چوليا) كعادتنا دائماً.

قالت (چوليا): «أنا لست كذلك. لن أعود. أنا لا أريد أن أكون معك».

قال: «أنا أعرف ذلك ولكننى لن أدعك تفسدين حياتنا»

وفزعت عندما وجدته يثنى رأسه يقبلها. كان يقبض عليها فى قسوة وأحباط تام. كانت شفتاه ملتهبة وعنيفة. وضغطت قوته رأسها للخلف مقابل ذراعه. وانفجر خلالها إلم رهيب. ليس لأنها كانت تخشى من جراهام فى هذه المدينة حيث يحيط بهم الناس ولكن فكرة وجود شفاه أخرى غير شفاه لوك على شفتيها كانت شيئاً يدعو للضيق والامتعاض إلى حد الاشمئزاز.

كانت أضعف من أن تتحرك. رفع رأسه منتصراً دون أن يلقى بالاً إلى إذا ما كانت قد أوذيت أم لا. وفتحت (چوليا) عينيها لترى (لوك) واقفاً على بعد خطوات قليلة وقد أمسك بكوبين فى يده. كان وجهه جامداً وبارداً. وكل ما استطاعته أنها أخذت تحملق فيه وهى ترى الأمور من وجهه نظره. ولم تستطع أن تنطق بأى كلمة تدافع بها عن نفسها.

فتح (لوك) أصابعه ليدع الكوبين يسقطان على الأرض. لم يبال بصوت تطاير الشظايا عندما تحطما على أرضية الشارع المظلم. وتقدم باتجاهها وقد ملأ الشر عينيه.

لم يكن (جراهام) يدر على الاطلاق بما حدث. كان يغمره سرور وحشى لقدرته على أخضاع (چوليا). وفجأة أدير حول نفسه. وكانت

قبضة (لوك) تحطم فكه وهى تحمل كل قوة وغضب الجسد القوى الذى انطلقت منه. تكوم (جراهام) على الأرض. واستدار (لوك) وترك الميدان دون أدنى إلتفاته.

وتعالت الصيحات: «يا إلهى.. ماهذا؟.. ماذا حدث؟»

وفجأة ظهر (فيليب) وامتدت ذراعه حول (چوليا) التى كانت لا تزال تقف ذاهلة وكل ما استطاعته أنها كانت تهز رأسها فى بلاهه.

وسألها (فيليب) بإلحاح: «من يكون هذا الرجل؟ ليس من المحتمل أن يهاجم لوك أى إنسان بدون سبب قوى»

قالت (چوليا) بذهول: «لقد عرفته فى انجلترا. وقد اعتقد (لوك).. اعتقد أن...»

قال (فيليب) بسرعة «اتبعيه.... وضحى له»

قالت (چوليا) فى بؤس: كيف يمكننى إنه غاضب جداً ولم يصدقنى على الاطلاق).

وصاح (فيليب) بلهجة غاضبة: «لم يصدقك مادمت لم توضحى له أبداً. لقد خصك أنت بالرقص. ثم ها هو يجد نفسه يواجه هذا الموقف. ألا ترين ما يعنيه كل ذلك له؟ إنه رجل عزيز النفس وأنا أعرفه. وضحى له الآن وإلا فإنك لن تجدى فرصة أخرى على الاطلاق لعمل ذلك».

قالت: (چوليا): «إنه لن يصدق إطلاقاً».

قال (فيليب): «إذن من الأفضل أن نرى إذا ما كان سيفعل ذلك» ثم أضاف عندما رأى (جراهام) يبدأ فى التحرك وهو يتأوه: «سوف اعتنى بهذا الرجل القريب المظهر»

ألقت (چوليا) نظرة مشمئزة على (جراهام) ثم انطلقت تعدو. كانت لديه فكرة طيبة عن المكان الذى قد يذهب له (لوك). إنه سيعود إلى منزله الخاص بعيداً عن كل إنسان. ولم تكن متأكدة على الإطلاق أنها ستعرف طريقها إلى هناك وخاصة فى الظلام.

لم يكن (لوك) قد أوقف سيارته فى المكان المخصص مثلما فعلت

(چوليا). ورغم ذلك فقد رأته بينما كانت تعد خارجة من الميدان. كان يستدير بسيارته اللاندروفر من شارع جانبى إلى الطريق الرئيسى. لم تكن اللاندروفر قد اكتسبت سرعة كبيرة. وقفت (چوليا) حيث يمكنه أن يراها وهى تسد طريقه فى حزم.

وتوقف لكن كان من الواضح عدم وجود أى نية لديه للحديث. التصقت (چوليا) بالنافذة المفتوحة ووقفت تنظر إلى وجهه الجامد ثم قالت:

«(لوك).. لماذا انصرفت بهذه الطريقة؟» كانت لاهثة الأنفاس من أثر المسافة التى قطعتها عدواً.. وبينما كانت تستند على اللاندروفر المتربه لم تكن تدرى هل يمكن أن ينطلق بها ويطرحها أرضاً..

وأنفجر دون أن ينظر لها: «هل كان يجب على الانتظار حتى تنالين عدداً كافياً من القبلات من خطيبك؟ هل كان دورى سيأتى بعد ذلك يا آنسة».

كانت السخرية هى آخر شىء تريده فى هذه اللحظة. واستشاطت غضباً وهى تقول:

«جراهام اومز» ليس خطيبى وقد مضى على انفصالنا وقت طويل كما تعلم جيداً»

قال بحده وهو يحملق فيها بعينين ضيقتين: «ولذلك فأنا أفهم. عندما أجدك على الرغم من ذلك تكتبين له وتوجهين له الدعوة للحضور إلى (كامارجو) وترتبين لمقابلته فإننى أبدأ الشك فى معتقداتى»

صاحت (چوليا): أنا لم أوجه له الدعوة للحضور إلى هنا. إن مفاجأتك بذلك ليست أكبر من مفاجأتى. لابد أن حصل على عنوانى من (جين نود) الممرضة بالمستشفى.. لقد.. لقد أنقض على».

قال فى استهجان: «وقد كنت أكثر من راغبة» وأشاع بوجهه وأدار المحرك.

قالت (چوليا) بهدوء: لم أكن.. لم أكن راغبة على الاطلاق. لقد سبب لى الأذى.. ولكنى لا أفترض أنك ترى الأمور تستحق كل ذلك» وتحدث انفعالاتها فى بؤس عندما أدركت أن مافعله لم يكن سوى كبرياء الرجل والغرور المحطم. وقالت: «أنا لست من أهل «كامارجو» كما قلت أنت أكثر من مرة. إن بإمكانى أن أدخل نفسى وأخرجها من مشاكلى الخاصة. كل ما يهمك أن ماركيز دى سانت ميتشاد ربما يكون قد شوهد توجه له أهانة. إن مفهومك للشرف غريب جداً يا سيدى. فى انجلترا كنت أتوقع أن يتم إنقاذى وليس تعنيفى».

واستدارت متبعدة وقد أقلعت عن أى فكرة للتوسل إليه. كانت تريد أن تذهب بعيداً.. إلى أى مكان.. بعيداً عن مواجهة نظرته الغاضبة وكتفيه الجامدين وهو يضق عليها بالعفو، ثم ما الذى فعلته يحتاج للعفو سوى أنها تحبه بينما ليس لها حق فى ذلك؛ أمتلأت عيناها بالدموع. ما الذى كانت تفعله هنا؟ تجرى خلف (لوك)؟ إنه يريدها ولكن هناك (روزان). ولم ينكر ذلك على الإطلاق. إن اللقب والأرض عميقان فى دق. وهى ليست من أهل (كامارجو). لقد قال لها ذلك أكثر من مرة.. فى الغد لابد أن تعود لوطنها. إلى والدها.

ابتعد (لوك) بدون أدنى التفاته. وأعترفت بأن هذه كانت نهاية وقتها معه. وسوف تشرح الأمور (لجوستين). لقد مضى وقت طويل دون أن تشعر بإرتباط حقيقى بمشاكل (جوستين). وإلى أقصى حد فقد أصبحت (جوستين) مستقرة على عائلتها. وهذا هو وقت عودتها هى لعائلتها.

عندما وصلت الفندق بدا أن (فيليب) قد أوقظ الجميع. وبدأ يساعدهم على ركوب السيارات. ولمعت عيناه وهو ينظر إلى وجهها ويلمح خيبة الأمل التى لم تستطع إخفاءها.

قال بهدوء: «سوف أعود بك للمنزل.. وستأخذ «ماريس» سيارتك. لاتنزعجى كثيراً يا (چوليا). ففى الغد سيرى (لوك) أن كل ما حدث ليس من الانصاف فى شىء. إن له مزاج ثور ولكنه لا يدوم

طويلاً».

فى الغد ستكون قد رحلت. وأومأت (چوليا) ثم جلست فى صمت مرهق طوال مدة السفر. وعند وصولهم كانت (جوستين) لا تزال نائمة فحملها (فيليب) إلى فراشها. ونظرت لها (چوليا) عبر الباب وهى تعرف أن عليها فى الغد أن تربط على قلبها ضد أى دموع حتى تعلن (جوستين) بقرارها.

وبدأ ضوء الفجر يزغ على (كامارجو). وكانت (چوليا) تعلم أنها لن تستطيع النوم. وأعدت حقائبها ثم رقدت تستريح لبضع ساعات وقد ملأ وجه (لوك) الغاض كل تفكيرها لم تستطع رؤية أى شىء سوى الظلام من حولها. لقد أصابها الأذى مرى آخرى. إن مصائرها تستدعيها دائماً. عندما أعطت الحب فدائماً كانت تعطيه بعمق شديد. لكنها الآن تعلم أن لن يكون هناك حب آخر. لقد انتهى مع (لوك).

نهضت من فراشها فى السابعة. وتناولت إفطارها مع العائلة ثم قدمت إيضاحاتها. وأخذتهم الدهشة لقرارها المفاجىء بالرحيل. كان (فيليب) هو الوحيد الذى يعرف سبب الحاحها على العودة لوطنها.

قالت (ماريس) وقد ملأت الدموع عينيها: «أيا كان فعلته فسوف يتجاوز عنه (لوك). فغالباً ما يكون غاضباً ولكن لا يكون جائراً أبداً».

قال (فيليب) بهدوء: «أنا لا أعتقد أن (چوليا) تحتاج عفواً». إنها لم تفعل أى خطأ. ومنذ جاءت إلى هنا كانت ومازالت تقدم لنا جميعاً رقتها وعطفها. إنه شىء خاص يا (ماريس) ويجب أن يترك لها وحدها».

كان يبدو مثل (لوك) بكلماته هذه. وشكرته (چوليا) ثم صعدت إلى الطابق العلوى. كانت جوستين قد استيقظت ولكنها لم تزل فى فراشها. يجب مواجهة الأمر. وقد يكون من الأفضل أن يتم الآن.

وعندما أوضحت (چوليا) أنها يجب أن تعود لانجلترا بكت (جوستين) وهى تقول: «كيف يمكنك أن تتركيننا؟ لا يمكننى الاستمرار بدونك. وماذا سيفعل عمى (لوك)؟ هو أيضاً لا يمكنه الاستمرار بدونك».

قالت (چوليا) فى صوت عذب: «يجب أن أعود إلى عملى. وأبى أيضاً يحتاجنى. وأنت أفضل جداً الآن يا عزيزتى. لا تنس أن والدى يفتقدنى. لقد كنت هنا مؤقتة. وأنت تعرفين ذلك».

قالت (جوستين) باكية: «ماذا أفعل إذن إذا اكتشف عمى (لوك) أننى أعرف أن موتهم كان ذنبى؟. لا يمكننى مواجهته عندئذ».

قالت (چوليا) بثبات: «لم يكن ذنبك. لقد كانت حادثة»

قالت (جوستين) بصوت منكسر: «لم تكن» وارتفع صوتها وهى تتابع: «لقد جذبت أمى عجلة القيادة. محاوله تقليل السرعة. لقد حاولت أخذ السيارة منه. كان أبى مصدوماً وممتلئاً بالغضب بعد أن أخبرته بأن عمى (لوك) هو والدى الحقيقى. ماذا يمكننى أن أفعل عندما يكتشف عمى (لوك) أننى أعرف؟»

ألجمت المفاجأة لسان (چوليا). وتذكرت كل النظرات التى كانت توجهها (جوستين) إلى (لوك). وتذكرت القلق الذى كان يملأ وجهها إلى أن تسمعه يتحدث. وعرفت أن سرها لا يزال آمناً فكان القرار اللاإرادى بالاختباء وراء الصمت حيث لم يكن هناك مكان آخر للاختباء.

قالت (چوليا) بلهجة حادة: (أنصتى لى يا جوستين). وقبضت بيديها على كتفيها الرقيقين ثم رفعت رأسها لتنظر إلى عينيها وقالت: «لقد استمعت إلى مشاجرة... مشاجرة بين الكبار. ومن عادة الكبار عندما يغضبون أن يقولوا: أشياء ليؤذوا بعضهم البعض بها بينما هم يعنون ما يقولون على الإطلاق. إذا كانت والدتك قالت ذلك فقد قالته لإحداث الأذى لأنها كانت غاضبة. أليس كذلك؟

تساءلت (جوستين): «إنك لا تعرفيهم؟ فكيف يمكنك القول بأنه لم يكن حقيقى؟»

قالت (چوليا): «أنا لا أعرفهم ولكننى أعرف عمك (لوك). إنه رجل عظيم شريف. وأكثر من ذلك فقد كان يحب والدك مثلما يحبك. يجب ألا تسببى له الأذى بأن تقولى له أشياء ليست حقيقية».

أومأت (جوستين) فى صمت وقد بدأ التوتر يتلاشى من كتفيها الناحلين. ثم تركزت عيناها الصغيرتان على وجه (چوليا) وهى تقول: «سوف يؤذى عندما ترحلين».

قالت (چوليا): «كلا. فأنت لديه. ولديه عائلته وأرضه. وكلكم كامارجويين. أنا انجليزية وأحتاج لوطنى وأهلى. ويوماً ما عزيزتى سوف أعود لأراك. وربما يسمح عمك (لوك) ذات يوم بأن تأتى لتقيمى معى» ثم طبعت قبلة على الوجه الرقيق المبلل بالدموع وتابعت قائلة: «بإمكانك أن تُسعدى كل فرد بما تفعلين. وكلنا علينا هذا الواجب».

وسارت (چوليا) إلى الباب لتخرج قبل أن تخونها عزيمتها. وكادت تصطدم (بلوسيل). التى كانت تقف خارج الباب مباشرة.

وإندفعت (لوسيل) قائلة: «إن ليس صحيحاً يا (چوليا). إن (جوستين) ابنة (جوليس). لقد كانت (دايرورى) دائماً متبلدة ومؤذية. وحاولنا أن ننبه (جوليس) قبل الزفاف ولكنها كانت جميلة وعنيدة. إن (لوك) فقط هو الذى يناسب واحدة مثلها. ومن البداية لم يكن لديها أى حب تجاه (جوستين). وأنا أشك فى أنها أحبت أى إنسان على مدى حياتها. وأياً كان ما قالته فى تلك الليلة فهو لم يكن صحيحاً. كان (لوك) دائم الابتعاد عنها. كان يكرهها دائماً وقد أظهر ذلك أكثر مما كان يخفيه».

قالت (چوليا) فى صوت رقيق: «لست مضطرة لأن تقولى ذلك يا (لوسيل). أنا أعرف أنه لا يمكن أن يكون حقيقياً. إن (لوك) شخص خاص جداً. ولا يستطيع مطلقاً عمل أى شىء ليؤذى أياً منكم. وعلى الرغم مما قالته (جوستين) الآن فأعتقد أنها ستنساه بعد فترة من الوقت. وهكذا يمكننى — كما ترين — العودة لوطنى فى اطمئنان وتركها لكم»

هبطت إلى الطابق الأرضى لتجمع حقائبها. وقال فيليب بصوت حزين: «أنا لا أرى داعياً لذلك ولكن حيث أنك قد عقدت العزم فسوف أصحبك إلى مرسيليا. وسوف أصحبك إلى المطار».

جلسا صامتين طوال الطريق. كانت (چوليا) ساكنة كأنها تمثال بارد من الثلج رغم الشمس الملتهبة. كان وجه (لوك) يتراءى أمامها ذهب لامع فى زرقة السماء.

من الثلج رغم الشمس الملتهبة. كان وجه (لوك) يتراءى أمامها كما لو كان موجوداً.

وفجأة أنهار تماسكها الثلجى وغامت عيناها بالدموع عندما رأت طيور البشروس تنطلق محلقه كأنها ذهب لامع فى زرقة السماء.

وتمتمت: «وداعاً». لم تكن تقول وداعاً لجمال الطيور فقط. وإنما كانت صرخة من قلبها لهذه الأرض. هذه الأرض الغريبة التى لن ترها مرة أخرى على الإطلاق. وداع أخير (للوك).

عند وصولهم إلى المطار كانت تمر بها لحظات تشعر فيها أنها ممزقة بين رغبتها فى الرحيل فى الحال للعودة إلى والدها واجترار الأحزان فى صمت على (لوك) وبين رغبتها فى البقاء والعودة بحثاً عنه. كان (فيليب) متجهاً صامتاً وقد أمسك ذراعها بيده واختفت روحه الساخرة المغازلة. إنه يعرف ما تشعر به ولم يكن لديها شك فى ذلك للحظة.

واستدارت لتقول له: «وداعاً» ولكن أجفلت عيونها عندما نودى على أسمها فى مكبرات الصوت: «فلتتفضل الممرضة (چوليا ردفورد) بالحضور إلى التليفون». ثم تكرار النداء قبل أن يفق أى منها. كان (فيليب) أهدأ منها أعصاباً. نظر لوجهها المضطرب ثم قال مؤكداً بسرعة: «لا يمكن أن يكون شيئاً خطيراً. لقد مضى وقت قصير على مغادرتنا. وربما تكونين قد نسيت شيئاً ما».

إنها لم تنس شيئاً. إنها تعرف ذلك. وارتعدت يدها عندما تناولت سماعة التليفون. كانت المتحدثة هى (ماريس): «(چوليا).. (چوليا)» يجب أن تعودى فى الحال. إن جوستين لا تستطع الكلام. وهى مذعورة وفى حالة شبه هستيرية. لقد وصل (لوك) ولكننا لا نستطيع

عمل أى شىء. لقد أخبرناه برحيلك فطلب أن نتصل بالمطار لإيقافك. يجب أن تعودى يا (چوليا). لقد قال (لوك) أنه لا يوجد من يستطيع تقديم المساعدة سواك»

وأخبرت (فيليب). واختفى تعبير الأسى من عينيها عندما رأت تعبير وجهه. كان يتردد ما بين القلق والسرور. من الواضح أنه مثل (لوك).. يعتقد أن وجودها الدائم سيبقى (جوستين) طبيعية. ومثل (لوك) أيضاً.. تجاهل مشاعرها الخاصة.

وعندما رأى وجهها المتحجر سألها ببعض الخضوع: «هل ستعودين»؟

قالت فى حدة: «اوه.. من الطبيعى أن أعود. ولكن هذه المرة يجب على الآنسة (جوستين) أن تقدم بعض الإيضاحات».

قال (فيليب) مندهشاً: «لكن من الواضح أنها مريضة» وتركزت عيناه على وجهها الصارم.

قالت (چوليا): «لا أعتقد ذلك». كان هذا هو كل ما قالته عندما تركا المبنى وعادا إلى السيارة. كانت ستفاجأ جداً إذا لم تجد (جوستين) فى صحة جيدة. إنها تعرف أن فعلته (جوستين) كان قراراً محدداً بالتزام الصمت. وكانت توجد قبله صدمة تكمن وراء وجهها الجامد وشفتيها المغلقتين. أما الآن فإنه تصميم قوى على التمسك بصدقيتها. نعم إن الآنسة (جوستين) يجب أن تقدم بعض التفسيرات لما تفعله.

الفصل العاشر

عند عودتها وجدا سيارة (لوك) اللاندروفر خارج المنزل وكان ذلك أغلب ظن (چوليا). فلم يكن (لوك) ليترك (جوستين) مدة طويلة ما دامت قد تعرضت للمتاعب مرة أخرى. عندما توقف فيليب بالسيارة هرعت إليهم (لوسيل) بقلق وعندما رأت (چوليا) أشرق وجهها بالأرتياح.

قبضت يداها على يدى (چوليا) وهى تقول: «لقد أعتقدت أننا قد نكون تأخرنا كثيراً بحيث لا يمكننا اللحاق بك. لقد اتصلت بك (ماريس) تليفونياً قبل أن تذهب لعملها. ماذا سنفعل مع الطفلة يا (چوليا)؟ إنها بحجرتها وقد التزمت الصمت التام.

أبتسمت (چوليا) تطمئن (لوسيل) وقالت: «سوف أصعد إليها» ثم سألت بهدوء: «أين لوك»؟

قالت (لوسيل) بقلق: «إنه مع (جوستين) ولكن بقدر ما يمكننى قوله فهى تتجاهله»

قالت (چوليا): «نعم. لابد أن تكون كذلك» ثم تقدمت وصعدت إلى الطابق العلوى. كان وجهها متجهاً وبدت نظرتها تنذر بالشر لمن يراها. وكانت هذه النظرة لاتزال موجودة عندما فتحت باب (جوستين).

كان (لوك) يجلس أمام النافذة وأدركت على الفور أنه رأى وصولها. والتقت عيناه بعينيها ولكنها أشاحت ببصرها بعيداً. يجب أن تحصن نفسها ضده وضد الطفلة التى ابتدعت حيلة تستبقيها بها عندما تحاول الرحيل. كان يجب أيضاً أن تحصن نفسها ضد انكسار قلبها مع (لوك).

كانت جوستين لاتزال فى فراشها وبدا (لچوليا) أنها لم تغادر الفراش منذ الصباح. وأشرق وجهها بالسعادة عندما رأت (چوليا) ولكن تعبيرها

بقى حذراً عندما وجدت (چوليا) تنظر إليها بشفتين مغلقتين بإحكام وعينين قاسيتين.

لم تكن صديقه الآن عندما أقتربت من الفراش. كانت الممرضة (ردفورد) ولا شيء آخر وتناولت المعصم الصغير ونظرت فى ساعتها تفحص نبض (جوستين). لم تكن تتوقع أن تفعل شيئاً سوى أعادة الطفلة إلى حواسها بهذه الحركة التى كانت ستذكرها بالماضى. وكما توقعت فقد كان النبض سريعاً قلقاً.

قالت (چوليا) بهدوء: «نعم.. أعتقد أنك يجب أن تبقين بالفراش يا (جوستين). وحيث أنك لا تستطيعين الكلام مرة أخرى فقد يكون ضرورياً إدخالك إلى أحد المستشفيات ولكن سيكون بالطبع فى فرنسا. فلم يسمح لك بالذهاب إلى مستشفى مرتين فى انجلترا. سوف أحاول أن أنهى ترتيبا فى ذلك قبل عودتى لوطنى».

سألت (جوستين) بسرعة: «الازلت سترحلين؟ وسوف تتركيننى؟» وسمعت (چوليا) زفرة (لوك) الغاضبة. وهى تدرك جيداً أنه فوجىء بموقفها الصلب ولكن حيث أن (جوستين) تحدثت بهذه السرعة فربما أحس بأنه يفهم أبنة أخيه أكثر من أى وقت مضى.

قالت (چوليا) بصوت قوى: «نعم.. سوف أذهب.. فهناك بنات أخريات فى حاجة لى. وفى الحقيقة فأنت لم تكونى بحاجة لى لوقت طويل. لكنى أعتقدت أننى صديقة».

قالت (جوستين) بصوت باك: «أنتى صديقتى.. أنت أفضل صديقه لى» وانتفضت (جوستين) من فراشها فى انفعال فأخذت (چوليا) بيدها وأجلستها على ساقيها وهى توجه لها نظرة لوم قائلة:

«ألا زلت لا تردين فى ازعاجى وازعاج عمك (لوك) وجدتك (لوسيل) و(ماريس) و(فيليب). أنت تفكرين فى نفسك فقط وليس فى كل الناس الذين يحبونك»

امتلأت عينا (جوستين) بالدموع وغمغمت قائلة: «أنا أريدك أن تبقى».

قالت (چوليا) فى صوت ناعم: «لكننى بحاجة لأن أذهب. أنا ممرضة ولا يوجد هنا الآن من يحتاج إلى تمريض لا يوجد أى إنسان يحتاجنى فعلاً. فى انجلترا هناك الكثيرون بحاجة لى ولن تجدى أى حيلة لإبقائى هنا. إن الحيل لن تأتى بنتيجة سوى أن تجعلنى غير سعيدة وقلقة. أننى أريد أن أكون صديقتك للأبد يا (جوستين) ولكنك يجب أن تعطى مثلما تأخذين»

وفجأة كان الذراعان الصغيران يطوقان عنقها وأخذت (جوستين) تنحب فى صمت بينما ضمتها (چوليا) بين ذراعيها. ثم قالت بهدوء: «أما الآن فإننى سأبقى حتى الغد. فلترتدى ملابسك ولتذهبى لجدتك وتطلبى منها ألا تقلق. وضحى لها الأمور وسوف يسير كل شيء على ما يرام.

وقبلت الوجنة الصغيرة ثم وضعتها على فراشها ونهضت وهى تتجنب عينى (لوك). وبقى (لوك) بالحجرة لينحدث إلى (جوستين) وعندما خرج كانت (چوليا) قد هبطت للطابق السفلى تشرح (للوسيل) وفيليب أنه لا يوجد أى داعى للقلق على الإطلاق.

وفجأة قال (لوك): «أنا أريد التحدث معك» وامتدت يده إلى ذراعها وبينما اعتقدت أنه سيقودها إلى حجرته وجدته يقودها إلى خارج المنزل مباشرة حيث تقف سيارته اللاندروفر. وأركبها السيارة ثم انطلق بها بدون أى تعليق أو تفسير على الإطلاق.

قالت (چوليا) بإقتضاب: «يجب أن أكون هناك مع (جوستين). لابد أن أكون معها لأساعدها على اجتياز هذه المشكلة البسيطة» كان قلبها يدق بسرعة اللاندروفر عندما استدار متوجهاً لمنزله الخاص.

قال (لوك) وقد تجهم وجهه: «لقد أظهرت قدرتها على التعامل مع الكبار. لقد كنت أنت الشخص الوحيد الذى لم تنطل عليه حيلها تماماً. إنها يمكن أن تتجاوز مشاكلها بنفسها خلال ساعة أو ساعتين. إن مشاكلى تلم بى فى هذه اللحظة. ولمرة واحدة فى حياتى أريد أن أكون أنانياً تماماً».

قالت (چوليا) بصوت حاد قاس: «ليس معى. أنا لست أكثر من

زائره. وسأمضى الليلة كضيفة (للوسيل) ثم أعود لوطنى».

قال (لوك) مؤكداً فى إيجاز: «أنا لم أحاول إيقافك على مدى وقت طويل» ثم تابع قائلاً: «لقد قطعت كل الطريق من مرسيليا لتعودى من أجل (جوستين). أفلا يمكنك إضاعة دقائق قليلة من أجلى».

أومأت برأسها بينماوجه لها نظرات خاطفة حادة ولكنها كانت متوترة داخلياً وكل أعصابها على وشك الانفجار. لقد كان بإمكانه تماماً أن يتحدث مع فى (ماناد دى ميتشاد) إذا ما كان يود الحديث فى أمر يتعلق (بجوستين). إذن فلماذا يتجهان بمثل هذه السرعة إلى ضيعته الخاصة؟

لاشك أنها كانت تكاد تكتشف السبب. لقد كان التصميم واضحاً على وجه (لوك) وأدركت أن من الأفضل ألا تتحدى ذلك الرجل القوى المتوتر. أوقف السيارة الثقيلة أمام المنزل ثم استدار بعد نزوله ليساعدها على النزول ولكن لم يقل أى شىء حتى وصلا إلى حجرة الصالون. وصفق الباب خلفه بصوت مدو. ثم استدار لها وقد تركزت عيناه على عينيها.

قال بكلمات حادة: «عندما ذهبت إلى «ماناد» هذا الصباح كنت أنت قد رحلت بالفعل» ثم تابع: «بدون أى كلمة.. بدون أدنى التفاته رحلت عنى».

وتسارعت أنفاس (چوليا) لدى هذا التأكيد المذهل.. لدى هذا الاندفاع الصريح بعد عنف الأمس.

وقالت بلهجة مؤكدة غاضبة: «الرحيل عنك ليس له دخل بالأمر». ثم تابعت: «لقد كنت راحلة عن (كامارجو) وعائدة لوطنى. وفى الغد سوف أفعل ذلك مرة أخرى. لقد جئت هنا من أجل (جوستين) وهى التى سأرحل عنها لأنها لم تعد بحاجة لى».

سألها بلهجة حادة: «هل من الطبيعى أن ترحلى بمثل هذا الأسلوب. هل كنت ستذهبين بهذه السرعة والسرية دون أن تقولى كلمة وداع واحدة؟»

قالت (چوليا) بتوتر: «أنا أفهم أننا قد قلنا وداعاً بالأمس» ثم

تابعت: «لقد بدا لى أنه لم يبق شىء آخر نقوله لبعضنا. وعلى أيه حال أنت لم تكن هناك»

قال بصوت يشوبه الخضوع: «لقد وصلت بعد رحيلك مباشرة» بعدك بدقائق قليلة. وكان المنزل فى حالة اضطراب حيث قررت (جوستين) فقد القدرة على النطق. لقد كنت سأتبعك على أية حال»

قالت(چوليا) بصوت مؤكد: «لم أكن لأعود مرة أخرى إذا كنت قد وصلت انجلترا فعلاً. فإن (جوستين) كانت ستعود إلى حواسها سريعاً بعد وقت قصير جداً».

قال بهدوء: «لم أكن سأتبعك من أجل (جوستين)». وحملق فى وجهها الغاضب المتورد خجلاً ثم قال: «لقد كنت سأتى من أجلى».

قالت (چوليا) بصوت مرتعش: «وكنت ستضيع وقتك» لم تكن متأكدة من سبب رغبته فى بقائها هنا. وتابعت قائلة: «ورغم كل شىء فلا يوجد لدينا ما نقوله لبعضنا».

وسألها بصوت عذب: «ألا يتشاجر المحبون فى انجلترا؟ هل لا تعتريهم غيره عنيفة متوحشة مثلما فعلت أنا بالأمس؟»

ردت (چوليا) فى غمغمة مرتجفة: «نحن.. نحن لسنا حبيبان»

قال مؤكداً: «فقط لأنك لا تثقين بى. فقط لأننى كنت ممزقاً بين واجبى تجاهك فى أرض أجنبية وبين رغبتى فيك. وإذا كنت قد وثقت بى فكنا سنبصح حبيبين منذ أسابيع عديدة. وتقريباً منذ الليلة الأولى لمجيئك إلى (كامارجو)»

قالت (چوليا) بصوت مهتز: «إنت لا تملك أى حق فى الحديث بهذا الأسلوب» كانت تسدد بصرها إلى الأرض لكى تتحاشى نظرته الملتهبة.

قال بصوت رقيق: «إنه ليس حق يا عزيزتى. إنه حاجة. أنا أعرف أنك تريدنى. إذا كنت تريدينى بدرجة كافية فأنا أقوى وضع نهاية لهذا النقاش بخصوص كوننا حبيبين أم لا.» ورفعت بصرها بعينين واسعتين محفلتين. كان تجيبه نفسه لها يرن فى أذنيها كأنه صوت موسيقى ونشبثت

عيناه بعينيها. وأختفت نظرات الكبرياء من عينيه بينما كان ينظر لها فى تذلل تام.

وببساطة قال: «أنا أحبك يا (چوليا)»

لم تستطع أن تنبس ببنت شفه. وللحظات قليلة كانت صامتة مثلما أدعت (جوستين) هذا الصباح ولكن بدأ أنه قد فهم فأبتسم لها ولكنه لم يفعل شيئاً لتقريب المسافة بينها.

قال: «لقد حكت لى (لوسيل) ما قالته (جوستين) وما تخيلته. وحكت لى كيف رددت أنت عليها. لقد قلت أننى رائع وشريف ويجب على (جوستين) ألا تحكى لى وتؤذينى. وإذا كنت تعتقدين فى ذلك عندما قلتيه فكيف تشكين فى عندما أقول لك بأننى أحبك وأنه لا يوجد ولن يوجد أحد غيرك لى»

قالت: «أنا.. أنا اعتقدت أن (روزان)» ولم تستطع عيناها الزرقاوتان أن تدعا عينيه وقالت: «لم أكن أريد أن أؤذى نفسى مرة أخرى»

ووعدها بصوت رقيق: «لن تتعرضى للأذى أبداً يا عزيزتى. ولا حتى شعرة ذهبية واحدة من رأسك»

وللحظة لم يفعل شيئاً سوى النظر إليها ثم فتح ذراعيه واندفعت (چوليا) ليضمها ويحتويها قريباً من قلبه. ودس وجهه فى شعرها وسرت رعشة خلال جسده كأنها زفير الارتياح.

قال: «الليلة الماضية. كنت هجيباً ومتوحشاً عندما رأيتك بين ذراعى رجل آخر وتتقبلين قبلاته فى رغبة».

قالت: «أنا.. أنا لم أكن.. لم أستطع أن أقاومه.. لقد كان قوياً جداً. وقد فاجأنى بظهوره»

ورفع رأسه بعينيه الداكنه الفاحصة وقال: «ولم يكن لديك أى فكرة عن وجوده هنا فى (كامارجو)؟»

قالت بلهجة صادقة: «الليلة الماضية. لا. لقد رأيته أول أمس عندما ذهبنا إلى الحلبة.. ولكن — وإلى حد غريب — كنت قد نسيت كل

شىء بخصه».

سأل بصوت عذب لا يزال يشوبه بعض التوتر: «لماذا لم تجدينى فى هذا الوقت؟»

قالت: «لم أكن أريدك أن تعرف» وأحنت رأسها لتهرب من نظراته القاسية ثم تابعت: «لم أكن أريد حدوث أى شىء يمكن أن يغضبك ويفسد.. ويفسد..»

قال: «يفسد ماذا يا (چوليا)؟» وأحنى رأسه نحوها وعندما لم تجب رفعت يده القوية وجهها وسألها مرة أخرى: «يفسد ماذا؟»

نظرت إلى عينيه لتجد نظرته تحيط بها بدون أى أمل فى النجاة.

همست: «لقد كنت أريد فقط أن أكون معك. لقد كان كل شىء يسير إلى الأسوأ كل فرد يحتاجك» ثم فجأة وضعت رأسها فى يده وأغلقت عينيها وهى تقول: «أنا أحتاجك أيضاً يا (لوك). أنا أحتاجك أكثر من أى أحد لأن كل شىء يبدو مظلماً عندما لا تكون موجوداً»

وإذا كانت أرادت أن تقول شيئاً آخر فلم تكن لتستطع لأنه لفها بذراعيه وأدخل يده فى شعرها بينما ضمها بقوة يائسة كادت تزهق أنفاسها.

وسألها بإلحاح: «إذن فأنت تحبيننى؟»

وهمست: «أعتقد أنك تعرف ذلك فعلاً. أنا لست بارعة فى اخفاء مشاعرى»

وابتسم ببطء وتراخت مقاومته القوية زافراً بعض أنفاس مرتعشة.

وغمغم بصوت عميق: «أنت لست كذلك يا عزيزتى. لم أكن لأسمح لك بتركى. كنت سأجدك حتى لو تركت العالم لأننى أحتاج إليك. أحتاج إلى دفئك وأمنك وجمالك الذهبى. ولن نفترق أبداً»

بينما كان يحتويها بين ذراعيه. وهمس

«أنت أشعة الشمس المشرقة. نسيم من الربيع.. لقد كنت أريدك من ذلك اليوم الذى جئت فيه بكل قسوة وكبرياء إلى حجرة (چوستين) لتوجهين إلى اللوم. ذلك اليوم الذى سمحت لى فيه بالزيارة. كان

ذلك رغم أنك كنت منهكة تحت وطأة مشاكلك الخاصة. لقد قاومت ذلك» ثم رفع رأسها ونظر إلى وجهها الذاهل وهو يعترف مبتسماً: «ولكن ليس بقوة كبيرة. فمن الصعب جداً أن يحارب الإنسان ضوء الشمس بينما يلفه الظلام»

وانتصبت (چوليا) على أطراف أصابعها وفعلت مافعلته ذات مرة قبل ذلك.. قبلته برقة وعذوبة.. وقد طفت كل أحاسيسها على وجهها. وسرت السعادة والإثارة عندما قبلها (لوك).

كان سحراً.. غياباً ودوراناً ساحراً ذاك الذى حملها إلى الضياء والسعادة. لم تخفيها رغباته. كانت ترتجف من السعادة. وقد توافق حنينها.. كانت قبلاتها وحشية وملتهبة حتى تراجع ينظر إليها.

كان هناك سؤالاً فى عينيه.. سؤالاً ملتهباً يبحث عن اجابة. فأخذها وهو يعرف ماتحس به دون الحاجة إلى أى كلمة.

وتوسلت له: «أرجوك يا (لوك)» وكان رد فعله متوحشاً وقال بلهجه غليظة:

«أخيراً أنت تقولينها لأجل كل الأسباب التى أريدها»

وأوقف الانفجار الحاد للألم اندفاعه مؤقتاً ولكن كانت شفتاه تغطى شفتيها حتى لفت ذراعيها حول عنقه ثبتت عيناه بعينيها عندما نظر لها للحظة طويلة يتفحص وجهها المتورد وعينيها الزرقاوتين البريئتين.

وغمغم بصوت عذب: «فتاة فاتنة» والتهبت الرغبة مرة أخرى فى وجهها وهو يقول: فتاة فاتنة.. مجنونة»

وقالت فى ارتباك وخجل: «أنا.. لم يحدث على الاطلاق أن..» وأتسعت ابتسامته وهو يقترب منها ويعض على بشرتها برفق وقال يتلذذ هادىء زاد من خجلها:

«إنه متأخر جداً أن تقولى لى ذلك الآن يا عزيزتى. لقد كنت امتلك فى عقلى لوقت طويل. إنه مجرد تحقيق لأحلامى. وبعد قليل ستعود. وأما الآن فإننى سأصمك وأتوسل إليك أن تمنحيننى عفوك عما سببته لك من أذى».

قالت بسرعة: «أنت لم تفعل.. ليس حقيقى». ولكن ضحكته الخفيفة المدمدمة وذراعاه المتفان حولها الزماها الصمت بينما أخفت وجهها بين كتفيه وأسلمت نفسها لنعيم سعادتها. لقد انتمت إلى (لوك) وفى داخلها كانت تعرف أنه سيكون أبدياً لأنه يجب أن يكون.

ومؤخراً كانت بين ذراعيه فى دفء واطمئنان.

قالت بصوت رقيق وكأنها تخشى أن تفقده حتى الآن: «لقد اعتقدت بأنك تنوى الزواج من (روزان)» ونظر إليها وقد تغضنت جبهته ولكن سرعان ما انفرجت أساريره ثم سألها فى اعتداد:

«لماذا يجب أن أتمنى الزواج من فتاة عنيدة بينما يمكننى أن أحصل على امرأة دافئة مطيعة» ثم رق صوته عندما رأى وجهها معتماً: «إذ كنت قد سببت لك الغيرة والألم فأنا آسف لذلك. أنا أعرف (روزان) منذ أن كانت طفلة وأنا أفترض أننا جميعاً كنا نتباسط معها. إنها تنزع إلى التملك وكانت تتأرجح بشدة ما بينى وبين (فيليب). لقد حدث ما رأيته لأنه كان دورى لاشىء غير ذلك»

قالت (چوليا) بإمعان: «هل تعتقد أن (فيليب)...؟»

ولكن (لوك) ضحك بسعادة وهز رأسها وقال مازحاً: كلا.. أنا لا أعتقد أن (فيليب).. لقد أفسدها التدليل وهى ليست مناسبة على الاطلاق. وذلك بغض النظر عن حقيقة أنه لا يحبها وحتى إذا فكر فى ذلك فسأبذل قصارى جهدى لأثنيه عنه» ثم أضاف بحزن «مثلما حاولت أن أثنى (چوليس).

حاولت جوليا أن تبتعد عن (دايردرى) والتركة المؤلمة التى خلفتها وراءها فقالت بسرعة: «ماذا عن الأرض التى يقول (فيليب) أنك تحتاجها؟»

قال (لوك) ساخراً: لقد حكى لك الكثير. ورغم ذلك فهو لا يعرف كل خططى. إن عائلة (دوبين) يفكرون جدياً فى الانتقال إلى الشمال. و(روزان) إبنه وحيده ولن تستطيع إدارة القطعان بمفردها على الرغم من مهاراتها فى ركوب الخيل ومعرفتها برعاية الماشية. وسوف تكون أفضل إذا

ما كان ميراثها شيئاً أصغر منه السهل التحكم فيه. وعندما يرحلون فقد رتبت لشراء ممتلكاتهم وأرضهم. وهى ستزيد من أرضنا وتجعل (لجوستين) ميراثاً منفصلاً»

قالت (چوليا): «(لوك).. متى.. متى نتزوج».

قال بقسوة: «وسنتزوج» وأدخلها فى دائرة ذراعيه المحكمة وهو يقول: «لن أدعك تغيبى عن عينى مرة أخرى».

وقال بتريث: «عندما نتزوج هل سترغب فى تبنى (جوستين)»

ولوهلة أظلم وجهه لكنه جذبها بين ذراعيه حتى خرجت أنفاسه بين شعرها وسألها بصوت رقيق: «ألا يوجد شىء فى هذا العالم لن تفعلينه من أجلى يا حلوتى (چوليا)؟

وأجابته بسرعة: «لن تكون هناك أى خسارة. فأنا أحبها أيضاً»

وأجاب وهو يعاود الابتسام لها: «وكذلك يفعل كثير آخرون هناك (لوسيل) التى ستشعر بالضياع بدونها. وهناك (ماريس) وهناك (فيليب) اللذان يبالغان فى تدليلها. وهناك أيضاً هؤلاء الغجر الذين تعتقد خطأ أنهم عائلتها. وعندما تصبح سليمة صحيحة البدن فستعود إلى مدرستها وإلى أصدقائها القدامى. وعلى كل حال فأنا حارسها الشرعى حسب وصية (جوليس) كلا يا حبيبتى. أنا لا أحب أن أتبنى ابنة أخى وأحتوى وجهها بين كفيه ثم قال: «أنا أريد أطفالاً خاصين بى.. أطفالاً لهم عيون زرقاء كسماء حزيران وشعر كأنه ضياء الشمس».

وأحنجت قائلة: «أوه.. كلا يا (لوك). إنهم سيكونون داكنى البشرة قساة مثلك أنت»

قال مبتسماً: «وسيركعون تحت قدميك يعبدون عذوبتك ورقتك وجمالك مثلما أفعل.

وستكون الأرض أرضهم وتحيط بهم عائلة محبة ويكون لهم جد مشهور فى انجلترا».

سددت (چوليا) نظراتها إلى وجهه وهى تقول بسرعة: «يجب أن أعود الأخبره»

قال مؤكداً: «سنذهب سوياً وعندئذ يلحق بنا الباقون لحضور الزفاف. ويمكن (لماريس) عندئذ أن تلقى نظرة على مستشفى والدك وترى إذا كانت فعلاً تريد أن تسير على نفس خطاك. على الرغم من أن لدى شك كبير فى أنها ليست إلا منبهرة بأهميتك»

قالت (چوليا) فى غضب: «أنا لست مهمة» ولكنه ابتسم ساخراً ثم أخرج زفرة حادة وهو يقول: «بالنسبة لى.. أنت كل شىء». وأطبقت شفتاه على شفتيها.

والآن فإنها تنظر بإطمئنان إلى المشهد الذى يدور حولها. لقد كانت أرضها وكانوا أهلها. كانت (لوسيل) تجلس بفخر وهى تعتنى بطفل (لوك) بينما أحاط بها الأصدقاء والأقارب المعجبون بالطفل الوليد الجميل ذى الشعر الأسود الفاحم والعيون الزرقاء إلى حد مذهل.

كانت (چوليا) تتمنى أن يتمكن والدها من حضور ذلك اليوم ولكنه كان قد تركهم فى اليوم السابق ليحضر مؤتمراً هاماً فى باريس. ولكنه وعدها أن يكون موجوداً فى العام القادم. ولقد انتزعت (جوستين) الوعد منه. وعلى أية حال فقد قضى كثيراً من الوقت فى زيارتهم. كانت (ماريس) فى انجلترا وقد منعتها واجبات التمريض من الحضور. وكان (لوك) سعيداً لأنها كانت فى بيت (بول ردفورد) فى أمن ورعاية تامين.

قال (لوك) (لفيليب): «يا إلهى.. أنظر.. إن هذا الثور يمثل ضراوة وقوة (تامرلين)». ومال بجسده للأمام يرقب الثور الذى كان يضطر الرجال إلى العدو حتى حافة الحلبة أكثرة من مرة.

ودمدم فيليب: «ليست مفاجأة» ثم تابع: «إن (تامرلين) من نفس الأب كما تعلم»

قال (لوك) بصوت ناعم: «لست أدرى إذا...»

ولكن يد (چوليا) امتدت سريعاً إلى ذراعه وهى تقول فى حسم: «إنك لم تنزل إلى هذه الحلبة» وأطلق (فيليب) ضحكة هادره عندما رأى (لوك) يهز كتفيه مستهجناً ثم يتراجع فى مقعده وهو يميل قبعته تجاه

الشمس.

وسددت (چوليا) نظراتها إلى (فيليب) وهى تقول بقوة: «ولا أنت»

وابتسم (لوك) ببطء وهو ينظر بطرف عينيه إلى أخيه ثم قال بلهجة جافة: «فى أنجلترا يسمون ذلك (هيمنة المرأة) على ما أعتقد».

ورد فيليب ساخراً: «ويبدو أنك تزدهر فى ظلالها». ولم تكن ضحكة لوك الهادئة تختفى فى تلك الأيام وهى تدفع دماء الخجل إلى وجه (چوليا). فقال بهدوء: «ولكن لها مميزاتها» وأمسك يد (چوليا) ورفعها إلى فمه يقبلها.

واتجه (لوك) ببصره نحو (لوسيل) بحملها الصغير الذى تحمله فى فخر. كانت عيناه تمتلىء بنفس الخوف الذى أحس به عندما رأى ابنه لأول مرة. والتفتت العينان الزرقاوتان إليه مباشرة ثم ذهبتا فى نوم عميق.

قال (لوك) بصوت عذب: «إن إبننا هذا حكيم بالإضافة إلى أنه جميل. فهو ينام كثيراً ويدع أمه معظم الوقت معى».

وسألت (چوليا): «هل سننتظر حتى موعد الرقص؟» ولم تكن تأبه بإذا ما كانوا سيرقصون أم لا. وتعلقت عينا (لوك) بعينيه لبرهه وغمغم قائلاً:

«أعتقد أن من الأفضل أن نعود للمنزل يا عزيزتى» وأومأت (چوليا) موافقه بينما اشتدت يده على يدها.

لقد ذهبت الوحدة. ورحل الظلام إلى الأبد. والآن لم يعد هناك سوى هذه الأرض الخالدة الغامضة التى لاتضم سوى السماء والماء والثيران السوداء الضارية والخيول البيضاء الهائجة.. و(لوك).. (لوك) الذى لم يكل أبداً من حبها.. الذى ملأ أيامها بالسعادة..

وأخرجت زفرة هادئة مطمئنة ومالت برأسها على كتفه فامتدت يده تربت على وجهها وهو يقول واعداً:

«فيما بعد يا حبيبتى.. فيما بعد»

«النهايـــة»